بسم الله الرحمن الرحيم

کتابخانه‌ی دایرة المعارف علوم عقلی اسلامی

سال ۱۳۸۳

نام کتاب: رسالتان فی الحوار و الجدل بین المسیحیة و الاسلام

نویسندگان: عبدالله الهاشمی - عبدالمسیح الکندی

مصحح: جورج ترتار

نوبت چاپ: [اول]

محل نشر: فرنسا

ناشر: مرکز التوثیق للعلاقات الاسلامیة المسیحیة

سال چاپ: ۱۹۷۷م

عبد الله الهاشمي
عبد المسيح الكندي

رسالتان في الحوار والجدل بين المسيحية والاسلام.

«في عهد الخليفة المأمون» (813 ـ 834)

تحقيق وتقديم وشرح
المستشرق جورج ترتار

لذكرى والدي

الذي ربّاني على الايمان والتقوى

وعلّمني ان اعمل

للتقارب بين المؤمنين

كلمة تمهيدية صفحة

رسالة الهاشمي ورسالة الكندي

كلمة تمهيدية (١)

نص هاتين الرسالتين وُضع عن ثلاث مخطوطات : مخطوطة عربية ومخطوطتين كرشونيتين ، موجودة في المكتبة الوطنية في باريس ، واضفنا اليها المخطوطة العربية الموجودة في مكتبة جامعة يال ، اذ اننا عثرنا على ميكروفيلم من هذه المخطوطة في جامعة عمان ، وقابلنا هذه المخطوطات بالنص المطبوع في القاهرة سنة ١٩١٢ .

نرمز الى هذه المراجع كما يلي :

ع نص المخطوطة العربية ، سنة ١٨٨٧
الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس ، رقم ٥١٤١ .

ق النص المطبوع في القاهرة ، سنة ١٩١٢
في المطبعة الانكليزية الاميركانية .

ك ١ نص المخطوطة الكرشونية ، سنة ١٦٥٧
الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس ، رقم ٢٠٤ .

ك ٢ نص المخطوطة الكرشونية ، سنة ١٦١٩
الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس ، رقم ٢٠٥ .

ي نص المخطوطة العربية ، سنة ١٨٧٤
الموجودة في جامعة يال ، مجموعة لاندبرج رقم ٥٦ / ١ .

-:-

المرجع الرئيسي الذي اعتمدنا عليه لوضع نص رسالة الكندي هو "ك١" ، المخطوطة الكرشونية التي هي اقدم المخطوطات ، اذ انها نُسخت عن

---

(١) هذه الكلمة التمهيدية مختصرة عن المقدمة التي اوردناها في اطار الاطروحة باللغة الفرنسية .

عن مخطوطة سنة ١١٢٣ ، وهي تبدو الاصلح حفظا ٠

ولكن هذه المخطوطة لا تحتوي على رسالة الهاشمي ٠ فلوضع نص هذه الرسالة اعتمدنا على "ك٢" ٠ اما هذه المخطوطة فانها لا تحتوي على كامل نص رسالة الهاشمي ، اذ ان الناسخ اختصر هذه الرسالة وحذف منها وبدّل بعض كلماتها ٠ فلوضع نص الفقرات المحذوفة والمختصرة اعتمدنا على "ب" ، اذ انها اقدم من "ع" ، وبما ان النص المطبوع في القاهرة هو تأليف بين مرجعين : الواحد يشبه "ع" والثاني قريب من "ك٢" ٠

ـ٢ـ

نص هذه المراجع مختلف متباعد ، ويحتوي على قراءات متغايرة متفاوتة ، فاخترنا منها القراءات الصالحة ، وذكرنا على الهامش القراءات الاخرى ، ولكننا لم نذكر كل القراءات ، اذ انها خالية من فائدة لفهم النص ٠

ـ٣ـ

لتسهيل قراءة النص وفهمه ولاستعماله في المحادثات الاسلامية المسيحية بدا لنا ضروريا ان نقسمه الى فصول وفقرات ، وأعطيناها عناوين ٠ فهذه العناوين ليست في المراجع التي وُضع النص عنها ٠

وزدنا على الهامش المراجع الكتابية والقرانية للآيات المذكورة في الرسالتين ، وايضاحات مختصرة عن اسماء الاعلام تساعد على فهم النص وتمكّن من تحديد زمان الاشخاص المذكورين ٠

ـ٤ـ

اما الهدف الذي نقصده بنشر هذا الكتاب فهو تقديم مساهمة لفتح حوار دبني بين المسلمين والمسيحيين والعمل للتقارب بين المؤمنين ٠

فنحن نؤمن بضرورة هذا التقارب و نعتقد انه ممكن و لا بدّ منه ، وذلك ليقوم المؤمنون سويّة بخدمة الله في العالم ٠

فالايمان بالله مشترك بين جميع المؤمنين ، الى ايّة طائفة ينتمون ، وهو اساس القيم الروحانية الادبية التي يرتكز عليها التقدّم الانساني و التي تضمن بناء مجتمع تسود فيه العدالة والاخوة ٠

والقيم الروحانية هذه مهدّدة في عالم اليوم الذي ينتصر فيه الالحاد والمادّية . فلذا على المؤمنين ان يتقاربوا ويتّحدوا للدفاع عن هذه القيم ولضمان ازدهارها وانتشارها .

-:-

لاشكّ ان المؤمنين متفارقون لمسائل عقائدية تستحثّهم بعضهم ضدّ بعض. فالتقارب بينهم لا يمكن ان يكون الاّ بوضوح وعلى الحقّ . فلا بدّ اذا من دراسة هذه المسائل العقائدية ومناقشتها والبحث عن حلّ لها .

فنشر كتابنا هذا ، المتعلّق بحوار اسلامي مسيحي جرى في عهد الخليفة المأمون (٨١٣ ـ ٨٣٤)م هو مساهمة لفتح حوار بين المؤمنين .

-:-

ان رسالة الهاشمي هي اول دعوة تبشيرية اسلامية وصلت الينا : وهي صدرت عن مسلم موقن انه على الحق . وهو يستعمل لسان المحبة والعقل ، ويمتثل امر القران : " لا تجادلوا اهل الكتاب الاّ بالتي هي احسن " (٢٩ / ٤٥) .

فالكاتب يعرض الدين الاسلامي بصورة جذّابة ، مظهرا سعة الروح والتساهل ، والنزاهة في الدعوة ، والاعتدال في مهاجمة النصرانية ، اذ ان الرسالة موجّهة ضدّ الدين المسيحي ، ولكن باسلوب حذق لبق ، ولهجة متّزنة لائقة .

فالكاتب يقصد ، برسالته هذه ، ان يستميل القارئ المسيحي ، وذلك :

- بمقدّمة يُظهر فيها روح المحبة والاخوة ، ومعرفته للديانة المسيحية ،
- وبشرح للدين الاسلامي ، السهل المنهج والصحيح الاعتقاد ،
- وبدعوة لترك الضلالة والكفر ، ولاعتناق الاسلام ، للحصول على فوائد الدنيا والاخرة ،
- وبتساهل ينبذ استعمال القهر والعنف ،
- وبسعة روح واستعداد لاستماع شرح عن الدين النصراني .

فالكاتب ، مع انه موقن بحقيقة الديانة الاسلامية ، يصرّح بانه

راغب في الاستعلام لمعرفة الحق والاقرار به . فهو يقصد الحوار لا الجدال . فلذا رسالته تبدو لنا حسنة مثالية ، اذ انها تسير على الطريق التي يجب اتباعها ليكون الحوار مفيدا مثمرا .

-:-

اما رسالة الكندي فهي دفاع عن المسيحية ونقض للاسلامية .

فالكاتب يطرح بوضوح المسائل العقائدية التي تفصل المسيحيين والمسلمين ، وهي :

- عقيدة الثالوث الاقدس ، والوهية يسوع المسيح ،
- رسالة ونبوة محمد ، والوحي القراني .

والكاتب يبحث هذه المسائل بصراحة واستقصاء ، ويشرح الاسباب التي لا تسمح للمسيحيين بالاقرار ان محمدا رسول الله وان القران منزل من عند الله .

وهو يوضح الهدف الذي يجب تحديده للحوار بين المؤمنين ويقول :
"علمّ نناظرك في ما دعوتنا اليه من الاقرار بنبوته بان ذلك حق
" واجب . فان كان حقا واجبا ، فلا ينبغي لنا ولا لأحد ذي عقل
" ان يمتنع او يمتعض من قبوله ، فانه لا يمتنع من الاقرار بالحق
" الاّ ظالم معاند وجاهل المعرفة ، وان كان غير الحق فلا ينبغي لك
" ان تقيم على غير الحق ، فكيف تدعونا اليه ؟ فانك اذا فعلت
" ذلك كنت ظالما لنفسك اولا ، وآثما ، ثم متعديا على من تدعوه
" الى غير الحق (صفحة ٦٠) .

ورسالة الكندي طويلة مفصّلة ، والشرح بيّن كاف ، والدلائل كتابية تاريخية منطقية ، والبرهنة قويّة متينة نافذة ، واللهجة حادّة عنيفة وهجومية احيانا ، ولكنها تُعرب عن الصداقة التي كانت تصل بين كاتبي هذا التبادل الرسائلي .

-:-

هذا الحوار يرجع عهده الى وقت كان الجدال الاسلامي المسيحي يدور فيه بروح تغلّب واعتزاز ولهدف تبشيري . فكل كان يعتقد انه على الحق وان الاخرين في ضلال ، وان عليه ان يزهق الباطل ويُرشد الى

الصواب • فالدعوة التبشيرية كانت تمتزج بالمجادلة والمغالبة والمخاصمة • والكتّاب كلهم ، مسلمين كانوا او مسيحيين ، اتخذوا هذا الموقف الجدلي الخصامي العدائي الذي لا يمكن ان يوءدّي الى حوار حقيقي مفيد وبنّاء •

-:-

فعلى القارئ المسلم الاّ يمتعض من رسالة الكندي ، وذلك لانها تحتوي على حقائق يجب التعبير عنها والاستماع اليها والتذكير بها •

فلا بدّ من ان يستمع المسلمون الى المسيحيين ، وان يستمع المسيحيون الى المسلمين ، وذلك ليتعارفوا ويتفاهموا ، لأزالة سوء التفاهم والاراء المقبولة بدون تحقيق التي تفصلهم وتُبعدهم بعضهم عن بعض •

-:-

ولكي يتعارف المو•منون ويتفاهموا ويتقاربوا ، عليهم ان يفتحوا حوارا دينيا بينهم ، للبحث عن الحق والحقيقة ولخدمة الحق الذي اوحى الله به على انبيائه •

وعلى المو•منين ، مسيحيين كانوا او مسلمين ، ان يتذكّروا انهم شهود لله في هذا العالم •

فالكتاب يخاطب المسيحيين ويقول :

" اما انتم فجنس مختار ، امّة مقدّسة ، شعب اقتناء ، لتخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة الى نوره العجيب " (١ بطرس ٢ / ٩) •

والقران يخاطب المسلمين ويقول :

" كنتم خير امّة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتو•منون بالله " (٣/١١٠) •

-:-

في الوقت الحاضر الذي ينتشر فيه الالحاد والمادّية ، الامر الذي في خطر عن القيم الروحانية الدينية ، اي الايمان بالله ، والتقوى ، ومكارم الاخلاق ، وليس وجود الاسلام او المسيحية كديانة •

والقيم الروحانية هذه مشتركة بين الديانتين المسيحية والاسلامية .
فعلى المؤمنين ان يُعلنوا هذه القيم ، ويدافعوا عنها ، ويعملوا لازدهارها وانتشارها .

اما المسائل العقائدية التي تفصل المسيحيين والمسلمين ، فاستئناف مناقشتها ممكن ، ولكن بروح بنّاء ، وفي البحث الصادق عن الحق ، والاحترام المتبادل ، والحبّ الاخوي ، وبأرادة خالصة للوصول الى تفاهم روحي ديني ، وتعاون اخوي للعمل سويّة لتقدّم ملكوت الله في عالم الانسان .

هذا هو الهدف من نشر هذا الكتاب .

القس جورج ترتار

باريس ١٠ آب ١٩٧٦

الجزء الأوّل

رسالة عبد الله الهاشمي

رسالة الهاشمي ورسالة الكندي

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم .

قد كان في زمان عبد الله المأمون(١) رجل من اجلّة الهاشميين(٢) من بني العبّاس(٣) ، قريب القرابة من الخليفة ، معروف بالنسك والورع والتمسّك بدين الاسلام وعدّة الاغراق فيه والقيام بفرائضه وسننه ، مشهور بذلك عند العامّة والخاصّة .

---

١ بسم .... الرحيم = ق : بسم الله الواحد الصمد . ك٢ : بسم الاب والابن والروح القدس ، الاله الواحد . زيد في ي : اي بسم الاب والابن والروح القدس ، الاله الواحد .

٢ قد كان = ع ي : نبتدئ بعون الله تعالى وحسن توفيقه بذكر ما مرّ من الجدال بين احد الاسلام واحد النصارى (ي : بين المسلم والنصراني) .
عبد الله = زيد في ع ي : امير المؤمنين .
اجلّة = ق ي : نبلاء . ع : علماء الاسلام ، اسمه عبد الله بن اسماعيل الهاشمي .

٣ من بني = ق ي : واظنّه من ولد .

٥ مشهور = ك٢ : متظاهر .

---

(١) الخليفة المأمون (٨١٣ ـ ٨٣٤) ابن هارون الرشيد . سابع الخلفاء العباسيين . عني بالثقافة والادب والفلسفة والعلوم ، وازدهرت في عهده حركة النقل والترجمة من اليونانية والسريانية والفارسية .

(٢) الهاشميون ، بنو هاشم ، بطن من قبيلة قريش ، ينسبون الى هاشم بن عبد مناف جدّ عبد المطّلب جدّ النبي محمد .
(٣) العبّاس ، عمّ الرسول محمد ، واليه تنسب سلالة الخلفاء العباسيين الذين تقلّدوا السلطة في بغداد وسادوا العالم العربي الاسلامي مدّة ستة قرون (٧٥٠ ـ ١٢٥٨) .

وكان له صديق من النصارى ، ذو ادب وعلم ، كندي (١) الاصل ، مشهور بالتمسّك بدين النصرانية ، ممّن كان في خدمة السلطان وقريبا منه .

وكانا يتوادّان ويتحابّان ويثق كلّ واحد منهما بصاحبه وبالاخلاص له في المودّة . وكان امير المؤمنين وجميع أصحابه والمتصلون بالسلطان قد عرفوهما بذلك . وكرهنا ان نذكر اسميهما لعلّة من العلل .

فكتب الهاشمي كتابا الى النصراني هذه نسخته :

---

١ من النصارى = ع : نصراني اسمه عبد المسيح بن اسحاق الكندي . ق : من الفضلاء .
٢ النصرانية = ع : النصارى والقيام بفرائضه .
٤ ويثق = ك٢ : ويتكل .
٦ وكرهنا = ي : ولم نشأ . العلل = زيد في حاشية ق : هما عبد الله بن اسماعيل الهاشمي وعبد المسيح بن اسحاق الكندي .
٧ هذه نسخته = ع : هو هذا . زيد في ك٢ : يقول .

---

(١) كندي ، من بني كندة ، وهي قبيلة شهيرة من عرب اليمن نزحت الى الحجاز ونجد وسادت بعض القبائل فيهما . عُرف الكنديون بنصرانيتهم في الجاهلية ، وظلّ بعضهم عليها حتى اوائل العصر العباسي . ينتمي الى كندة اوّل فيلسوف عربي ، يعقوب بن اسحاق الكندي ، الملقّب بفيلسوف الاسلام (٠٠ ـ ٨٦٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم ٠

سلام عليك ورحمة الله ٠

اما بعد ، فقد افتتحت كتابي اليك بالسلام و الرحمة تتبعاً بسيدي و سيد الانبياء محمد ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ فان ثقاتنا ، ذوي العدالة عندنا الصادقين الناطقين بالحق الناقلين الينا اخبار نبينا عليه السلام ، رووا لنا عنه ان هذه كانت عادته ، وانه كان ، صلى الله عليه وسلم ، اذا افتتح كلامه مع الناس ابتدأهم بالسلام والرحمة في مخاطبته اياهم ، لا يفرّق بين المسلم و الذمّي (١) و لا بين المؤمن و المشرك ، وكان يقول : " اني بعثت بحسن الخلق الى الناس كافة (٢) ولم ابعث بالغلظة و الفظاظة " ، ويستشهد الله على ذلك اذ يقول : " بالمؤمنين رؤوف رحيم " (٣) ٠

و كذلك رأيت من حضرته من ائمّتنا الخلفاء المهديين الراشدين ، رضي الله عنهم اجمعين ، يبدأون بفضل ادبهم وشرف حسبهم و نبل همّتهم وكرم اخلاقهم واتّباعهم اثر نبيّهم ، ولا يفرّقون في ذلك و لا

---

٢ سلام ٠٠٠ الله ٠ هكذا في الترجمة اللاتينية ٠ ك٢ : سلام عليك ٠

٣ تتبعاً = ع : مستعينا ٠

٨ المسلم والذمّي = ع ق ي : الذمّي والامّي ٠

١٢ المهديين = ع ي : المهذبين ٠ زيد في ق : المهتدين ٠

١٣ رضي الله عنهم = ع ي : صلاة الله عليهم ٠ يبدأون = ك٢ : يقتدون ٠

١٤ واتباعهم اثر نبيهم = ق : يتتبعون اثر نبيهم صلى الله عليه وسلم ٠

---

(١) الذمّي ، من اعطي الذمّة اي الامان ٠ اهل الذمّة ، المعاهدون من النصارى و اليهود وغيرهم ممّن يقيم في دار الاسلام ٠

(٢) " اني بعثت لاتمّم حسن الاخلاق " (مسند احمد ٢ / ٣٨١) ٠

(٣) القرآن ٩ / ١٢٢ ٠

يحفظون فيه احدا .

فسلكت ذلك المنهج ، واحتذيت تلك السبل ، واخذت ذلك الادب المحمود ، وابتدأتك في كتابي هذا بالسلام والرحمة ، لئلا ينكر عليّ منكر يقع اليه كتابي هذا .

السبب الدافع لكتابة الرسالة : المحبّة

والذي حملني ان اكتب اليك وحثّني على ذلك محبّتي لك ، اذ كان سيدي ونبيي محمد ، صلى الله عليه وسلم ، قال : " محبّة القريب ديانة وايمان " (١) .

على اني كتبت طاعة لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولِما اوجبه لك من الحق خدمتك لنا ونصحك ايانا ، ولِما انت عليه من محبتنا وتظهره من مودّتنا والميل الينا ، ولِما ارى من اكرام سيدي وابن عمّي امير المؤمنين (٢) ، ايّده الله ، وتقريبه اياك وثقته بك وحسن قوله فيك .

الدعوة الى الدين المستقيم

فرأيت ان ارضى لك ما رضيته لنفسي واهلي وولدي ، واخلص لك النصيحة وابذلها واكشف عما نحن عليه من ديانتنا هذه التي

---

٢ فسلكت = ع : فالتقير سلكت

٨ على اني كتبت طاعة = ك٢ : فانا احبك ديانة وطاعة .

٩ خدمتك لنا = ع ي : حرمتك بنا .

١٣ واخلص = ع ق ي : مخلصا .

١٤ وابذلها واكشف = ع ق ي : ومبذلها كاشفا .

---

(١) " لا يؤمن احدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه " (صحيح البخاري ١ / ٢٢) .

(٢) يعني الخليفة المأمون .

ارتضاها الله لنا ولجميع خلقه ، ووعدنا عليها حسن الثواب في المعاد والامن من العقاب في المآب ، اذ يقول تبارك وتعالى : " ملّة ابراهيم حنيفا " (١) . ويقول عزّ وجلّ ، وقوله الحقّ : " الذين امنوا بآياتنا وكانوا مسلمين " (٢) . ويقول ايضا موكّدا : " ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما " (٣) .

فرغبت لك في ما رغبت فيه لنفسي واشفقت عليك ، لما ظهر لي من كثرة ادبك وبارع علمك وحسن تهذبك وجميل مذهبك وشرف حسبك وتقدّمك على الكثير من اهل ملّتك ، ان تكون مقيما على ما انت عليه من ديانتك هذه . فقلت : اكشف له عمّا منّ الله به علينا واعرّفه ما نحن عليه بألين القول واحسنه ، واتّبع في ذلك قوله تعالى ، اذ يأمرني ويقول جلّ ثناؤه : " ولا تجادلوا اهل الكتاب الاّ بالتي هي احسن " (٤) .

فلست اجادلك الاّ بالجميل من الكلام والحسن من القول واللّين من اللفظ ، فلعلّك تنتبه وترجع الى الحقّ وترغب في ما اتلوه عليك من قول الله وكلامه الذي انزله على خاتم الانبياء وسيد ولد ادم ، نبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم . ولم اياس من ذلك ، بل رجوته لك من الله الذي يهدي من يشاء . وسألته ان يجعلني سببا في ذلك .

الدين عند الله الاسلام

ووجدت الله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه : " ان الدين عند

---

٩ له .... واعرّفه = ع ي : لك .... واعرفك .
١٠ قوله تعالى = ع ق ي : ما ادبني (ق : اذنني) الله به .
١٤ تنتبه = ع ي : تتب .
١٥ قول الله وكلامه = ق : كلام الله جلّ جلاله .

---

(١) ٢ / ١٣٥ .
(٢) ٤٣ / ٦٩ .
(٣) ٣ / ٦٧ .
(٤) ٢٩ / ٤٦ .

الله الاسلام"(١) . ويقول الله ايضا موكدا لقوله الاول :" و من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين " (٢). ثم اكّد ذلك تبارك و تعالى امرا قاطعا اذ يقول :" يا ايها الذين آمنوا ، اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ الاّ و انتم مسلمون " (٣) .

انني قرأت الكتب ودرستها

وانت ، ايها الرجل ، اعاذك الله من جهل الكفر وفتح قلبك لنور الايمان ، تعلم اني رجل اتت عليّ سنون كثيرة ، وقد تبحّرت في عامّة الاديان وامتحنتها ، وقرأت كثيرا من كتب اهلها ، وخاصّة كتبكم معشر النصارى. فاني عنيت بقراءة الكتب العتيقة والحديثة التي انزلها الله على يد موسى وعيسى و غيرهما من الانبياء ، عليهم السلام .

فاما الكتب العتيقة فهي : التوراة ، وكتاب يشوع بن نون ، وكتاب سفر القضاة ، وكتاب صموئيل النبي ، و سفر الملوك ، و كتاب زبور داود النبي ، وحكمة سليمان بن داود ، وكتاب ايوب الصديق ، وكتاب اشعياء النبي وكتاب الاثني عشر نبيا ، وكتاب ارمياء النبي ، وكتاب حزقيال النبي ، وكتاب دانيال النبي . فهذه هي الكتب العتيقة (٤) .

---

٥ ايها الرجل اعاذك = ع : يا اخي نجاك. ق ي : الرجل عافاك.
٦ تبحرت في عامة = ع : بحثت سائر .
٨ الكتب = ع ي : كتب كثيرة .
١١ الكتب العتيقة = ك٢ : كتب الانبياء .
١٤ نبيا = زيد في ك٢ : المختار .

---

(١) ٣ / ١٩ .
(٢) ٣ / ٨٥ .
(٣) ٣ / ١٠٢ .
(٤) قائمة هذه الكتب، كما يذكرها الهاشمي ، لا تطابق اسفار العهد القديم المقبولة عند اليهود وفي الكنائس المسيحية ، وترتيبها يختلف

فاما الكتب الحديثة ، فاوّلها الانجيل ، وهو اربعة اجزاء ، الاول منها بشارة متّى العشّار ، و الثاني بشارة مرقس ابن اخت سمعان المعروف بالصفا ، و الثالث بشارة لوقا المتطبّب ، والرابع بشارة يوحنّا بن زبدي • فهذه اربعة اجزاء منها بشارة رجلين من الحواريين الاثني عشر الذين كانوا ملازمين المسيح ، صلوات الله عليه ، وهما متّى و يوحنّا ، وجزآن بشارة رجلين من الحواريين السبعين الذين كانوا للمسيح ، صلوات الله عليه ، بعثهم الى الامم دعاة له ، وهما مرقس و لوقا • ثم كتاب قصص الحواريين و احاديثهم واخبارهم بعد ارتفاع المسيح الى السماء ، الذي كتبه لوقا احد حواريي المسيح ، ورسائل بولس الاربع عشرة (١) •

<u>و ناظرت فيها المسيحيين</u>

فهذه كلها قد قرأتها ودرستها وناظرت فيها تيموثاوس الجاثليق ، وقد علمت كيف تقدّمه فيكم بفضل الرئاسة والعلم و العقل ، وناظرت فيها من اهل فرقكم الثلاث التي هي ظاهرة ، اعني الملكية الذين قالوا بمقالة مركيانوس الملك ، على عهد الدقاق الذي وقع بين نسطوريوس

---

١٣ الذين قالوا بمقالة = ع ق ي : القايلين •
١٤ الذي وقع = ع ق ي : الواقع •

عن الترتيب اليهودي و المسيحي •

(١) قائمة اسفار العهد الجديد ، التي يذكرها الهاشمي ، ليست كاملة ، و تنقصها الرسائل السبع التي ارسلت الى الكنائس عامّة • فهذه الرسائل كانت مقبولة في الكنيسة الارثوذكسية منذ اواخر القرن الرابع • اما الكنيسة السريانية فقبلت اولا ثلاثا منها ، وهي رسالة يعقوب ورسالة بطرس الاولى ورسالة يوحنا الاولى • ويتضح هذا من الترجمة السريانية للعهد الجديد ، المسماة « البسيطة » التي ظهرت لاوّل مرّة سنة ٤٣٠ • وهذه الترجمة كانت مستعملة ايضا في الكنيسة النسطورية • اما الرسائل الاربع الاخرى فانها ادخلت في التنقيحات المتتابعة لهذه الترجمة •

وكيرللس ، وهم الروم ؛ واليعقوبية ، وهم اكفر القوم واخبثهم قولا واعرمم اعتقادا وابعدهم من الحق ، القائلين بمقالة كيرللس الاسكندراني ويعقوب البرذعاني وساويرس صاحب كرسي انطاكية ؛ والنسطورية ، اولئك هم ، لعمري ، اقرب واشبه باقاويل المنصفين من اهل الكلام والنظر واكثرهم ميلا الى قولنا معشر المسلمين (١) .

-:-

١ واليعقوبية = ك٢ : والنسطورية .

٢ والنسطورية = زيد في ق : اصحابك . ك٢ : وامة اليعقوبية اصحابك .

-:-

(١) يذكر الهاشمي ثلاث فرق او كنائس مسيحية وهي :

- الملكية ، نسبة الى ملك ، اي امبراطور الروم . أعطي هذا الاسم للمسيحيين الارثوذكس الذين قبلوا مرسوم الامبراطور مركيانوس (٤٥٠ - ٤٥٦) مثبتا به قرار مجمع خلقدونية المسكوني (٤٥١) الذي انكر مقالة المونوفيزيين القائلين بطبيعة واحدة في المسيح . والارثوذكس سُمّوا ايضا " الروم " بسبب انتسابهم وتبعيتهم للامبراطورية البيزنطية .

- اليعقوبية ، نسبة الى يعقوب البرذعاني . وهي الكنيسة المونوفيزية التي لا تسلّم الّا بطبيعة واحدة في المسيح ، مكوّنة من امتزاج الطبيعة الالهية بالطبيعة الانسانية . فكلمة " مونوفيزية " تعني طبيعة واحدة .

- النسطورية ، وهم الذين تبنّوا اراء نسطوريوس القائل باقنومين في المسيح : اقنوم الهي واقنوم انساني ، وبأنّ مريم هي والدة المسيح وليست والدة الاله .

و يذكر الهاشمي الشخصيّات التالية :

- نسطوريوس ، بطريرك القسطنطينية (٤٢٨ - ٤٣١) ، الذي حرمه مجمع افسس المسكوني (٤٣١) بسبب قوله باقنومين في المسيح وبأنّ مريم ليست " والدة الاله " . فعُزل عن منصبه ونُفي .

- كيرللس الاسكندراني ، بطريرك الاسكندرية (٤١٢ - ٤٤٢) الذي قاوم اراء نسطوريوس ودافع عن الايمان الارثوذكسي وترأس مجمع افسس (٤٣١) الذي حرم نسطوريوس .

- مركيانوس ، امبراطور الروم (٤٥٠ - ٤٥٧) الذي دعا الى التئام مجمع

وهم الذين حمد نبينا امرهم ، ومدحهم ، واعطاهم العهود والمواثيق ، وجعل لهم من الذمّة في عنقه واعناق اصحابه ما جعل ، وكتب لهم في ذلك الكتب ، وسجّل لهم السجلات ، واكّد امرهم عندما صاروا اليه ، لمّا افضى الامر اليه واستوثق له (١) . فاتوا و تحرموا بحرمته ، وذكّروه بمعونتهم اياه على اعلان امره واظهار دعوته وما مكّن الله له ، صلعم .

وذلك ان الرهبان (٢) كانوا يبشرونه ويخبرونه ، قبل نزول الوحي عليه ، بما مكّن الله له وصار اليه . فلذلك كان يكثر تودّده لهم و اطالة محادثتهم ، ويُرى كثيرا عندهم ، مخاطبا لهم في تردده الى

---

١ نبينا = زيد في ق : صلعم .

٤ فاتوا ... بحرمته = ع ي : فمينوا لحرمتهم به .

٦ يبشرونه ويخبرونه = ع : يبشرون ويخبرون .

خلقدونية (٤٥١) ، المجمع الذي حرم المونوفيزية القائلة بطبيعة واحدة في المسيح .

- ساويرس ، بطريرك الكنيسة المونوفيزية (٥١٢ ـ ٥٣٦) .

- يعقوب البرزعاني ، مطران الرها (توفي سنة ٥٧٨) ، الذي لعب دورا هامّا في الكنيسة المونوفيزية وفي العلاقات بين طوائفها ، حتى أنّ هذه الكنيسة سمّيت باسمه : اليعقوبية .

- تيموثاوس الجاثليق ، بطريرك الكنيسة النسطورية (٧٨٠ ـ ٨٢٣) .

(١) في سنة ٦٣١ ، اي ٩ هجرية ، جاء الى المدينة وفد من مسيحي نجران من اليمن ، لعقد عهد مع النبي محمد . فاعترفوا بسلطته ، ودخلوا تحت حمايته ، وحافظوا على ديانتهم النصرانية ، مقابل دفع ضريبة سنوية (السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٥٧٣ ـ ٥٨٤) .

(٢) السيرة النبوية تذكر ان راهبين ، الراهب بحيرى والراهب نسطور عرفا و اخبرا ان محمدا نبي مرسل من الله (١ / ١٨١ و ١٨٨).

الشام وغيرها . وكان الرهبان واصحاب الديورة يكرمونه ويبجّلونه طوعا ، ويخبرون اصحابهم بما يريد الله ان يرفع من امره ويعلن من ذكره . وكانت النصارى تميل اليه ، وتخبره بمكيدة اليهود ومشركي قريش وما يبتغون له من الشرّ ويريدونه من الغوائل ، مع مودتهم اياه ومحبتهم له ولاصحابه .

فعند ذلك نزل الوحي على نبينا ، عليه السلام ، وشهد الله لهم في القرآن قائلا : " لتجدنّ اشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ، ولتجدنّ اقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا : " انّا نصارى " ، ذلك بان منهم قسّيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون " (١) .

وعرف النبي ، عليه السلام ، بما انزل عليه من الوحي ، صحّة ضمائرهم ونيّاتهم ، وانهم اصحاب المسيح حقّا ، السائرون بسيرته الآخذون بسنته ، اذ كانوا لا يريدون القتال ولا يستحلّونه ، ولا يخفّون احدا ، ولا يريدون بالناس سوءا ولا مكروها ، وانهم طالبوا السلامة ، ولا يصرّون على حنق ولا على عداوة ، بل يعتقدون الفضل على الناس اجمعين . فاعطاهم نبينا ، عليه السلام ، ما اعطاهم من العهود والمواثيق ، وجعل لهم في رقبته ورقاب اصحابه ، ووصّى بهم تلك الوصيّة ، عندما اطلعه الله على امرهم وبراءة ساحتهم . فنحن مقرّون بذلك غير جاحدين ولا منكرين ، بل ناظرون لهذا الفعل ، وآخذون بهذه السنّة ، وقابلون بهذه الوصية ، وموجبون الحقّ على انفسنا .

زرت الاديرة وشاهدت تقوى الرهبان

ولقيت جماعة من الرهبان المعروفين بشدّة الزهد وكثرة العلم ، ودخلت اعمارا واديرة وبيعا كثيرة ، وحضرت صلواتهم ، تلك الطوال السبغ

---

٤ ومحبتهم = ق : واجلالهم .
٨ اشركوا = زيد في ع : اعني اهل قريش . ق ي : يعني مشركي قريش .
١٠ انزل = ع ي : انعم .
١١ وانهم = زيد في ك٢ : لا يكونون من المنافقين الذين في قلوبهم الغيّ وانهم .
١٢ لا يريدون = ك٢ ق : لا يرون . يستحلّونه = ق : يستحلون المال .

---

(١) ٥ / ٨٥ .

التي يسمّونها صلوات الاوقات ، وهي : صلاة الليل ، وصلاة الغداة وهي صلاة السحر ، وصلاة الثالثة ، وصلاة نصف النهار اعني صلاة الظهر ، وصلاة التاسعة التي هي قريبة من وقت العصر ، وصلاة الغروب وهي صلاة المساء المفروضة ، وصلاة النوم التي يصلونها قبل اخذ مضاجعهم .

ورايت ذلك الاجتهاد العجيب في الركوع والسجود ، بالصاق الخدود بالارض وضرب الجبهة والتكتّف الى انقضاء صلواتهم ، خاصّة في ليالي الاحاد وليالي الجمع وليالي الاعياد ، التي يسهرون فيها منتصبي الارجل بالتسبيح والتقديس والتهليل الليل كله . ويَصِلون ذلك بالصوم نهارهم اجمع ، ويكررون في صلواتهم ذكر الاب والابن والروح القدس ، وايام الاعتكاف التي يقيمونها ايام البواعيث ، وقيامهم فيها حفاة على المسوح والرماد ، باكين بكاء كثيرا متواترا بانهمال دموع من الاعين والجفون ، منتحبين بسحق عجيب .

ورايت عملهم القربان كيف يحتفظونه بالنظافة في خبزهم اياه ، وبحالهم وقت عمله الدعاء الطويل مع التضرّع الشديد عند اصعاده على المذبح في بيت المقدس مع تلك الكؤوس المملوءة خمرا .

ورايت ايضا ما يتدبّر به الرهبان في قلاليهم ايام صياماتهم الستة ،

---

١ الأوقات = زيد في ك٢ : التي يصلونها في اوقاتها .

٤ المساء المفروضة = ق : بين العصر والعشاء ، وصلاة الشفع وهي صلاة العشاء المفروضة .

٥ والسجود = زيد في ك٢ : وضرب المثان .

٦ والتكتف = ع ي : وكتف الايدي الى قدام . ك٢ : ورفع الايادي الى السماء .

٨ بالصوم = ع ق ي : بالقيام .

٩ ويكررون = ع ق ي : ويكثرون .

١٠ يقيمونها = ع ق ي : يسمونها .

١١ باكين ... دموع = ك٢ : ويبكون ذلك البكاء الكثير ويسكبون تلك الدموع المنهملة .

١٢ منتحبين ... عجيب = ك٢ : وينتحبون ذلك الانتحاب الشجي العجيب .

١٤ مع ... اصعاده = ك٢ : وما يبدونه من ذلك التضرع عندما يقربونه .

اعني الاربعة الكبار والاثنين الصغيرين ، وغير ذلك. فهذا كله كنت له حاضرا ولأهله شاهدا وبه عارفا وعالما.

مناظرت اساقفة

ورايت ايضا مطارنة واساقفة مذكورين بحسن المعرفة وكثرة العلم ، مشهورين بشدة الاغراق في الديانة النصرانية ، مظهرين غاية الزهد في الدنيا. فناظرتهم مناظرة نصفة طالبا للحق ، معقلا بيني وبينهم اللجاج والمراء والمكابرة بالسلطة ، واوسعتهم امنا ان يقوموا بحجتهم ويتكلموا بجميع ما يريدونه ، غير مؤاخذهم بذلك ، ولا متحنت عليهم في شيء منه ، لا كمناظرة الرعاع والجهال والسفهاء من اهل ديانتنا ، الذين لا اصل لهم ينتمون اليه ، ولا عقل فيهم يعوّلون عليه ، ولا دين ولا اخلاق تحجبهم عن سوء الادب ، وانما كلامهم العنت والمكابرة والمغالبة بسلطان الدولة بغير علم ولا حجة.

وكنت اذا ناظرتهم وسألتهم مسألة بحث فاحصا عن قولهم واعتقادهم ، كانوا لشدة ورعهم ودعتهم وتزيّنهم يصدقونني عن امرهم ، ولا يكذبونني في شيء مما كنت اسألهم عنه واجادلهم فيه ، وكنت قد عرفت من بواطنهم مثل الذي قد عرفته من ظاهرهم.

انني على علم بالديانة النصرانية

فكتبت اليك ، اصلحك الله ، بهذا الشرح ، واعددت واقتصصت ما

-:-

١ وغير ذلك = ك٢ : وما يفعلونه من شدة القول وحسن الخلق والبشاشة واللين.

٦ بالسلطة = زيد في ق ي : والصلف والبذخ بالحسب.

٨ متحنت = ع ي : متعنّتهم (ع : او منعتهم) به او مزوّر.

والجهال = زيد في ق ي : والسقاط والعوام.

٩ فيهم يعولون عليه = ع ي : لهم يرجعون اليه.

١١ العنت = ع ي : الدعي والشغب.

١٢ وكنت = ق : وكانوا.

١٣ ودعتهم = زيد في ق : واعتقادهم.

اقتصمته بعد الاستقصاء والبحث الشديد والامتحان له على طول الايام ، لئلاّ يُظَنّ بي اني عميّ بالامر ، بل ليعلم من وقع بيده كتابي هذا اني عالم بالقضية فيهم وعارف بجميع امر النصارى حق المعرفة •

ادعوك الى دين الاسلام والى عبادة الاله الواحد

فانا الآن ادعوك بهذه المعرفة مني بدينك الذي انت عليه ، وقد امتحنته ، الى الدين الذي ارتضاه الله لي وارتضيته لنفسي ، ضامنا لك به الجنّة ضمانا صحيحا والامن من النار ، وهو ان تعبد الله الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يتخذ صاحبة ولا ولد ، ولم يكن له كفوا احد • وهي الصفة التي وصف نفسه بها ، جلّ وعزّ ، اذ كان ليس لأحد من خلقه اعلم به من نفسه •

فدعوتك الى عبادة هذا الاله الواحد الذي هذه صفته ، ولم ازد في كتابي هذا على ما وصف به نفسه ، جلّ اسمه وتعالى ذكره علوا كبيرا عمّا يشركون • فهذه ملّة ابيك وابينا ابراهيم ، صلاة الله عليه ، فانه كان حنيفا مسلما •

الشهادة بنبوّة الرسول محمد

ثم ادعوك ، حفظك الله ، الى الشهادة والاقرار بنبوّة سيّدي وسيّد ولد آدم وصفيّ ربّ العالمين وخاتم الانبياء ، محمد بن عبد الله الهاشمي القريشي العربي الابطحي التهامي ، صاحب القضيب والناقة والحوض والشفاعة ، حبيب رب العزّة ، ومكلّم جبرائيل الروح الامين ، الذي ارسله الله بشيرا ونذيرا الى الناس كافة ، بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون •

فدعا الناس كلهم اجمعين ، اهل الشرق والغرب ، واهل البرّ والبحر والجبل والسهل ، بالرحمة والرأفة وطيب القول وحسن الخلق والبشاشة واللين • فاستجاب هذا الخلق كلهم الى طاعة دعوته والشهادة له انه

---

٢ وقع ... هذا = ع : من رسالتي هذه •

٤ الان = زيد في ق ي : متّع الله بك•

رسول الله ربّ العالمين . واقرّ الانام كلهم طائعين مذعنين لما عرفوا من الحقّ والصدق من قوله وصحّة امره ، وما جاء به من البرهان الصريح والدليل الواضح ، وهو هذا الكتاب المنزل عليه من عند الله ، الذي لا يقدر احد من الانس والجنّ ان يأتي بمثله ، وكفى به دليلا على دعوته .

وانه دعا الى عبادة اله واحد فرد صمد . فدخلوا في دينه وصاروا تحت يده غير مكرهين ولا مجبرين ، بل خاشعين معترفين مستنيرين بنور هداه ، متطاولين باسمه على غيرهم ممن جحد نبوته وانكر رسالته وردّ امره مقاوما ومتعاليا . فمكّن الله لهم في البلاد ، واذلّ لهم رقاب العباد . الاّ من قال بقولهم ودان بديانتهم وشهد على شهادتهم ، فحقن بذلك دمه وماله وحرمته ، او ان يؤدّي الجزية عن يد وهو صاغر .

وهذه الشهادة هي التي شهد الله بها قبل ان يخلق الخلائق ، اذ كان على العرش(١) مكتوبا : " لا اله الاّ الله ، محمد رسول الله " .

اداء الصلوات الخمس

وادعوك الى الصلوات الخمس وهي الفرض ، فيها فرضان ، فرض من الله

-:-

١ العالمين = زيد في ق ي : الى من يريد انتصاحا .
٨ هداه = ق : هدايته .
١٢ الشهادة = زيد في ق ي : امتع الله بك .
١٤ الخمس = زيد في ق ي : التي من صلاها لم يخب ولم يخسر ، بل يربح ويكون في الدنيا والاخرة من الفائزين .

-:-

(١) " ان الله عزّ وجلّ كتب كتابا بيده لنفسه ، قبل ان يخلق السموات والارض ، فوضعه تحت عرشه " (مسند احمد ٢ / ٣٩٧) .
" واستخرجت " لا اله الاّ هو الحيّ القيوم " من تحت العرش " (مسند احمد ٥ / ٢٦) .

وفرض من رسوله مثل الوتر ، وهي ثلاث ركعات بعد العشاء الاخير ، وركعتان في الفجر ، وركعتان بعد الظهر ، وركعتان بعد المغرب. فمن ترك شيئا من هذه فليس بجائز له ، ويجب على تاركها الادب ويستتاب منه .

فاما الفرض فهو سبع عشرة ركعة في اليوم والليلة : ركعتا الفجر ، واربع ركعات الظهر ، واربع ركعات العصر ، وثلاث ركعات المغرب وهي العشاء الاولى ، واربع ركعات العشاء الآخرة وهي العتمة . وقد نهى رسول الله ان يقال العتمة ، وقال هي عتمة الليل ، وانما سميت العتمة لتأخرها في العشاء وابطائها .

صوم شهر رمضان

وادعوك الى صوم شهر رمضان الذي فرضه الديّان وانزل فيه القرآن ، شهر يشهد فيه الله ان فيه ليلة القدر التي هي " احسن من الف شهر " (١) . تصوم فيه نهارك كله عن المطاعم والمشارب والمناكح ، الى ان تغيب الشمس ويدخل حدّ الليل . ثم تأكل وتشرب وتنكح في ليلك كله ، حتى يتبيّن لك الخيط الاسود من الخيط الابيض ، حلالا طلقا هنيئا طيّبا من الله . فان انت لحقت ليلة القدر باخلاص نيّتك كنت قد فزت في دنياك وآخرتك.

قال الله تعالى : " يا ايها الذين آمنوا ، كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون ، اياما معدودات . فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين . فمن تطوّع خيرا ، فهو خير له . وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون .

---

٤ ويستتاب منه = ع : والقصاص.

١٣ تغيب = ع ق ي : يسقط قرص.

---

(١) ٩٧ / ٣ .

" شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان . فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا او على سفر فعدّة من ايام اخر . يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكمّلوا العدّة ولتكبّروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون .

" واذا سألك عبادي عني ، فانّي قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني . فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي ، لعلهم يرشدون .

" احلّ لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم . هنّ لباس لكم وانتم لباس لهنّ . علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ، فتاب عليكم وعفا عنكم . فالآن باشروهنّ وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ، ثم اتمّوا الصيام الى الليل . ولا تباشروهنّ وانتم عاكفون في المساجد . تلك حدود الله فلا تقربوها " (١) .

وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يقدّم الفطور ويؤخّر السحور .

الحجّ الى بيت الله

ثم ادعوك الى الحج الى بيت الله الحرام الذي بمكة ، والنظر الى حرم رسول الله والى آثاره ومواضعه ، ورمي الجمار والتلبية والاحرام وتقبيل الركن والمقام ، ومشاهدة تلك المواضع المباركة وتلك المشاعر العجيبة .

الجهاد

ثم ادعوك الى سبيل الله ، الذي هو غزو المخالفين ، وجهاد الكفرة المارقين ، وقتال المشركين ضربا بالسيف وسبيا وسلبا ، حتى يدخلوا

---

١٨ المخالفين = ع ق ي : المنافقين .

١٩ ضربا = ك٢ : قتلا .

---

(١) ٢ / ١٨٢ – ١٨٧ .

في دين الله ويشهدوا ان " لا اله الآ الله وان محمدا عبده ورسوله" او يؤدّوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

الايمــان بـالـبعـث والـمجـازاة

وابعوك الى الاقرار بان الله يبعث من في القبور ، وانه ديّانهم بالعدل ، فيكافئ المحسن بالحسنى ويجزي المسيء باساءته ، وانه يدخل اولياءه واهل طاعته ، الذين اقرّوا بوحدانيته وشهدوا بان محمدا عبده ورسوله وآمنوا بما انزل عليه من القرآن ، الجنّة التي اعدّ لهم فيها الطيّبات.

ايــات قـرآنـيـة عـن الـجـنـة والـنـعـيـم

" يحلّون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير" (١).

" وقالوا : الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ، ان ربنا لغفور شكور ، الذي احلّنا دار المقامة من فضله ، لا يمسّنا فيها نصب ولا يمسّنا فيها لغوب" (٢).

" لهم فيها رزق معلوم ، فواكه ، وهم مكرّمون ، في جنات النعيم ، على سرر متقابلين ، يطاف عليهم بكأس من معين ، بيضاء لذّة للشاربين ، لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون . وعندهم قاصرات الطرف عين كانّهن بيض مكنون" (٣).

" لهم غرف ، من فوقها غرف مبنيّة ، تجري من تحتها الانهار . وعد الله ، لا يخلف الله الميعاد" (٤).

" يقال لهم : يا عبادي ، لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون . ادخلوا

---

٤ المحسن = ق : الحسنى.

---

(١) ٢٢ / ٢٣.
(٢) ٣٥ / ٣٤ _ ٣٥.
(٣) ٣٧ / ٤١ _ ٤٩.
(٤) ٣٩ / ٢٠.

الجنة انتم وازواجكم تحبرون · يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب ، وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذّ الاعين · وانتم فيها خالدون " (١) .

" في مقام امين ، في جنات وعيون ، يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ،. كذلك ، وزوجناهم بحور عين ، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين ، لايذوقون فيها الموت الاّ الموتة الاولى ، ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ، فضلا من ربك · ذلك هو الفوز العظيم " (٢) .

وقال عزّ وجلّ :" مثل الجنة التي وُعد المتقون ، فيها انهار من ماء غير اسن ، وانهار من لبن لم يتغيّر طعمه ، وانهار من خمر لذّة للشاربين ، وانهار من عسل مصفّى ، ولهم فيها من كل الثمرات ، ومغفرة من ربهم " (٣) .

وقال عزّ وجلّ : " وان للمتقين لحسن مآب ، جنات عدن مفتّحة الابواب ، متكئين فيها ، يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب ، وعندهم قاصرات الطرف اتراب ، هذا ما توعدون ليوم الحساب ، ان هذا لرزقنا ما له من نفاد " (٤) .

وقال عزّ وجلّ في وصف الجنة : " ذواتا افنان ، فبأيّ الاء ربكما تكذبان ؟ فيهما عينان ، فباي الاء ربكما تكذبان ؟ فيهما من كل فاكهة زوجان ، فباي الاء ربكما تكذبان ؟ متكئين على فرش بطائنها من استبرق ، وجنى الجنتين دان . فباي الاء ربكما تكذبان ؟ فيهما قاصرات الطرف لم يطمثهنّ انس قبلهم ولا جان ، فباي الاء ربكما تكذبان ؟ كانهنّ الياقوت والمرجان ، فباي الاء ربكما تكذبان ؟ هل جزاء الاحسان الاّ الاحسان ؟ فباي الاء ربكما تكذبان ؟

" ومن دونهما جنتان ، فباي الاء ربكما تكذبان ؟ مدهامّتان ، فباي الاء ربكما تكذبان ؟ فيهما عينان نضاختان ، فباي الاء ربكما تكذبان ؟ فيهما فاكهة ونخل ورمان ، فباي الاء ربكما تكذبان ؟ فيهما خيرات حسان ، فباي الاء ربكما تكذبان ؟ حور مقصورات في الخيام ، فباي الاء ربكما تكذبان ؟ لم يطمثهنّ انس قبلهم ولا جان ،

---

(١) ٤٣ / ٦٨ _ ٧١ .

(٢) ٤٤ / ٥١ _ ٥٧ .

(٣) ٤٧ / ١٥ .

(٤) ٣٨ / ٤٩ _ ٥٤ .

فباي الاء ربكما تكذبان ؟ متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان ، فباي الاء ربكما تكذبان ؟ تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام * (١) .

وقال عزّ وجلّ : * وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ، حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها : سلام عليكم ، طبتم ، فادخلوها خالدين * (٢) .

وقال عزّ وجلّ : * ولقّاهم نضرة وسرورا ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ، متكئين فيها على الارائك ، لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ، ودانية عليهم ظلالها وذلّلت قطوفها تذليلا ، ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا ، قوارير من فضة قدّروها تقديرا ، ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا ، عينا فيها تسمّى سلسبيلا * (٣) .

و قال عزّ وجلّ : * ان للمتقين مفازا ، حدائق واعنابا ، وكواعب اترابا ، وكأسا دهاقا ، لا يسمعون فيها لغوا و لا كذابا ، جزاء من ربك عطاء حسابا * (٤) .

وقال تبارك وتعالى : * ان المتقين في جنات ونعيم ، فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم عذاب الجحيم ، كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ، متكئين على سرر مصفوفة ، وزوّجناهم بحور عين . والذين آمنوا ، واتبعتهم ذريتهم بايمان ، الحقنا بهم ذريتهم ، وما التناهم من عملهم من شيء ، كل امرء بما كسب رهين ، وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ، يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها و لا تأثيم ، ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون ، واقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قالوا : انّا كنّا قبل في اهلنا مشفقين ، فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم ، انّا كنّا من قبل ندعوه ، انه هو البرّ الرحيم * (٥) .

قال تبارك وتعالى : * والسابقون السابقون ، اولئك المقرّبون ، في

---

(١) ٥٥ / ٤٨ ـ ٧٨ .
(٢) ٣٩ / ٧٣ .
(٣) ٧٦ / ١١ ـ ١٨ .
(٤) ٧٨ / ٣١ ـ ٣٦ .
(٥) ٥٢ / ١٧ ـ ٢٨ .

جنات النعيم ، ثلّة من الاولين وقليل من الاخرين ، على سرر موضونة ، متكئين عليها متقابلين ، يطوف عليهم ولدان مخلدون ، باكواب واباريق وكأس معين ، لا يصدّعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين كامثال اللوءلوء المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون ، لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الاّ قيلا سلاما سلاما . واصحاب اليمين ، ما اصحاب اليمين ؟ في سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وفرش مرفوعة ، انّا انشأناهنّ انشاء ، فجعلناهنّ ابكارا ، عربا اترابا ، لاصحاب اليمين ، ثلّة من الاولين وثلّة من الاخرين " (١) .

وصف الحياة في الجنّة

فهذه ، ابقاك الله ، صفة الجنة التي اعدّها الله للمؤمنين به وبرسوله ، واعدّ لهم فيها الطيبات من الطعام والشراب وانواع الفاكهة والرياحين ، ونكاح حور عين اللات هنّ كامثال اللوءلوء المكنون ، بلا نهاية ولا انقطاع ، ياخذون كل ما تشتهي الانفس وتلذّ العيون ، ولهم فيها الكرامة والحياة والجلوس على الاسرة ، متكئين على الارائك ، ينظرون عليهم ثياب الحرير الليّن ، مترين بالاسرّة المكلّلة باللوءلوء ، تعرف في وجوههم نضرة النعيم ، يدور عليهم الولدان والوصائف والوصفاء الذين من جنسهم كاللوءلوء المكنون ، يسقون من كاسات فيها الرحيق المختوم ، الذي ختامه مسك " ومزاجه من تسنيم ، عينا يشرب منها المقربون " (٢) ، يحيّون بها باحسن التحية واطيبها ، ويقولون لهم : كلوا واشربوا وتنعّموا هنيئا لكم بما كنتم تعملون ، لا يسمعون فيها لغوا ولا يمسّهم جوع ولا لغوب ، فهم في هذا النعيم آمنون واثقون خالدون ابدا .

---

١٠ للمؤمنين به وبرسوله = ك ٢ : للمسلمين .

٢٠ واشربوا = زيد في ك٢ : وانكحوا .

---

(١) ٥٦ / ١٠ _ ٤٠ .

(٢) ٨٣ / ٢٧ _ ٢٨ .

مصير الكفّار في الجحيم

واما الكفّار الذين اشركوا بالله واتخذوا معه الانداد ولم يؤمنوا برسوله وردّوا رسالته وكذّبوا بآياته وحرّموا حدوده وحاربوه وحاربوا رسوله ، فهم اهل النار يلقونها كفاحا في جهنّم ، لابثين في نار لا تطفأ وزمهرير لا توصف عدّته ، وهم فيها خالدون ، كلما احترقت جلودهم جدّدت لهم جلود اخرى ، فمأواهم الجحيم وشرابهم المهل وطعامهم من شجرة الزقوم ، رفقاء لأبليس وجنود له وبئس المصير .

آيات قرآنية عن النار والجحيم (١)

وقال عزّ وجلّ : " الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، فبشّرهم بعذاب اليم . اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين " (٢) .

وقال تبارك وتعالى : " ان الذين يكفرون بالله ورسله ويقولون : نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا ، اولئك هم الكافرون حقّا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا " (٣) .

وقال تبارك وتعالى : " والذين كفروا لهم نار جهنم ، لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفّف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور " (٤) .

وقال ايضا : " شجرة الزقوم ، انا جعلناها فتنة للظالمين ، انها شجرة تخرج من اصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين ، فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ، ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ، ثم ان مرجعهم لالى الجحيم " (٥) .

---

٥ فمأواهم = ع ق ي : مقامهم في .
٧ عزّ وجلّ = ع : تبارك وتعالى .

---

(١) هذه الآيات عن ق ي . وهي مختصرة في ع ومحذوفة في ك٢ .
(٢) ٣ / ٢١ ـ ٢٢ .
(٣) ٤ / ١٤٩ ـ ١٥٠ .
(٤) ٣٥ / ٣٦ .
(٥) ٣٧ / ٦٢ ـ ٦٨ .

ثم : " فويل للذين كفروا من النار .... وان للطاغين لشرّ مآب ، جهنم يصلونها فبئس المهاد ، هذا فليذوقوه حميم وغساق " (١) .

وقال : " لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ....

وقال : " ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة . أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ؟... والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون ....

وقال : " وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ، حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها : ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : بلى . ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين . قيل : ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها . فبئس مثوى المتكبرين " (٢) .

"وقال الذين في النار لخزنة جهنم : ادعوا ربكم يخفّف عنا يوما من العذاب . قالوا : أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا : بلى . قالوا : فادعوا ، وما دعاء الكافرين الآ في ضلال ....

وقال : " ألم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انّى يصرفون ؟ الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ، اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ، ثم في النار يسجرون " (٣) .

وقال : " الكافرون لهم عذاب شديد .... وترى الظالمين لمّا رأوا العذاب يقولون : هل الى مردّ من سبيل ؟ وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذلّ ، ينظرون من طرف خفيّ " (٤) .

وقال تبارك وتعالى : " ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون ، لا يفترّ عنهم وهم فيه مبلسون ، وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين . ونادوا : يا مالك ، ليقض علينا ربك . قال : انكم ماكثون " (٥) .

وقال : " ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ، كالمهل يغلي في البطون كغلي

---

(١) ٣٨ / ٢٧ و ٥٥ ـ ٥٧ .
(٢) ٣٩ / ١٦ و ٦٠ و ٦٣ و ٧١ ـ ٧٢ .
(٣) ٤٠ / ٤٩ ـ ٥٠ و ٦٩ ـ ٧٢ .
(٤) ٤٢ / ٢٦ و ٤٤ ـ ٤٥ .
(٥) ٤٣ / ٧٤ ـ ٧٧ .

الحميم ، خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم . ذق ، انك انت العزيز الكريم . ان هذا ما كنتم به تمترون" (١).

وقال عزّ وجلّ : " كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ... ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما انزل الله : سنطيعكم في بعض الامر . والله يعلم اسرارهم . فكيف اذا توفّتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم . ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه ، فاحبط اعمالهم " (٢) .

وقال : "ويل يومئذ للمكذبين . انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون . انطلقوا الى ظلّ ذي ثلث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهيب . انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالة صفر . ويل يومئذ للمكذبين . هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون " (٣) .

القرار الذي يجب اتخاذه

فلك اقول ، يا خليلي ، هل سمعت بوصف احسن واعجب من هذا ، من ترغيب وترهيب ، ووعد ووعيد ، لكل جبّار عنيد ولكل مصدّق ومكذّب ولكل مؤمن وكافر ؟

فلو لم ترغب الاّ في ذلك الوصف ، لكان ذلك فيه الغنم والفوز العظيم . ولو لم ترهب الاّ من ذكر النار واهوال جهنم ، لكان في ذلك تركك الخطب الجليل ، وعليك فيه الخسران المبين .

قال الله تبارك وتعالى : " وذكّر ، فان الذكرى تنفع المؤمنين " (٤) . فاما نحن فقد ذكّرناك . فان انت آمنت وقبلت ما يتلى عليك من كتاب الله المنزل ، انتفعت بما كتبنا اليك . وان ابيت الاّ المقام على كفرك وضلالك وعنادك للحق ، كنا نحن قد أُجرنا اذ عملنا ما امرنا

---

١٢ وترهيب = زيد في ق ي : وترشيف وتهويل وتحريض .
١٣ وكافر = زيد في ق ي : ولكل مقرّ وجاحد .

---

(١) ٤٤ / ٤٣ _ ٥٠ .
(٢) ٤٧ / ١٥ و ٢٦ _ ٢٩ .
(٣) ٧٧ / ٢٨ _ ٣٦ .
(٤) ٥١ / ٥٥ .

به ، وكان الحقّ هو المنتصف منك ، ان شاء الله .

اعتناق دين الاسلام والقيام بفرائضه

فهذا ، انار الله قلبك ، ديننا القيّم وهذه شرائعه واعلامه وسننه . فان انت دخلت فيه واقررت به وشهدت على شهادته واجبت الدخول في ما دعوناك اليه من شرائعنا النيّرة واعلامنا الواضحة وسننا الحسنة ، كنت مثلنا ودنّا مثلك ، فحسبك بنا شرفا في الدنيا والاخرة .

فان نبينا ، عليه السلام ، يقول :" يوم القيامة ، كل احد مشغول بنفسه من ملاك مقرّب ونبيّ مرسل ، كلهم سكوت سواه ، وهو يقول : اهل بيتي ، اهل بيتي ، امتي ، امتي " (١) . فيجاب وتقبل شفاعته ، اولا في اهل بيته ثم في امته . ويقول الرحمن للملائكة : اني استحي ان اردّ شفاعة صفيّي وحبيبي محمد" .

اداء الصلاة والزكاة

ثم انك تصير منّا ، وتصلّي الى قبلتنا التي ارتضاها الله لنا ، وتقيم الصلاة بعد اسباغ الوضوء ، اذا كنت صحيحا وقائما على رجليك ، واذا كنت مريضا او ضعيفا فجالسا . وان كنت على سفر ، فنصف ما تصليه وانت بالحضر .

قال الله تعالى : " اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " (٢) .

واما الزكاة فهي ربع العشر اذا اتى على المال ، وهو في ملك

---

١ المنتصف = ع : المنتقم .

١٠ وحبيبي محمد = ك٢ : الاقرب .

١١ انك تصير منا = ع ق ي : تكون ممن يجب لك ما يجب .

١٢ الصلاة = ق ي : الصلوات الخمس .

---

(١) " انا سيد ولد آدم واول من تنشقّ عنه الارض واول شافع ومشفّع " . " فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعطه ، اشفع تشفّع . فارفع رأسي فاقول : يا ربّ ، امتي ، امتي " (مسند احمد ٢ / ٥٤٠ و ١ / ٢٨٢) .

(٢) ٢ / ٤٣ .

صاحبه ، حول كامل · فتصرف ذلك على المساكين من ملّتك والفقراء من اهلك ·

الزواج وتعدّد الزوجات والطلاق

وتنكح من النساء ما احببت ، لاجناح عليك في ذلك ولا لوم ولا اثم ولا عيب ، اذا انت تزوّجتها بشاهدين ، وآتيتها من المهر ما طابت به نفسك ونفسها مما تيسّر ·

ولك ان تجمع بين اربع نساء ، وتطلّق من شئت اذا كرهتها او مللتها او شبعت منها ، ولك ان تراجع ، بعد الاستحلال ، من احببت منهنّ · قال الله عزّ وجلّ : « فان طلقها فلا تحلّ له من بعد حتى تنكح زوجا غيره · فان طلّقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا » (١)

وتمتّع من الاماء ما ملكت يدك ·

وتختتن لتقيم سنّة ابراهيم ابينا خليل الرحمن وسنّة اسماعيل ابينا وابيك ، صلوات الله عليهما · وتغتسل من الجنابة ·

صوم شهر رمضان

وتصوم شهر رمضان ان قدرت · والّا ان فطرت من علّة او مرض او سفر ، بعد ان تنوي ، قضى الله ذلك ، لان الله يريد لعباده اليسر ولا يريد لهم العسر ·

الحنث في القسم

وان حنثت في قسمك ، عملت بما امر الله به في ذلك ، اذ يقول

---

٤ تزوّجتها = زيد في ع ي : بوصيّ · ق : بوليّ ·
٦ ولك ان تجمع بين = ع ي : ولا تجمع الّا ·
٧ منها = زيد في ك٢ : ولو طلقت الاربعة كل يوم وتجمع غيرهنّ ·
الاستحلال = ك٢ : استحلالها وتحجينها ·
منهنّ = زيد في ق ي : ايتهنّ تبعتها نفسك ·

---

(١) ٢ / ٢٣٠ ·

تبارك وتعالى : " لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ، بما كسبت قلوبكم . والله غفور رحيم " (١) . وكفارة الحنث عندنا معشر المسلمين اطعام عشرة مساكين من اوسط ما نطعم اعالينا او كسوتهم ، او تحرير رقبة . " فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام . ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم . واحفظوا ايمانكم . كذلك يبيّن الله لكم اياته لعلكم تذكرون " (٢) .

الحجّ والغزو

والحج واجب عليك لانه ، جلّ جلاله ، يقول : " ولله على الناس حجّ البيت من استطاع اليه سبيلا " (٣) . وذلك اذا لم يكن عليك دين ، وكانت لك راحلة وكان عندك ثمن الزاد .

والغزو في سبيل الله . نعمه الغنيمة في الدنيا عاجلا واجر عظيم في الاخرة آجلا .

الاسلام دين يضمن الجنّة

فقد سهّل الله ، وله الحمد ، على المؤمنين .

ولو لم يكن في دين الاسلام شيء الاّ الطمأنينة والامن وتسليم القلب لله والراحة ، والثقة بما يضمن الله لنا عن نفسه انه يثيبنا على ذلك في الاخرة الاجر العظيم ، ويدخلنا جنّات النعيم ونكون فيها خالدين ، وينصرنا على القوم الظالمين ، لكان في دون هذا لنا

---

٣ المسلمين = زيد في ق : قوله تعالى .
١٠ نعمه الغنيمة = ك٢ : فنعم المنيحة .
١٢ المؤمنين = زيد في ق ي : وان الله تبارك وتعالى ليحبّ ان يؤخذ بجزائمه وتشديداته . ك٢ : لان الله تعالى سهّل علينا فرائضه اهون تسهيل وخفّف عنّا شدائده .

---

(١) ٢ / ٢٢٥ و ٥ / ٩٢ .
(٢) ٥ / ٩٣ .
(٣) ٣ / ٩٧ .

الفوز العظيم .
فقد تلوت عليك من قول الله ، تبارك وتعالى ، وهو قول الحقّ ، لا يخلف وعده ولا تكذّب اقواله ، في ما سلف من كتابي هذا ما في اقلّه كناية .

اترك النصرانية وضلالها .

فدع ، ويحك ، ما انت عليه من الكفر والضلال والشقاوة والبلاء ، وقولك بذلك التخليط الذي تعرفه واعرفه انا ، وهو قولكم بالاب والابن والروح القدس ، وعبادة الصليب التي تضرّ ولا تنفع . فاني ارتابك عنه واجلّ فيه علمك وشرف حسبك عن خساسته .

فاني وجدت الله ، تبارك وتعالى ، يقول : " ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " (١) .

وقال جلّ ذكره : " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم . وقال المسيح : يا بني اسرائيل ، اعبدوا الله ربي وربكم . انه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار . وما للظالمين من انصار .
" لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة . وما من اله الاّ اله واحد . وان لم ينتهوا عمّا يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب اليم . افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه ؟ والله غفور رحيم .

ما المسيح بن مريم الاّ رسول قد خلت من قبله الرسل ، وامّه صدّيقة ، كانا يأكلان الطعام . انظر كيف نبيّن لهم الايات ، ثم انظر انّى يوءفكون " (٢) .

-.-

٣ يخلف ... اقواله = ق : لاخلف لوعده ولا تكذيب لقوله .
٤ والبلاء = زيد في ك٢ : وثقلة فرائض النصارى .
٦ واعرفه انا = ق : ولا تنكره .
٧ فاني ... خساسته = ك٢ : لاني ابجّل قدرك راجلّ شرف علمك ولم ارض لك هذا .

-.-

(١) ٤ / ٤٧ .
(٢) ٥ / ٧٨ .

والان ، يا خليلي ، دع ما انت عليه من الكفر والضلالة وتلك الحميّة الشديدة وبهد ذلك الصوم الصعب والشتاء الدائم والبلاء الطويل الذي انت منغمس فيه ، فانك لا تنتفع ولا ينالك ربح الاّ اتعابك بدنك وتعذيبك نفسك وروحك .

ادخل في الاسلام الدين القيّم

فاقبل نصيحتي وادخل في هذا الدين القيّم ، السهل المنهج ، الصحيح الاعتقاد ، الحسن الشرائع ، الواضح السبيل ، الذي ارتضاه الله لأوليائه من عباده ودعا جميع خلقه اليه من بين الاديان كلها ، تفضّلا منه عليهم واحسانا اليهم بهدايته اياهم ليتمّ بذلك نعماءه عندهم .

فقد نصحت لك ، يا هذا ، واديت اليك حقّ المودّة وخالص المحبّة ، اذ احببت ان اخلطك بنفسي وان اكون انا وانت على رأي واحد وديانة واحدة .

تنجو من النار وتنال النعيم

فاني وجدت ربي يقول في محكم كتابه : "ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها ، اولئك هم شرّ البريّة . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، اولئك هم خير البريّة ، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار ، خالدين فيها . رضي الله عنهم ورضوا عنه" (١) .

تصبح من خير امّة

وقال الله في محكم كتابه في موضع آخر : "كنتم خير امّة اخرجت

---

٢ الشديدة = زيد في ق ي : الطويلة المتعبة .
الطويل = زيد في ك٢ : وتحرم نفسك لذّة فروج النساء ولذّة البطن .
٣ فانك .... ربح = ع ق ي : وهو لا ينفع ولا يجدي نفعا لك .
٥ فاقبل .... وادخل = ع ق ي : واقبل داخلا .

---

(١) ٩٨ / ٦ _ ٩ .

للناس ، تأمرون بالمعروف" (١) .

فاشفقت عليك ، ابقاك الله ، ان تكون من اهل النار الذين هم شرّ البريّة ، ورجوت ان تكون من هذه الامّة التي هي خير امّة اخرجت للناس .

انت حرّ ان ترفض الدخول في الاسلام

فان ابيت الاّ لطاظا ولجاجا وجهلا وتماديا في كفرك وطغيانك الذي انت فيه ، ورددت علينا قولنا ، ولم تقبل ما بذلنا، لك من نصحنا ، حيث لم ترد منك علي ذلك جزاء ولا شكرا ،

اشرح لنا امر دينك

فاكتب لنا بما عندك من امر دينك والذي صحّ في يدك منه وما قامت به الحجة عندك ، آمنا مطمئنا غير مقصّر في حجّة ولا مكاتم لما انت عليه وتعتقده ، غير فرق ولا خائف ، فليس عندي الاّ الاستماع للحجّة منك والصبر والاذعان للحقّ والاقرار بما يلزمني ، طائعا غير منكر ولا جاحد ولا هائب ، حتى نقيس ما تأتينا به وتتلوه علينا ونجمعه الى ما في ايدينا .

اكتب بكل حريّة

ثم نخبرك بعد ذلك على ان تشرح لنا غاية الشرح ، وتدع الاعتلال علينا بقولك ان الفزع حجبك وقطعك عن بلوغ الحجة واحتجت ان تقبض لسانك ولا تبسطه لنا ببيان الحجة .

فقد اطلقناك وحجّتك لئلاّ تنسبنا وتدّعي علينا الجور والحيف ، فان ذلك غير شبيه بنا .

---

٣ تكون = زيد في ق ي : بتوفيق الله اياك ، من المؤمنين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وهم خير البريّة ، وان تكون .

١٧ وحجتك = ع : الحريّة في الكلام . تنسبنا = زيد في ق : الى الكبرياء .

---

(١) ٣ / ١١٠ .

فاحتجّ ، عافاك الله ، بما شئت وقل كيف اردت وتكلّم بما احببت وانبسط في كلّ ما تظنّ انه يؤدّيك الى وثيق حجّتك ، فانك في اوسع الامان .

العقل حكم بيننا

ولنا عليك ، اصلحك الله ، اذ قد اطلقناك هذا الاطلاق وبسطنا لسانك بهذا البسط ، ان نجعل بيننا وبينك حكما عادلا لا يجرر ولا يحيف في الحكم والقضاء ولا يميل الى غير الحقّ ، اذا ما تجنّب دولة الهوى ، وهو العقل الذي يأخذ به الله ويعطي .

فاننا قد انصفناك في القول واوسعناك في الامان ، ونحن راضون بما حكم به العقل لنا وعلينا ، اذ كان " لا اكراه في الدين " (١) . وما دعوناك الّا طوعا وترغيبا في ما عندنا وعرّفناك شناعة ما انت عليه .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

---

٦ الحكم والقضاء = ق : حكمه وقضائه .
١١ عليه = زيد في ك٢ : من دين نصرانيتك .
١٢ وبركاته = زيد في ي : تمّ ارشاد الهاشمي الى الكندي النصراني . زيد في ع : تمّ ارشاد عبد الله الهاشمي الى عبد المسيح الكندي النصراني ويليه جوابه له .

---

(١) ٢ / ٢٥٦ .

الجزء الثاني

رسالة عبد المسيح الكندي

المقدمة

فاجابه النصرانيّ :

بسم الاب والابن والروح القدس اله واحد .

الى فلان بن فلان من فلان ، اصغر عبيد يسوع المسيح .
سلام الله ورحمته ورأفته وتحيّاته تحلّ عليك خاصّة وعلى جميع اهل العالم عامّة ، بجوده وكرمه . امين .

الشكر على رسالة الهاشمي

اما بعد ، فقد قرأت رسالتك وحمدت الله على ما وهب لي من رأي سيدي امير المؤمنين ، ودعوت الله الذي يجيب داعيه اذا دعا بنيّة صادقة ان يطيل بقاء سيدنا امير المؤمنين في اسبغ النعم وادوم الكرامة واشمل العافية ، بمنّه ورحمته .

وذكرت ، اكرمك الله ، ما ظهر لي من شرف محبّتك لي ، وما خصّصتني به من المحبّة . فقد كان الامر قبل هذا عندي قديما ، وقد زاده

---

١ فاجابه النصراني = زيد في ك٢ : وهو يعقوب الكندي بهذه الرسالة .
ع : جواب عبد المسيح الكندي النصراني .
ي : جواب النصراني الكندي الى الهاشمي .
٢ بسم ... واحد = ك٢ : بسم الله الرحمن الرحيم .
ع ي : بسم الاب والابن والروح القدس الرحمن الرحيم .
ق : بسم الله الرحمن الرحيم . ربّ يسّر ولا تعسّر . ربّ تمّم بالخير .
٣ من فلان = زيد في ك : النصراني اليعقوبي .
الى ... المسيح = ع : من عبد المسيح اصغر العبيد الى عبد الله .
٤ سلام ... وتحياته = ق : سلامة ورحمة ورأفة وتحيّات .
ي : سلامته ورحمته وحنانه ورأفته .
٧ يجيب ... دعا = ع ق ي : لا يخيب داعيه اذا دعاه .
١٠ شرف = ق ي : فضلك بالعناية وما كشفته من لطيف .
وذكرت ... شرف = ع : وذكرت الله ثم ذكرت فضلك على ما اظهرته من لطيف .
١١ المحبّة = ع ق ي : المودّة .
قبل هذا = ع ي : فيك . ق : قبلا .

تأكيدا ما تبيّن لي من شفقتك حدبنا ، وشكري يقصر عما فعلته ، ولم تذكر الاّ ما يشبه طبعك وشرف سلفك ، وانا ارغب الى الله ، الذي بيده الخير كله ، ان يتولّى مكافأتك عني بما هو واسع له ، فانه لا يعجزه شيء ، ويحسن جزاءك عن نيّتك .

فقد ، لعمري ، افرغت مجهودك في النصيحة ولم تبق غاية ، ووجب شكرك على ذلك ، اذ كنت لم تأت بما اتيت به الاّ على المودّة والاخلاص ، وكان الذي حملك على ذلك فرط المحبّة والالفة .

وفهمت ، افهمك الله كل خير وهداك الى سبيل الرشاد ، ما اقتصصته في كتابك ، وتعمّقت فيه من الدعوة ، وشرحته من امر ديانتك هذه التي انت عليها ، وما دعوتني الى الدخول فيها ورغّبتني فيه منها . وقد علمت ، اصلحك الله ، علما حقيقيا ان الذي حملك على ذلك ما اوجبه لنا فضلك من حقّ حرمتنا بك ، ولما يظهر لك من رأي سيدنا وسيدك وابن عمّك امير المؤمنين فينا .

فهذا ، اكرمك الله ، ممّا تعجز قدرتنا على شكرك عليه ، ولا عون لنا على ذلك الاّ بالله تبارك وتعالى . فاننا نستعين به ونسأله طالبين ان يتولّى شكرك عنّا . فانه اهل لذلك والقادر عليه .

تمهيد

فاما ما دعوتني اليه من امر دينك الذي تنتحله ومقالتك التي تعتقدها ، وهي الحنيفيّة ، وانك على ملّة ابراهيم ، وما قلت فيه

---

١ حدبنا = ق ي : مستأنفا .

٢ تذكر الاّ = ع ق ي : تتعدّ . الى الله = زيد في ع ق ي : جل اسمه .

٥ في النصيحة = ع ق ي : والنصيحة عند نفسك .

٩ امر = ك : اصل .

١١ حملك على = ع ق ي : دعاك الى .

١٢ اوجبه لنا فضلك = ع ق ي : يوجبه لنا تفضّلك .

١٤ مما ... قدرتنا = ع ق ي : ما لا قوة لنا . عليه = ع ي : لاجله .

١٦ يتولّى شكرك = ع : يوفيك بالاحسان . ق ي : يشكرك .

انه كان حنيفا مسلما ، فنحن نسأل المسيح سيدنا ، مخلص العالم ، الذي وعدنا الوعد الصادق وضمن لنا الضمان الصحيح في انجيله المقدس حيث يقول : "اذا قدّمتم الى السلاطين والقضاة فلا تهتمّوا بما تقولون ولا بما تجيبون ، فانكم ستعطون ، في ذلك الوقت ، وتلقّنون ما تتكلّمون به وتحتجّون عن انفسكم من الجواب والحجّة " (١) .

وانا اثق بما وعدني به سيدنا المسيح في انجيله المقدس من انجازه وعده لي ، وادخل معك المعركة مستعينا بالله متّكلا عليه ، اذ كنت ، انا العاجز عن كل شيء ، لا اتأخّر عن دعوته النيّرة وعن دينه القويم ، وافتتح كلامي بما يؤيّدني به من ملاح القول ويلهمني من وثيق الحجّة ، كعادته عند اوليائه ، وارجو منه الظفر .

واقول مجيبا لك :

---

٩ القويم = ك ي : الافضل .
يؤيدني = ك٢ : يؤدّبني . ع ي : يزيّنني . ق : يلقّنني .

---

(١) لوقا ١٢ / ١١ ـ ١٢ . ق : يذكر نص الانجيل حرفياً ، وذلك لأنّ واضع طبعة القاهرة استحسن ان يورد حرفياً الآيات الكتابية .

الفصل الاوّل

الالهيّات : التوحيد والتثليث

دين ابراهيم

قد علمت ، ابقاك الله ، اذ زعمت انك قرأت كتب الله المنزلة ، ونظرت في ديوان اسراره المتقدمة التي هي الكتب العتيقة والحديثة ، ان في التوراة التي انزلها الله تعالى على موسى النبي ، وناجاه بجميع ما فيها واخبره اسراره ، انه مكتوب في السفر الاول المعروف بسفر الخليقة ، ان ابراهيم كان نازلا مع ابائه بحرّان ، وانها كانت سكنا لهم ، وان الله تجلّى عليه بعد تسعين سنة ، وآمن به وحُسب له ذلك برّاً (١) .

ابراهيم كان يعبد الاصنام

فقد علمنا ، اصلحك الله ، ان ابراهيم كان نازلا بحرّان مع ابائه تسعين سنة لم يعبد الاّ الصنم المسمّى العزّى ، وهو المعروف بحران ، المتّخذ على اسم القمر ، لان اهل حرّان انما كانوا يعبدون هذا الصنم ، وتلك البقيّة قائمة فيهم الى هذه الغاية ، ولا يكاتمون بها ولا يسترون منها شيئا غير القرابين التي يتّخذونها من الناس ، فان ذبح الناس لا يتهيّأ لهم جهرا ، بل يحتالون فيه فيفعلونه سرّاً . فكان ابراهيم يعبد الصنم مع ابائه واجداده واهل بلده ، كما اقررت انت ايها الحنيف وشهدت بذلك عليه ، الى ان تجلّى الله عليه .

---

٢ العتيقة والحديثة = ع : القديمة والجديدة .

٤ الاول = زيد في ع ق ي : من اسفارها الخمسة وهو .

٦ الله = زيد في ع ق ي : تبارك وتعالى .

٨ اصلحك = ق ي : يرحمك .

١٢ فيفعلونه = ع : فيصنعونه . ك : فيعملونه سرّاً . وان الله تجلّى على ابراهيم بعد تسعين سنة من عمره وآمن به وحُسب له ذلك برّاً .

١٤ الصنم = زيد في ع ق ي : حنيفا .

---

(١) تكوين ١١ / ٣١ و ١٥ / ٤ ـ ٦ .

تجلّى الله عليه فآمن به وصار موحّدا

فلما آمن به وصدّق موعده ، حُسب له ذلك برّاً ، وزال عن الحنيفيّة ، التي هي عبادة الاصنام ، وصار موحّدا مؤمنا . لاننا نجد الحنيفيّة في كتب الله المنزلة اسما لعبادة الاصنام .

التوحيد ورثه اسحق وذرّيّته

فورث ذلك التوحيد اسحق الذي هو ابن الموعد . فهو الذي قرّبه لله ، ففداه الله بالكبش من الشجرة . لانه هكذا امره الله وقال له : " اعمد الى ابنك وحيدك الذي تحبّه ، وهو اسحق ، فامض به حتى تقرّبه لي قربانا في الموضع الذي اريك" (١) .

ومن نسل اسحق ، ابن سارّة الحرّة ، خرج المسيح مخلّص العالم . فلهذه الاسباب وغيرها ورّثه ابراهيم ابوه التوحيد . ثم ورّث اسحق ابنه الذي سمّاه الله اسرائيل . ثم ورّثه يعقوب الاثني عشر سبطا . فلم يزل ذلك التوارث في بني اسرائيل حتى دخلوا ارض مصر ، ايّام الفراعنة . ثم لم يزل ذلك التراث ينقص ويضعف ، قرنا بعد قرن ، حتى اضمحلّ كاضمحلاله الذي كان في عصر ولد نوح .

اذ كان التوحيد اوّل من عرفه ابونا آدم . ثم ورثه شيث . ثم ورّث شيث انوش ابنه . وكان انوش اوّل من اعلن ذكر التوحيد ودعا اليه . ثم لم يزل يتوارث ذلك قرنا بعد قرن الى ان ورثه نوح ولده وولد ولده . ثم اضمحلّ الى زمان ابراهيم . فتجدّد ذلك التراث لابراهيم . فلم يزل يتجدّد الى ان وُلد يعقوب ، الذي هو اسرائيل . ثم اضمحلّ حتى تجدّد عندما بعث الله موسى .

---

٥ الشجرة = ق : الغدية .

١٢ الفراعنة = زيد في ع ق ي : بسبب يوسف .

---

(١) تكوين ٢٢ / ١ ـ ٢٤ .

تجلّى الله على موسى

فان الله تجلى عليه بالنار في العوسجة ، وقال له ، في مناجاته اياه ومخاطبته له : انك ترسلني الى قوم غلف القلوب . وان هم سألوني : ما اسم هذا الذي وجّهك الينا وبماذا وجّهك حتى نصدّقك ؟ ماذا اقول لهم ؟ " فقال الله مجيبا : " هكذا تقول لبني اسرائيل الذين انا موجّهك اليهم ، وبهذا القول تخاطب فرعون اذا دخلت اليه : " اهيه اشر اهيه ارسلني اليكم – تفسير ذلك : الازليّ الذي لم يزل – اله اباءكم ، اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ، ارسلني " (١) .

التوحيد وسرّ التثليث

فنجد في هذا الموضع ذكر التوحيد في الظاهر ، واسرّ القول سرّا مرموزا ، ذكر الثلاثة اقانيم حيث قال : اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب . فذكر بذلك القول ذكر الثلاثة اقانيم بعد ذكر التوحيد . فتجدّد التوحيد كما كان قديما .

فهو واحد ثلاثة اقانيم ، لا محالة ، لانه اجمل قوله : اله اباءكم ، ثم قال : اله ، مكررا ثلاث مرّات .

افنقول : انها ثلاثة الهة ، ام اله واحد مكرّر ثلاث مرّات ؟ فان قلنا : انها ثلاثة الهة ، فقد اشركنا وجئنا باشنع القول واسمجه . وان قلنا : اله واحد مكرّر ثلاث مرّات ، فقد بخسنا الكتاب حقّه ، لانه كان يمكنه ان يقول : اله اباءكم ابراهيم واسحق ويعقوب .

---

٣ سألوني = زيد في ع ق ي : وقالوا .

٥ موجّهك = ع ق : مرسلك .

٦ اشر اهيه = زيد في ك : ايل شدّاي .

٨ واسرّ القول ... اقانيم = ق : والغز عن سرّ الثالوث .

١٢ ثلاثة = ع : بثلاثة . ق : ذو ثلاثة .

١٦ بخسنا = ع : خفينا . ق ي : نخمنا .

---

(١) خروج ٣ / ١٣ – ١٥ .

فقد بقيت للكتاب علّة اخرى طالبنا بها ، وهو ان نقول : اله اباءكم ، اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ، كرّرتُ ذلك ليعلم القارئ اني قد رمزتُ في هذا الموضع وادخلتُ فيه سرّاً ، وهو ان الله اله واحد ذو ثلاثة اقانيم . فثلاثة اقانيم اله واحد ، واله واحد ثلاثة اقانيم .

فأيّ دليل اوضح من هذا ، وأيّ نور اضوأ منه ، الاّ لمن عاند الحقّ واراد ان يغش نفسه ، ويعمي عين تمييزه ويصمّ عقله عن استماع سرّ الله الذي اودعه في كتبه التي انزلها على انبيائه ؟ وهذا ، اكرمك الله ، في ايدي اصحاب التوراة الى هذه الغاية ، ولم يكونوا يفهمونه حتى جاء صاحب السرّ ، الذي هو المسيح سيدنا ، وكشفه لنا وافهمناه .

الى أيّ دين ابراهيم تدعوني ؟

فقد علمنا الآن ان ابراهيم ، منذ وُلد الى ان اتت عليه تسعون سنة ، كان حنيفا عابد صنم ، ثم آمن بالله الى ان قُبض .

فانت ، اصلحك الله ، تدعوني الى دين ابراهيم وملّته ، فليت شعري ، الى أيّ دينيه تدعوني ، وفي أيّ حالة ترغّبني ؟ أحيث كان حنيفا يعبد الصنم العزّى مع ابائه واهل بيته ، وهو يومئذ بحرّان ؟ أم حيث خرج عن الحنيفية ووحّد الله وعبده وآمن به وانتهى الى امره ، عندما امره ان ينتقل عن بلده ، فانتقل طاعنا عن حرّان دار الكفرة ومدينة اهل الضلالة ؟

فما اظنّك تستجيز في عقلك وحسن تمييزك وجودة معرفتك التي زعمت بالكتب المنزلة ودراستك ايّاها ان تدعوني الى مثل حال ابراهيم في

---

٢ كرّرتُ ... وادخلتُ فيه = ق : وانما كرّر ذلك للاشارة بان في هذا الموضع .

٤ واله واحد ثلاثة اقانيم = ك : وربّ واحد .

٧ اودعه = ع : اوعزه .

٩ السرّ = ك : الشريعة .

١١ قُبض = ع : توفّي .

١٣ دينيه = ع : مذهب ودين . ق ي : مذهبيه ودينيه .

١٦ طاعنا = ع ق ي : ظاعنا .

١٩ المنزلة = ع : المقدسة .

كفره وضلاله وعبادة الاصنام التي هي الحنيفية .

وان كنت تدعوني الى حال ابراهيم وقت ايمانه ، وما حُسب له ذلك من البرّ وقت توحيده ، فاليهوديّ ابن ابراهيم ، ياخليلي ، اولى بهذه الدعوة منك ، لانه صاحب تراث اسحق الذي ورث هذا التوحيد عن ابراهيم ابيه . فهو اولى منك واحقّ بهذا الامر .

فما لك والظلم والحيف فيما لم يجعله الله لك حقّاً ، وانت دائما تنسب نفسك الى العدل وتصفها بالنصفة ؟

ابراهيم لم يكن مسلما لأنّ اوّل مسلم هو محمد

هذا ، وصاحبك يقرّ في كتابه ويقول طائعا انه قيل له : " قل اني امرت ان اكون اوّل من أسلم . ولا تكوننّ من المشركين " (١) .

أفلا ترى انه اوّل من اسلم ، وهو اظهر هذا الاسلام ؟ فلا ابراهيم ولا غيره كانوا مسلمين قبله ، لان صاحبك قد اقرّ بذلك انه هو اوّل من اسلم .

فان ابيت ، اصلحك الله ، الاّ الوكالة بالخصومة والاحتجاج عن اليهود ، فانت تعلم ما يجب لنا عليك في الحكم ، اذا نحن طالبناك باقرار اليهودي بتوكيله اياك . فان ثبتت وكالتك له ، تساهلنا عليك وسمحنا لك في هذا الموضع ان نأخذ منك اقرارك انك اقمت نفسك ونصبتها وارقفتها موقف الخصم عن اليهودي . وانا ارى لشرفك وحسبك ان لا أحلّك هذا المحلّ واقيمك هذا المقام ، وان كنت احللته نفسك .

كيفيّة التوحيد

وانا اسألك عن هذا الواحد الذي تدعوني اليه والى الاقرار بوحدانيته

---

٦ فيما = ع : وطلبك ما . ق ي : والجنف وطلب ما .

٧ نفسك = ع ق ي : ذاتك . بالنصفة = ق : بهذه الصفة .

٨ وصاحبك = ع : ونبيك..

١٢ اسلم = زيد في ق : وفي هذا الجواب كفاية وامر مقنع لذوي الالباب..

١٥ تساهلنا .... وسمحنا = ق : فبتسهلنا عليك وسامحتنا .

---

(١) ٦ / ١٤ .

كيف تُفهمنا انه واحد ، وعلى كم نحو يقال الواحد واحدا ؟ فاذا انبأتنا ذلك علمنا انك مادى فيما اتعبت من عبادة هذا الواحد ، وان الغيث غير عالم ، فأين تبصّرك ؟

ألا تعلم ان الواحد لا يقال واحدا الاّ على ثلاثة اوجه : امّا في الجنس واما في النوع واما في العدد ؟ ولست اجد احدا يدّعي غير هذا او يقدر ان يجد غير هذه الاوجه الثلاثة ، اذا كان ذا لبّ وادراك لما يقول .

وانما اناجيك ، ابقاك الله ، بهذه المناجاة ، واخاطبك بما يخاطب ذا العقل والرأي الراسخ في العلم الداخل في الامور ، لانك لست عندي من الجهّال الذين اذا وردت عليهم مسألة غامضة ، تلطف عن غلظ طباعهم وجفاء افهامهم ، عجزوا عن فهمها وانقطعوا عن الاجابة عنها لقلّة علمهم ، فلم يكن لهم ولا عندهم من الجواب فيها غير "سبحان الله" . نعم ، سبحانه ابدا حتى تنصرم الدنيا وما دامت الاخرة ، من كل لسان ناطق وشفة متحركة .

فعلى ايّ وجه ، يرحمك الله ، تصف الله واحدا من هذه الوجوه التي ذكرتها لك ؟ أفي الجنس ام في النوع ام في العدد ؟

فان قلت انه واحد في الجنس ، صار واحدا عاما لانواع شتّى . لان حكم الواحد في الجنس هو الذي يضمّ انواعا كثيرة مختلفة ، وذلك لا يجوز في الله تعالى .

فان قلت انه واحد في النوع ، صار ذلك نوعا عاما لاقانيم شتّى ، لان حكم النوع يضمّ اقانيم كثيرة في العدد .

وان قلت انه واحد في العدد ، كان ذلك نقضا لكلامك انه واحد فرد صمد . لانّي لا أشكّ في انه لو سألك سائل عن نفسك وقال لك : كم انت؟ لم تقدر ان تقول انك واحد فرد . فكيف يقبل عقلك هذه الصفة

---

١ تفهمنا = ك ع ي : تفهمه .

٣ فاين تبصّرك = ع ك ي : لم ندع تبصيرك ذلك.

٤ ألا تعلم = ع : فانه لا يمكن . ك ي : فانه لا يعقل .

٧ وادراك لما يقول = ع ك ي : ويفهم ما تكلم به .

٩ الامور = زيد في ك ي : بدراية وفهم .

التي لا تفضل الهك عن سائر خلقه ؟ وليتك مع وصفك اياه بالعدد لم تصفه بالتبعيض والنقصان .

أتراك لا تعلم ، وانت الرجل الذي فتّشت الكتب وقرأتها وناظرت اهل الملل المختلفة ، وفهمت اختلاف مقالات اهل الاديان المختلفين المتفرقين وعرفت اعتقاداتهم ، ان الواحد الفرد بعض العدد ؟ لان كمال العدد ما عمّ جميع انواع العدد . فالواحد بعض العدد وهذا نقض لكلامك.

وان قلت انه واحد في النوع ، فللنوع ذوات شتّى لا واحد فرد .

وان كان في الجوهر واحد ، وجب ان نسألك : هل تخالف صفة الواحد في النوع عندك صفة الواحد في العدد ، او انما تعني واحدا في النوع واحدا في العدد لانه عامّ ؟ .

فان قلت : قد تخالف هذه تلك ، قلنا لك : فحدّ الواحد في النوع ، عند اهل الحكمة العارفين بحدود الكلام والعالمين بقوانين المنطق ، اسم يعمّ افرادا شتّى ، وحدّ الواحد في العدد ما لا يعمّ غير نفسه .

أفتقرّ انت ان الله واحد في الجوهر يعمّ اشخاصا شتّى ، ام انما تصفه شخصا واحدا ؟

فان كان معنى قولك انه واحد في النوع واحد في العدد ، لم تعرّف الواحد في النوع ما هو وكيف هو ، ورجعت الى كلامك الاوّل انه واحد في العدد . وهذه صفة المخلوقين كما وصفنا لك آنفا .

الله واحد في الجوهر مثلّث الاقانيم

فان قلت : هل تقدر انت الاّ تصف الله واحدا في العدد ، اذ كان كزعمك الواحد في العدد بعضا وليس بكامل ؟ قلنا لك : اننا نصفه واحدا كاملا في الجوهر مثلّثا في العدد ، اي في الاقانيم الثلاثة . فقد كملت صفته في الوجهين معا .

---

١ تفضل = ع ق ي : تفضّل .

٢ لم تصفه = ق : كنت وصفته ايضا .

٤ الملل = ع : الاعتقادات.

١٣ غير نفسه = ك : والواحد ليس بعدد بل مبدي لعدد .

اما وصفنا اياه واحدا في الجوهر ، فلاعتلائه عزّ وجلّ عن جميع خلقه وبريّته ، محسوسة كانت ام غير محسوسة ، لايشبهه شيء ولا يختلط فيه غيره ، بسيط غير كثيف ، وروحاني غير جساني ، اب ، على كلّ شيء قدير بقوّة جوهره ، من غير امتزاج ولا اختلاط ولا تركيب ؛

اما في العدد ، فانه عامّ لجميع انواع العدد ، لان العدد لا يعدّ ، وان تكن انواعه نوعين زوجا وفردا ، فقد دخل هذان النوعان في هذه الثلاثة .

فبأيّ الانحاء وصفناه ، لم نعدل به عن صفة الكمال عينا ، كما يليق ذلك به ، لتعلم ان وصفنا الله واحدا ليس مثل ما وصفته انت ، اكرمك الله . وارجو ان يكون هذا الجواب مقنعا لك وللناظر في كتابنا هذا ، اذا نظر فيه بعين الانصاف ، ان شاء الله تعالى .

واعلم ، اصلحك الله ، انه كان يمكننا ان نعقّد الكلام في هذا الفصل من كتابنا ، وكان ذلك مما يحتمله الموضوع ، لكننا احببنا ان يكون كلامنا سهلا ، يفهمه كل من قرأه واستحلى منه ، ولا تستثقله الاسماع ، ولا ينفر منه كل نحن ، فلذلك تكلّمنا مطلقا ليفهمه كل واحد .

وقد ينبغي لك ، اصلحك الله ، ان تعلم ان مناظلتنا في هذا الامر كمناظلة الاخوة المشتركين في بضاعة واحدة ورثوها عن ابيهم . فكلّ فيها مشترك ، ليس لبعضهم فيها دون بعض . فانت ونحن في الكلام سواء . فما جاء من الجواب ، وكان فيه ادنى مرارة توجب الحقّ ، فينبغي لك ان تعترف به ولا تنكره . فاننا لا ندع الاستقصاء وبلوغ الغاية القصوى في الذبّ عن حقّنا ، ودحض حجة من اراد ابطال حجتنا وامرنا وحاول ظلمنا .

الله لم يتخذ صاحبة ولا ولدا

واما قولك : انه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوءا احد ،

---

٤ شيء قدير بقوّة = ك : بفوق . ي : يقرب .

١٤ تستثقله = ك : تستشنعه . ي : تكرهه .

٢٠ فينبغي ... تنكره = ك : فليس ينبغي لك ، ابقاك الله ، ولا لمنكر ان ينكره .

فان انت انصفتنا ، والانصاف اشبه بك واولى كما ضمنت عن نفسك وعدلت في القول والزمتها قانون الحقّ ، اقررت ان الذي الزمه ان له خليلا وله حبيبا وله منبّأ هو الذي عنّح عليه والزمه ان له صاحبة وانه اتّخذ ولدا وكان له كفوًا احد .

فنحن ، اصلحك الله ، لا نقول ان الله تبارك وتعالى كانت له صاحبة ، ولا انه اتّخذ ولدا ولا انه كان له كفوًا احد ، ولا نصف الله عزّ وجلّ بمثل هذه الرذائل والخسائس من صفات التشبيه . وانما هذه شُبُهات لكم من قبل اليهود ، حيث ارادوا كيدكم بذلك ، فلفّقوا هذه القصص التي يقصّونها على ظهور الطرقات والشوارع و يتكلّمون بالعظائم وبكل شنيع من الكلام .

والّا فانت تعلم ، اذ كنت ذا علم بالكتب ، ان ليس في الكتب المنزلة لهذا ذكر ، ولا في كتابك ايضا حيث كثر التشنيع فيه علينا ، وادّعى على المسيح سيدنا ومحيي البشر الدعاوي التي لم يقلها قط ، ممّا اكره تطويل كتابي بها ، وتعريف القصّة في تناقضها والاخبار باسبابها ، وكيف كان ذلك من حيلة وهب بن المنبه (١) وعبد الله بن سلّام (٢) وكعب المعروف بالاحبار (٣) اولاد اليهود ، وكيدهم وبهتهم وكيف احتالوا في ادخال ذلك وغيره من تلك التشنيعات علينا ، اذ

---

٨ فلفّقوا = ك : فتلفّظوا .

١٢ ولا ... حيث = ق : فتقبله عقولنا او نتكلم عنه . وانما هو كتابك الذي .

١٦ وبهتهم = ع ق پ : ونعتهم .

---

(١) وهب بن المنبه (٦٤٦ ـ ٧٢٨) يهودي يمني ، اسلم ، وهو من التابعين . مؤرّخ اشتهر بمعرفته اخبار اهل الكتاب . روى عنه مؤرّخو العرب كثيرا من الاسرائيليّات ، اي احاديث الانبياء واخبار بني اسرائيل .

(٢) عبد الله بن سلّام (توفي سنة ٦٦٣) يهودي الاصل . اعتنق الاسلام وكان من الصحابة . روى عنه الطبري .

(٣) كعب الاحبار (توفي سنة ٦٥٢) من اقدم رواة الحديث . كان يهوديا يمنيا ، فاعتنق الاسلام على ايام ابي بكر .

اذ كنت محتاجا الى ذكر قصّتهم في موضع آخر من كتابي هذا ٠

فاما نحن فلم نقل قط ولا نقول ابدا ان الله تبارك وتعالى اتّخذ صاحبة ، وليس قولنا الاّ ان لله ابنا ازليا منه الذي هو الكلمة الخالقة ، وليس بقول من قال انه اتّخذ ولدا ٠ فقد نعلم ما في هذا الكلام من الشناعة والتناقض والفرية على الله وكلمته ٠

صفات الله

وكيف ، ونحن نقول ان الله الازليّ ، الحيّ بكلمته وروحه ، لم يزل حكيما رؤوفا ٠ فاذا وصفناه ، تبارك وتعالى ، بالرأفة والرحمة ، والملك والعزّة ، والسلطان والجبروت والتدبير ، وما اشبه هذه الصفات ، فانما هي صفات لما يظهر من افعاله ، لانها اختراعات عقول الناس ، فاشتقّوها له اشتقاقا من اجل فعله اياها ، فاستوجبها جلّ وعزّ بالكمال والحقيقة ، كما استوجب جميع ما سمّي به من اجل فعله له ٠

فاما صفات ذاته ، تبارك وتعالى ، فجوهر ذو كلمة وروح ازليّ ، لم يزل متعاليا عن جميع النعوت والصفات ٠

ولننظر الان في هذه الصفات من " حيّ " و " عالم " ٠ أهي اسماء مفردة مرسلة ، أم اسماء مضافة تدلّ على اضافة شيء الى شيء ؟ وقد يجب علينا ان نعلم ما الاسماء المضافة وما الاسماء المفردة المرسلة ٠

فاما الاسماء المرسلة فهي كقول القائل : ارض او سماء او نار او ماء او كل ما كان بما قيل شبيها مما لا يضاف الى غيره ؛

واما الاسماء المضافة الى غيرها : كالعالم والعلم والحكيم والحكمة

---

١ اذ كنت ... هذا = ق : بل وعليكم ٠ وان فحصت عن ذلك في كتابك عرفت حقيقته ٠

٣ صاحبة = زيد في ق : وولد ولدا ٠

٤ فقد نعلم = ق : وانت حرسك الله تعلم ٠

٥ وكلمته = زيد في ع ق پ : وروحه ٠

٧ حكيما = ع ق پ : حليما ٠

٩ لانها اختراعات = ع : وما هي الاّ من اختراعات ٠ ق : وقد اخبرت عنها ٠

وما اشبه ذلك · فالعالم عالم بعلم ، والعلم علم عالم ، والحكمة حكمة حكيم · وهذا القول نظير لما وصفنا ، ونقتصر عليه لكيلا يخرج بنا اتّساع الكلام الى الكثرة ·

التمييز بين الصفات الازلية والصفات المكتسبة

فاذ قد بيّنّا ما الاسماء المفردة وما الاسماء المضافة الى غيرها ، وجب ان نسأل عن الموصوف بهذه الصفة : ألازمة هي لجوهره في ازليّته أم انما اكتسبها له اكتسابا ، واستوجب الوصف بها من بعد ، كما استوجب ان يوصف ان له خليقة حيث خلق ؟ وسائر ذلك مما لم اذكر من اسماء يسمّى بها وصفات يحكى بها لفعله اياها ·

فاذا قيل : كما قد يوصف انه كان ولا خلق له حتى اتى على ذلك بالفعل ، هكذا يجوز ان يقال : قد كان الله ولا حياة له ولا علم ولا حكمة حتى صارت الحياة والعلم والحكمة لديه موجودة · وهذا محال ان يكون الله ، عزّ وجلّ ، خلوا طرفة عين من حياة وعلم ·

فان قلت ان الامر غير ما ظننت ووصفت لما يلزمك من الشنعة ، لانه قد يوصف ان لله خليقة قبل تقارب شيء منها بالفعل ، قلنا : انما هما وجهان ، اما ان يكون الله وحده لم يزل وما سواه محدثا ، او ان تزعم ان البريّة والخليقة ازليّة ايضا غير محدثة · فلا احد الاّ نفيها على من وصف الخلق بشيء من ذلك · فاذن لا محالة يقال ان الله ، وله الحمد ، قد كان من غير ان يكون شيء من الخلق والخلائق موجودا ·

وكيف جاز ان يوصف ان لله خليقة اذ لم يخلق بعد ، حتي اتى الوقت الذي فيه شاء ان يخلق فخلق ما خلق ، الا ان نقول : من اجل انه قادر على ان يخلق اذا اراد ، فقد يجب ان يوصف ان له خلقا منذ الازل ؟ فليوصف اذا ، لانه لم يزل ، انه قد اقام القيامة واحيى الموتى وبعث من في القبور ، وقد ادخل الجنّة جميع الابرار ، وملأ

-.-

٨ يحكى = ع ى ي : تجلّى ·

١١ محال = زيد في ع ق : من الكلام ·

١٤ تقارب = ق : ان يقارن ·

١٦ احد ··· وصف = ع ق .. : احسك الاّ ناقما (ق : ناقضا) علـ. مـ. بصف ·

جهنّم بمن كان مستوجبا . مع اني لا آمنّ ان احدا من العقلاء يقرّ بهذه الصفة . فينبغي ان نرجع ، اصلحك الله ، الى ما يوجبه النظر في المناظرة .

الصفات الازليّة : الحياة والعلم

ونعلم ان الصفات في الله تبارك وتعالى صفتان مختلفتان : صفة طباعيّة ذاتيّة لم يزل موصوفا بها ، وصفة اكتسبها وهي صفة فعله .

فاما الصفات التي اكتسبها من اجل فعله ، فمثل رحيم وغفور ورازق . واما الصفات المنزلة ، التي هي طباعيّة ذاتيّة ، التي لم يزل عزّ وجلّ موصوفا بها ، فهي الحياة والعلم ، فان الله لم يزل حيّا عالما . فالحياة والعلم اذن ازليتان لا محالة .

الله واحد ذو كلمة وروح

فاذ قد ثبتت هذه المنسوبة اليه ، اعني الحياة والعلم ، فقد ثبت ان الله واحد ذو كلمة وروح ، ثلاثة اقانيم قائمة بذاتها ، يعمّها جوهر اللاهوت الواحد . فهذه صفة الواحد المثلّث الاقانيم الذي نعبده ، وهي الصفة التي ارتضاها لنفسه ، ودلّنا على سرّها في كتبه ، على السن انبيائه ورسله .

النصوص الكتابيّة الدالّة على الاقانيم الثلاثة

فاوّل ذلك ما ناجى به موسى كليمه حيث اعلمه كيف خلق آدم . فقال

---

١ مستوجبا = زيد في ق : لذلك منذ الازل ، لانه قادر على ذلك .
٥ اكتسبها = زيد في ع ق ك : له اكتسابا .
٦ ورازق = ع ق : ورؤوف .
٨ والعلم = زيد في ع : والحكمة .
١٠ فاذ ... فقد ثبت = ع ق ي : فقد صحّت نتيجة هذه المقدّمات .
١١ بذاتها = ع ك ي : بنفسها .
١٣ كتبه = ع ق ي : كتب ديوانه المنزل .

في السفر الاوّل من كتاب التوراة : " في البدء الالهة برأ السموات والارض " (١) . فبهذا يشير الكتاب المقدّس الى تثليث الاقانيم ووحدة الطبيعة ، لانه بقوله " الالهة " بصيغة الجمع يشير الى الاقانيم الثلاثة ، وبقوله " برأ " بضمير المفرد يشير الى وحدة الطبيعة والجوهر الذي هو للاقانيم الالهية الثلاثة (٢) .

وقال ايضا في هذا السفر ان الله قال ، عند خلقه آدم : " لنصنعنّ انسانا بشبهنا ومثالنا " (٣) ، ولم يقل جلّ وعزّ : " اصنع بصورتي وشبهي " .

وقال تبارك وتعالى ، في موضع آخر من هذا السفر ، عندما اراد ان يخلق حوّاء : " لا يجمل أن يكون آدم وحده ، فلنجعل له معينا مثله " (٤) ، ولم يقل : " اجعل " .

وقال جلّ وعزّ : " ان آدم قد صار كواحد مثلنا " (٥) ، توبيخا له من اجل خطيّته ومعصيته الوصيّة في اكله من ثمرة الشجرة التي امره الله الاّ يأكل منها . فعصاه ، واكل ، فورث بذلك موت الخطيّة . ولم يقل تبارك وتعالى : " مثلي " .

وقال تبارك وتعالى في موضع آخر من هذا السفر : " تعالوا ننزل ،

---

٦ وقال ... السفر = ك : فقال في السفر الاوّل من التوراة .
١٠ يجمل = ى : يحلّ . فلنجعل = ك : فلنخلق .
١٢ مثلنا = ى ك ب : منّا .
١٣ امره ... يأكل = ع : نهاه عن الاكل .

---

(١) تكوين ١ / ١ . يذكر الكندي الاية بحسب النصّ العبراني الذي يسمّي الله " الوهيم " بصيغة الجمع .

(٢) هذه الفقرة ناقصة في ك .

(٣) تكوين ١ / ٢٦ .

(٤) " ٢ / ١٨ .

(٥) " ٣ / ٢٢ .

فتفرّق بين الالسن " (١) . وذلك لانهم اجتمعوا ليبنوا البرج ، فعرف الله ضعف رأيهم وقلّة منفعتهم بما ذكروا ان يبنوا صرحا يكون شهوقه في السماء ، لانهم ذكّروا ان يصير لهم ملجأ ومهربا من الطوفان اذا جاءهم مرّة اخرى . والله تبارك وتعالى عالم انه قد كان عاهد نوحا انه لا يأتي الطوفان مرّة اخرى على وجه الارض . فكان بناء هؤلاء والذكر في هذا سخفا وسفها . فغيّر السنتهم ليتعطّلوا عن امضاء ذكرهم الردي الذي لا معنى له . ولم يقل : " انزل وافرّق " .

فهذا ما ناجى به الله موسى فخبّرنا بهذا السرّ في الاقانيم الثلاثة عن الله تبارك وتعالى .

أفترى لنا ، اصلحك الله ، ان ندع كلام الله جلّ وعزّ ، والسرّ الذي اودعه موسى نجيّه ، وتصحيح موسى ذلك بالعلامات العجيبة والايات الباهرة التي لا يمكن احدا من الادميين ان يأتي بمثلها ، وتصريحه لنا هذا التصريح عن تعليم الله ، ونقبل قول صاحبك بلا حجّة ولا آية ولا اعجوبة ولا دليل واضح ولا برهان ساطع ، حيث يقول : " ان الله فرد صمد " ، ثم يرجع فيناقض قوله ويقول ان له روحا وكلمة (٢) ؟ فهو قد وحّد وثلّث من حيث لا يعلم . وما اظنّك ترى ذلك صوابا ، اذا انت انصفتنا .

ودانيال النبي يخبرنا في كتابه بان الله قال لبختنصّر : " لك نقول يا بختنصّر " (٣) ، ولم يقل : " لك اقول " .

صيغة الجمع وتعدّد الاقانيم

وفي كتابك ايضا شبيه بما ذكرنا من قول موسى ودانيال عن الله ،

---

٦ امضاء = ق : انفاذ .

٨ فهذا ... فخبّرنا = ك : فكان نجيّ الله موسى يخبّر .

١٣ صاحبك = ع : نبيّك .

١٨ نقول = ق : يقولون .

---

(١) تكوين ١١ / ٧ .

(٢) القران ٥ / ٧٦ .

(٣) دانيال ٤ / ٣١ .

من : فعلنا وخلقنا واوحينا واهلكنا ودمّرنا ، مع نظائر لهذه كثيرة . أفبتك احد بعقل ان هذا القول قول جمع لا قول فرد ؟

فأن ادّعيت ان العرب قد اجازت هذا القول ، واستعملته في كلامها ومخاطبتها تريد به التفخّم ، قلنا لك ، ايها الملفّق للكلام ، انه لو كانت العرب وحدها هي التي ابتدعته لكان لك في ذلك تعلّق . فاما اذ قد سبق العرب في ذلك العبرانيون والسريانيون واليونانيون ، وغيرهم من الالسن المختلفة على غير تواطؤ ، فليس ما وصفت من اجازة العرب ذلك حجّة .

مع انه من اين اجازت العرب هذا القول ؟ فان قلت : بلى ، قد اجازته حيث يقول الرجل الواحد : امرنا وارسلنا وقلنا ولقينا وما ابيه ذلك . فنقول لك : ان ذلك صحيح جائز في المؤلّف من اشياء مختلفة والمركّب من اعضاء متشابهة ، لان الانسان واحد وكثيرة اجزاؤه . فاوّل الاجزاء من الانسان النفس والجسد ، والجسد ايضا مبنيّ من اركان شتى واعضاء كثيرة ، فلذلك جاز له ان ينطق بما وصفت .

وكيف يقول الله : قلنا وامرنا واوحينا ، اذ هو عدد واحد كما زعمتم ؟

فان قلت : ان ذلك تعظيم لله واجلال وتفخيم ان يقول : ارسلنا وامرنا واوحينا ، قلنا لك : لعمري ، لو لم يقل ذلك من ليس بمستحقّ للتنظيم لجاز قولك . فاما اذ يتفوّه به من كان حقيرا وضيعا لم يثبت قولك ان ذلك تعظيم له .

ولكن الله سبحانه وتعالى ، ليُعلمنا انه واحد ذو ثلاثة اقانيم ، نطق بكلتي اللفظتين من امرت وامرنا وخلقت وخلقنا واوحيت واوحينا . فامرت واوحيت وخلقت دليل على ان الله جوهر واحد ، وامرنا واوحينا وخلقنا دليل على انه اقانيم ثلاثة .

---

٥ ذلك = ع ى : كلامك .

٢١ الله ... اقانيم = ك : لتعلم ان الله واحد ثلاثة من حيث .

٢٣ فامرت ... ثلاثة = ى : فان الاولى دليل على الوحدانية والثانية على تعدّد الاقانيم .

وان قلت ان الضمير هنا لا لجمع المتكلمين بل للمعظّم نفسه ، وهذا مما يليق بالجلال الالهي ، اجبتك ان هذا، وان كان واجبا للجلال الالهي ، لكنه ليس هو المراد هنا . ويدلّنا على ذلك قوله تعالى : " ان آدم قد صار كواحد منّا " . هذه العبارة تصرّح بحقيقة التثليث غاية التصريح ، وتحقّق انه ليس المراد بضمير الجمع التعظيم بل حقيقة الجمع الذي يصدق على ثلاثة . لانه لو لم يكن هذا هو المراد لمّا قال هنا : " قد صار كواحد منّا " بل " كمثلنا " . فليس اذا الضمير بهذه العبارة للمعظّم نفسه بل لجمع المتكلمين (١) .

ترائي الله لابراهيم

وبيان ذلك من قول موسى النبي ، انه اخبر عن الله في التوراة التي انزلها عليه : " ان الله ترائى لابراهيم ، وهو في موضع يُعرف ببلوط ممرى جالس بباب خبائه ، وذلك في وقت احترار النهار . فرفع ابراهيم عينيه ، فنظر الى رجال ثلاثة وقوفا بازائه . فبادر اليهم مستقبلا ، وسجد وقال : ربّ ، ان كنتَ رامقا اليّ بعين الرحمة فلا تتجاوز عبدك " (٢) .

ألا ترى ان المنظور اليهم من ابراهيم ثلاثة ، وان المخاطبة لهم مخاطبة شخص واحد؟ فسمّاهم ربّاً واحدا وتضرّع اليه ان ينزل عنده ، فعدد الثلاثة سرّ الاقانيم الثلاثة ، وتسميته اياهم ربّاً واحدا ، لا اربابا ، سرّ لجوهر واحد . فهي ثلاثة بحقّ وواحد بحقّ ، كما وصفنا .

ثم ان موسى اخبر ان الله قال : " اسمع يا اسرائيل ، الرب الهك ربّ واحد " (٣) . معنى ذلك ان الله الموصوف بثلاثة اقانيم هو ربّ واحد.

---

٩ وبيان ذلك من = ع : ثم دليل اخر على تحقيق ذلك هو .

١٣ رامقا ... الرحمة = ع ق : متلقيا قولي بالرحمة .

١٦ اليه = زيد في ع ق ي : سائلا طالبا .

---

(١) هذه الفقرة بحسب ع ، وهي ناقصة في ق ك ي .

(٢) تكوين ١٨ / ١ ـ ٣ .

(٣) تثنية ٦ / ٤ .

تصريحات داود في المزامير

وداود النبي قال في زبوره عن الله : "بكلمة الله خُلقت السموات وبروح فيه كل اجنادها" (١) . فقد افصح داوا وصرّح واجهر بالثلاثة اقانيم حيث قال : الله وكلمته وروحه . فهل زدنا في وصفنا على ما قاله داود ؟

ثم انه قال في موضع اخر من كتابه ، تحقيقا بان كلمة الله اله حق : "ولكلمة الله اسبّح" (٢) . أفكان داود عندك يسبّح لغير الله ؟ ما اظنّك تجترئ ان تقول هذا .

ثم انه يقول في موضع اخر من كتابه : "يباركنا الله الهنا ويباركنا الله . فلتخشاه جميع الارض" (٣) . أفداود كان يطلب ان يبارك عليه اله واحد ام الهة ثلاثة ؟ ولكنه رمز في كتابه الى ذكر الثلاثة اقانيم انها اله واحد .

تصريحات اشعياء النبي

وقال اشعياء النبي المحمود عن الله : "منذ بدأتُ ، لم انطق خفية ، ومنذ كانت ، فثم انا . والان ارسلني الرب الاله وروحه" (٤) .

وهذا هو قولنا : ثلاثة اقانيم اله واحد ورب واحد ، لم نخرج عن حدود كتب الله المنزلة ، ولم نزد فيها ولم ننقص منها شيئا ، ولا بدلّناها ولا حرّفناها ، كادعائك علينا بالتحريف والتبديل . ولسنا ندع مناظرتك في التحريف والتبديل بما يعلم به العاقل ، اذا نظر

---

١ زبوره = ع ي : مزاميره .

٢ اجنادها = ع ي : قواتها .

٨ يباركنا ... الارض = ع ي : "تبارك الله الهنا . مبارك الله يوما فيوما . يسهّل الله علينا" (مزمور ٦٨ / ٢٠) .

---

(١) مزمور ٣٣ / ٦ .

(٢) " ٥٦ / ١١ .

(٣) " ٦٧ / ٧ ـ ٨ .

(٤) اشعيا ٤٨ / ١٦ .

في كتابنا هذا ، انك قد ظلمتنا ، بل ظلمت الحقّ ، وادّعيت علينا فعل ما لم نفعله . ولا ندع تقرير ذلك عندك فيما بعد ، ان شاء الله تعالى .

ولنرجع الان الى كلامنا ، لانخرج منه حتى نستوفيه ونوفيك الشهادات من كتب الله المنزلة ومن ديوان اسراره المقدسة على صحّة قولنا ، وحقّنا الذي في ايدينا ، وصدق متهاجنا . ونستعين بالله على ذلك .

ثم وصف اشعياء النبي ان الله عزّ وجلّ تراءى له ، والملائكة حافون به مقدسون له قائلين : " قدوس ، قدوس ، قدوس رب العزّة المملوءة السموات والارض من تسابيحه " (١) .

فتقديس الملائكة ثلاث مرّات ، واقتصارهم على ذلك بلا زيادة ولا نقصان ، سرّ لتقديسهم الاقانيم الثلاثة الها واحدا وربّا واحدا . هذا تقديسهم منذ خلقوا وما بقوا الى الابد ، لا انقطاع لذلك ولا زوال ولا غاية ولا منتهي .

ولو شئتُ ان اطر عليك من الشهادات بالتصريح والاجتهاد في القول ان الله واحد ذو ثلاثة اقانيم ، من الكتب المقدسة المنزلة ، لفعلت ذلك . لكني كرهت التطويل واقتصرت على ما كتبت ، ولما ذكرته في كتابك انك درست كتب الله المنزلة حقّ دراستها . فان كنت قد قرأتها كما ذكرت فقد استدللت بيسير ما كتبتُ به اليك على كثير ما في كتب الله المنزلة من اسرار اقانيمه وتوحيده .

ولقائل اذا اعترض وقال : لِمَ لم يصرّح الله في الكتب المنزلة عن سرّ ثالوثه غاية التصريح ؟ فالملحوظ من ذلك هو خذرا من ان يتهور الاسرائيليون ، من قبل ذلك ، الى وحدة عبادة كثرة الالهة التي كانوا منصبّين اليها جداً . الاّ انه ، عزّ وجلّ ، قد رسم هذا السرّ الالهي بمواضع كثيرة من اسفارها ، واشار اليه بعبارات ورسوم كثيرة

---

٦ متهاجنا = ك : قولنا بالله .
٨ العزّة = ع : العبارات .
١١ تقديسهم = ق : شأنهم .

---

(١) اشعيا ٦ / ١ _ ٢ .

كافية للفهم ، كما تقدّم نصّ بعضها آنفا ، وذلك ليؤنّس الايمان بهذا السرّ ، حتى اذا ما تهذّبت عقولهم وابتعدوا عن عبادة كثرة الالهة اكثر بعدا ، كشف لهم ذلك غاية الكشف بكتابه الحديث ، اي في انجيله المقدس الذي هو كمال الناموس العتيق وغايته ، واجتذبهم الى الاعتقاد به جلوا من اشارات ورموز ، كما يأتي بيان ذلك في كتابنا آخرا (١) .

الله واحد : واحد في التثليث ومثلّث في التوحيد

فانا ، ابقاك الله تعالى ، ادعوك ، بعد هذا الشرح والبيان الذي قد اوضحته لك ، وكيفته بين يديك ، وصحّ عندك وفي فكرك ، ورضي به عقلك ، الى عبادة هذا الواحد الذي شرحت لك كيف هو : واحد ثلاثة وثلاثة واحد ، وليس كدعائك اياي الى امر مدغم مبهم ، مجهول غير معقول .

فاستعمل ، انار الله عقلك وقلبك ، ما ضمنته عن نفسك ، فان الوفاء عند الله بمكان الدين . وقد ينبغي لك ، اصلحك الله ، ان تميّز الكلام وتعلم كيف مخارجه ولا تعسف معانيه . فليس دعائي اياك الاّ الى الله الواحد الذي هو ثلاثة اقانيم ، كامل بكلمته وروحه ، واحد ثلاثة وثلاثة واحد .

الله ليس ثالث ثلاثة

ومن هذه الجهة ليس هو ثالث ثلاثة ، كما شنّع في القول صاحبك علينا حيث يقول : " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة . وما من اله الاّ اله واحد . وان لم ينتهوا عمّا يقولون ، ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب اليم . أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه ؟ والله غفور رحيم " (٢) .

فهذا قول صاحبك . وكنت احبّ ، اكرمك الله ، ان اعلم من هؤلاء الذين يقولون ان الله ثالث ثلاثة . أمن فرق النصرانية هم ام لا ؟ وانت قد اتعبت معرفة الفرق الثلاث ، وهي لعمري الفرق الظاهرة .

---

(١) هذه الفقرة بحسب ع ، وهي ناقصة في ق ك ي .

(٢) القرآن ٥ / ٧٦ .

فهل تعلم ان احدا منهم يقول ان الله ثالث ثلاثة ؟ ما اظنّك تعرفه ولا نحن نعرفه . اللهمّ الاّ ان يكون اراد صنفا يسمّون المركيونية (١) ، لانهم يقولون بثلاثة اكوان يسمّونها الهة مفترقة : فواحد عدل ، واخر رحيم ، واخر عزيز . وليس اولئك نصارى ولا يسمّون بهذا الاسم . فاما اهل النصرانية ، وكل من انتحل هذا الاسم ، فانه بريء من هذه المقالة ، جاحد لها ، كافر بها . وانما قولهم ان الله واحد ، ذو كلمة وروح من غير افتراق .

القران يعترف بان الله ذو كلمة وروح

وقد اقرّ صاحبك بهذا حيث يحثّكم على الايمان بالمسيح ، سيدنا ومخلّص العالم ، اذ امركم بذلك ودعاكم اليه اذ يقول : "انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه . فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا "ثلاثة" . انتهوا خيرا لكم" (٢) .

فافهم كيف اوجب ان الله تبارك وتعالى ذو كلمة وروح ، وامرك ان تؤمن به ، وافهمك ان المسيح كلمة الله تجسّدت وصارت انسانا .

---

٢ صنفا = ق : صنفًا .
٥ انتحل = ع ي : اتّخذ .
٨ سيدنا ... العالم = ع ق ي : سيد العالم ومخلص البشر .
٩ يقول = زيد في ق : يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الاّ الحقّ .
١١ لكم = زيد في ق : انما الله اله واحد .
١٢ وافهمك = ق : وصرّح .
كلمة ... انسانا = ك : انسان كامل متجسّد بكلمة الله متّحد بها .

---

(١) المركيونية ، نسبة الى مركيون (توفّي حول ١٥٥) . كاتب مسيحي ، نشر كتاب "المتناقضات" ، اظهر فيه الفرق بين العهدين القديم والجديد ، جزئي الكتاب المقدس ، ولم يعترف الاّ باله العهد الجديد . فاحدث بدعة كانت اولى الكنائس المنفصلة .

(٢) القران ٤ / ١٧٠ .

فهل يكون من البيان والتصريح اكثر من هذا ؟ ثم ختم بقوله : " ولا تقولوا ثلاثة الهة " ، او تتوهمون ذلك في الله جلّ وعزّ ، بل انتهوا عنه ، فانه لعمري خير لكم الاّ تقولوا بمقالة مركيون ، الكلب الجاهل ، انها ثلاثة الهة .

وارجو ان اكون قد شرحت لك كيف مذهبنا ومعنى قولنا ان الله واحد ذو كلمة وروح ، واحد بثلاثة اقانيم . وقد اوضحته لك ايضا حتى يكون لك فيه ، ولكل من نظر في جوابنا ، كفاية ومقنع ، اذا هو لطّف النظر ودقّق الذكر ونصح نفسه ، ان شاء الله .

---

١ البيان = زيد في ع ق ي : والشرح او من الايضاح .
٥ لك = زيد في ق : اكرمك الله .
٧ جوابنا = ك١ : كتابنا .

الفصل الثاني

محمّد ، رجل متسلّط أم نبيّ رسول ؟

فلنرجع الان الى الباب الآخر من كتابك ونجيبك عنه ، فاقول :

هل من الحقّ الاقرار بنبوّة محمّد ؟

قد فهمتُ ما دعوتني اليه من الشهادة لصاحبك ، والاقرار بنبوّته ورسالته ، وما عظّمتَ من امره .

واما تعظيمك اياه وتفخيمك امره ، فلسنا نجادلك فيه ولا نردّه عليك ، وليس عندنا فيه الاّ تسليمه لك والسكوت عنك ، اذ كنت اولى الناس بقرابتك وقرابتك اولى الناس بك .

ولكن هلمّ نناظرك في ما دعوتنا اليه من الاقرار بنبوّته بان ذلك حقّ واجب . فان كان حقّا واجبا ، فلا ينبغي لنا ولا لأحد ذي عقل ان يمتنع او يمتعض من قبوله ، فانه لا يمتنع من الاقرار بالحقّ الاّ ظالم معاند وجاهل المعرفة ، وان كان غير حقّ فلا ينبغي لك ان تقيم على غير الحقّ ، فكيف تدعونا اليه ؟ فانك اذا فعلت ذلك كنت ظالما لنفسك اوّلا ، وآثما ، ثم متعديًا على من تدعوه الى غير الحقّ .

فهلمّ الان نطرح فيما بيننا القضيّة ، ونفحص عن اوّل قصّة صاحبك الذي تدعونا الى الاقرار له بالنبوّة ، ونشرحها من اوّلها الى آخرها ، ونتبحّرها تبحّرا ثانيا ، ونتناظر فيها مناظرة نصفة ، ولا نميل الى الهوى الذي يرى بعين الميل والجور . فان هذا امر جليل الخطب ، عظيم القدر ، شريف المنزلة ، فعلى حسب ذلك يكون النظر فيه وتفتيشه والفحص عنه .

---

٤ فلسنا ... فيه = ك : فان هذا ليس بمجادل عليه .
ع ي : لسنا نجازيك عليه .
٥ فيه = ع ي : امنية .
١٠ معاند ... المعرفة = ع ك ي : متعدّ او جاهل بمعرفة قدر الحقّ .
١٣ فيما ... القضيّة = ع ك ي : عنّا العصبية .
١٥ ونتبحّرها تبحّرا = ك : ونختبرها اختبارا .
١٦ الذي يرى = ع ك ي : الردي الناظر .
١٧ وتفتيشه ... عنه = ك : والبحث عنه بتأنّ وتروّ .

طفولة محمد وعبادته الاصنام

انت تعلم ، ونحن معك ، ان هذا الرجل كان يتيما في حجر عمّه عبد مناف ، المعروف بابي طالب(١) ، قد كفله عند موت ابيه ، وكان يقوته ويمونه . وكان يعبد الاصنام : اللات والعزّى ، مع عمومته واهل بيته بمكّة ، على ما حكى هو في كتابه ، واقرّ به على نفسه اذ يقول " ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالاّ فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى ؟ " (٢) أفلا تعلم انه اوجب بهذا القول الاقرار على نفسه انه كان يتيما فآواه ، وضالا فهداه ، وعائلا فأغناه ؟

تزوّجه خديجة وغناه

ثم نشأ في ذلك الامر حتى صار في خدمة عير لخديجة بنت خويلد (٣) ، يعمل فيها باجرة ، يختلف بها الى الشام والى غيرها من المواضع ، الى ان كان ما كان من امره وامر خديجة وتزوجه اياها للسبب الذي تعرفه .

اراد الترأس على عشيرته

فلما قوّته بمالها ، نازعته نفسه الى ان يدّعي الملك والترأس على

-:-

١ تعلم = زيد في ى : اكرمك الله .

٣ ويمونه = ع ى ي : ويمنع عنه .

٥ فآوى ... فأغنى = فآواك وضالا فهداك وعائلا فاغناك .

٩ يختلف = ع ى ي : يتردّد .

-:-

(١) ابو طالب بن عبد المطّلب . عمّ محمد ووالد عليّ . كان من سادات قريش . تولّى امر محمد وكفله بعد وفاة امّه آمنة وجدّه عبد المطّلب . (السيرة النبوية ١ / ١٧٩) .

(٢) ٩٣ / ٦ _ ٨ .

(٣) خديجة بنت خويلد . اوّل ازواج محمد . اقترن بها وهو في الخامسة والعشرين وهي في الاربعين . ولدت له اربع بنات . توفّيت قبل الهجرة بثلاث سنوات (٦٠٦) . ولم يتزوّج محمد غيرها حتى وفاتها . (س . ن . ١ / ١٨٧ _ ١٩٠) .

عشيرته واهل بلده • فرأى ذلك غير سائغ ولا جائز ، لان الذي تبعه على ذلك قليل من الناس بعد المؤونة المجحفة • وانتعالم بمرارة انفس قريش (١) وبدّة اباتها لهذا ونبهه من الخيم •

ادّعى النبوّة والرسالة

فعندما أيس ممّا سوّلت له نفسه ، ادّعى النبوّة وانه رسول ربّ العالمين • فدخل عليهم من باب لخيف ، لايعرفون عاقبته ما هي ولا يفهمون كيف امتحان مثله ، ولا ما يرجع عليهم منه • وانما هم قوم عرب اصحاب بدو ، لم يفهموا شروط الرسالة ولا عرفوا علامات النبوّة ، لانه لم يبعث فيهم نبيّ قط • وكان ذلك من تعليم الرجل الملقّن له الذي سنذكر اسمه وقصّته في غير هذا الموضع من كتابنا وكيف كان سببه •

استصحب قوما اصحاب غارات

ثم استصحب قوما فرّغا اصحاب غارات ، ممّن كان يصيب الطريق ، على سنّة البلد وعادة اهله الجارية عندهم الى هذه الغاية • فانضمّ اليه هذا الضرب • واقبل يبعث الطلائع ويبثّ العيون ، ويبعث الى المواضع التي ترد العير اليها بالتجارات من الشام وغيرها ، فيصيبونها قبل وصولها بالغارة عليها ، فيأخذون العير والتجارات ويقتلون الرجال • والدليل على ذلك انه خرج في بعض ايامه وقد اقبل من المدينة الى

---

١ سائغ = ع ق ي : منتظم له •

٢ المؤونة = ق : المواربة • بمرارة = ع ي : عماوة •

٤ رسول = زيد في ع ق ي : مبعوث من •

٦ يرجع عليهم = ق : يعود عليهم من ضرر •

١١ عندهم = زيد في ع ك ي : وفيما بينهم التي هم جارون عليها •

١٢ ويبعث = ق ي : ويبثّ •

١٣ العير = ع ي : القفول • ق : القوافل •

---

(١) قريش • قبيلة كان لها زمام الامر في مكّة ، واليها ينتمي كبار تجار القوافل التي كانت تنقل البضائع من جنوبي الجزيرة العربية الى شمالها •

مكّة جمال لأبي جهل بن هشام (١) . ويسمّى ذلك الغزو ، على سبيل ما تسمّيه اعراب البادية اذا خرجت للغارة على السابلة واصابة الطريق .

هاجر من مكّة الى المدينة

فكان اوّل خروجه من مكّة الى المدينة بهذا السبب ، وهو حينئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، بعد ان ادّعى من النبوّة بمكّة ثلاث عشرة سنة ، ومعه من اصحابه الذين آلفوه ولصقوا به اربعون رجلا . وقد لقي كل جهد وكل اذى من اهل مكّة ، لانهم كانوا به عارفين ، فاظهروا ان طردهم اياه كان لانتحاله النبوّة ، وعقد باطنهم لِما صحّ عندهم من اصابته الطريق .

فصار الى المدينة ، وهي خراب بباب ليس فيها الّا قوم ضعفاء ، اكثرهم يهود لاحراك لهم . فكان اوّل ما افتتح به امره ، من العدل واظهار نصفة النبوّة وعلاماتها ، انه أخذ الموضع الذي كان لليتيمين من بني النجّار ، فصيّره مسجدا (٢) .

فشل الغزوة الاولى (٣)

ثم بعث اوّل بعثة حمزة بن عبد المطّلب (٤) في ثلاثين راكبا ، الى

---

٣ حينئذ = ك : رجل محتبك .
٧ وعقد باطنهم = ك : وكان عندهم كاللص .
١١ الموضع ... كان = ق : المربد الذي للغلامين .
١٢ النجّار ... مسجدا = ك : التجّار الذين قتلهم ونهب اموالهم ، فصيّره مسجدا . فهذا اوّل ما اظهره من عدل النبوة .

---

(١) ابو جهل بن هشام . احد سادات مكّة الذين عادوا النبي محمدا . قُتل في معركة بدر (٦٢٤) .
(٢) س . ن . ١ / ٤٩٥ ـ ٤٩٦ .
(٣) س . ن . ١ / ٥٩٥ .
(٤) حمزة بن عبد المطّلب . عمّ محمد . قاتل في معركة بدر و قُتل في معركة أُحد (٦٢٥) .

العيص من بلد جُهينة (١) ، يعترض عير قريش وقد جاءت من الشام . فلقي ابا جهل بن هشام في ثلاثمئة رجل من اهل قريش . فافترقوا ، لان حمزة كان في ثلاثين ، فخاف لقاء ابي جهل وفزع منه . فلم يكن بينهم قتال .

فاين شرط النبوة في هذا الموضع من قول الله ، تبارك وتعالى ، في التوراة المنزلة من عند الله لموسى ، حيث وعده ان يدخل بني اسرائيل ارض المواعيد ، وهي ارض فلسطين والشام : "ان الواحد منكم يهزم الفا منهم ، والاثنين يهزمان ربوة ، لِما طرحت في قلوبهم من الفرق والفزع والرعب" ؟ (٢) . وكذلك كان فعله ، عزّ وجلّ ، بهم على يدي يشوع بن نون الذي تولّى ادخال بني اسرائيل ارض المواعيد ومحاربة اهل فلسطين . فهذا ، اكرمك الله ، اجلّ ما يطالب به في هذا الموضع من علامات النبوة والرسالة لصاحبك .

فلنرجع الان اذ ليس عندك في هذا جواب ، وكنت فيه مقرا مبلجا ، انت وجميع من يعتقد مثل مقالتك ، فنقول : امّا ان يكون حمزة هذا رسول نبيّ مبعوث - وهو عمّه - وعن امره خرج ومعه ثلاثون راكبا ، وهو على حقّ عند نفسه ، فانحاز فرقا من ابي جهل ، وهو كان كافرا مشركا ، وانما معه ثلاثمئة رجل كفار مشركين عباد اوثان ، فلِم لم يحاربه مع تقوية الله له بل سالمه ؟ او ان يكون هذا خلاف ما تدّعيه انت انه نبي مرسل ، وان الملائكة تؤيّده وتقاتل عنه ، كما كانت تقاتل عن يشوع بن نون . فانه رأى ملاكا ، في زيّ فارس ، فلم يعرفه يشوع ، فقال له : "أمن اصحابنا انت أم من اعدائنا ؟ فقال

---

٤ النبوة = زيد في ع : يا هذا . ق پ : اصلحك الله .

٦ اسرائيل = زيد في ع ق پ : الذين اخرجهم من ارض مصر الى ارض الجبابرة المسماة .

١٢ مبلجا = ع ق پ : مفلجا .

١٥ فانحاز فرقا = ك : فكيف خاف فزعا .

---

(١) العيص ، موضع بقرب ساحل البحر الاحمر ، على طريق القوافل من مكّة الى الشام ، في بلد جُهينة ، وهي قبيلة ساهمت في الفتوحات الاسلامية

(٢) تثنية ٣٢ / ٣٠ .

له الملاك: "انا ميخائيل، عظيم جيوش الرب، أُرسلت اليك". فخرّ يشوع بوجهه على الارض ساجدا، ثم قال: "ماذا تأمر يا سيد عبدك؟" فقال له رئيس جيوش الرب: "اخلع خفّيك من قدميك، فان الموضع الذي انت فيه واقف موضع مقدس" (١). ففعل يشوع ذلك. وفي هذا القول سرّ ليس هذا موضعه. وكان يشوع في ذلك الوقت محاصرا اريحا. وفتح يشوع اريحا على غير عهد ولا عقد، فقتل كل من كان فيها من ذكر وانثى، كما امره ملاك الرب. فليس لك في هذا جواب لانك مقر منه.

فصل الغزوة الثانية (٢)

واما غزاة صاحبك الثانية، فانه بعث فيها، كما قد علمت، عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب (٣) في ستين راكبا، ليكون ضعف العدّة الاولى فتتقوّى قلوبهم. فساروا الى بطن رابغ بين الابواء والجُحفة (٤)، فلقي ابا سفيان بن حرب (٥)، فكان بينهم من الدماء ما قد علمت.

---

١ ارسلت اليك = ع ق ب: والساعة اقبلت.

٢ ماذا ... عبدك = ع ق ب: ما يأمر السيد عبده.

٥ اريحا = زيد في ع ق ب: فلما اتى على ذلك سبعة ايام، فتح.

٧ فليس ... هذا = ق: فما املك، ايدك الله، تجد في ذلك.

٨ واما ... الثانية = ع ق ب: فلنذكر غزاة صاحبك الثانية لعلّه يكون لك فيها ادنى جواب.

١١ بن حرب = زيد في ع ق ب: وابو سفيان في مائتي راكب.

---

(١) يشوع ٥ / ١٣ ـ ١٥.

(٢) س. ن. ١ / ٥٩١.

(٣) عبيدة بن الحارث، ابن عمّ محمد. قُتل في معركة بدر (٦٢٤).

(٤) بطن رابغ، واد على بعد ١٠ اميال من الجحفة، وهي قرية بين المدينة و مكة، على ٦ مراحل من المدينة و ٤ مراحل من مكّة. والابواء قرية من عمل الفرع، بينها وبين الجحفة، من جهة المدينة، ٢٣ ميلا.

(٥) ابو سفيان بن حرب. زعيم بني اميّة. والد معاوية موسّس الدولة الاموية التي حكمت في دمشق (٦٦٠ ـ ٧٥٠). كان تاجرا. عادى

ثم رجعوا ٠ فما رأيتَ احدا من الملائكة اعانهم على امرهم بنيّ ٠ وقد شهدتَ انت ان جبرائيل كان في صورة راكب رمكة شهباء عليه ثياب خضر ، وقد ركب فرعون مع اصحابه على اربعمئة حصان في طلب بني اسرائيل ٠ فلما توسّط بنو اسرائيل البحر ، تحم جبرائيل على الرمكة في اثرهم ، فتبعته الخيل التي كان عليها فرعون واصحابه ، فنجا بنو اسرائيل وغرق فرعون واصحابه ٠ هذه شهادتك واقرارك ببعض علامات موسى النبي التي اتى بها اسرائيل ٠ وانت وصاحبك خاليان من هذه كلها ٠ ولا بدّ لنا ان نأتيك بالثالثة ، فاصبر لها طائعا او مكرها ٠

فضل الغزوة الثالثة (١)

ثم بعث سعد بن ابي وقّاص (٢) الى الخرّار (٣) خارج الجحفة ، في عشرين رجلا ٠ فورد الموضع وقد سبقته العير قبل ذلك بيوم واحد ٠ ففاته امره ورجع خائبا من رجائه ٠

فهذا خلاف ايات النبوة ، وغير ما فعله نبي الله صموئيل بشاول ٠ وما اخالك انك ذاكر القصة وعالم بها ، اذ كنت زعمت انك قد درست الكتب المنزلة اجود دراسة ٠ وذلك ان قيسا ابا شاول غارت له اتن ، فوجّه ابنه شاول في طلبها ٠ فصار شاول الى صموئيل النبي ٠ فقال له

---

٢ مع اصحابه ... اربعمئة = ق : بجنوده على اربعمئة الف ٠

٥ اثرهم = زيد في ع ق ي : قائلا قدوم خير ٠

١١ رجائه = زيد في ك : ولم يجد شيئا لينهب وليقتل ٠

١٢ فهذا = ق : فهذه اكرمك الله ٠ وغير = ع ي : وضدّ ٠ ق : وعكس ٠

النبي محمدا وحاربه في معركة بدر وفي معركة أُحد ٠ ثم اعتزل الحرب وصالح النبي وسلّمه مكّة (٦٣١) ٠ اشترك في معركة اليرموك (٦٣٦) التي انتصر فيها العرب على البيزنطيين ٠ توفّي سنة ٦٥٣ ٠

(١) س٠ ن٠ ١ / ٦٠٠ ٠

(٢) سعد بن ابي وقّاص (٥٩٥ ـ ٦٧٤) صحابيّ ، من قادة الفتح العربي على الجبهة الفارسية ٠ قضى على الامبراطورية الفارسية (٦٣٧) ٠

(٣) الخرّار ، موضع بالحجاز قريب من الجحفة ٠

في بعض قوله ، وهو يخاطبه ، قبل اعلامه خبر ما جاء لأجله : « اما الاتن فقد وُجدت ورجعت الى بيت ابيك . واما ابوك فقد شغله الاهتمام بغيبتك عن الاتن » (١) .

فهكذا تكون شروط النبوة التي هي علم الغيب الماضي وعلم الغيب المستقبل ، الذي تخبر الانبياء عنه ، وتذكر كونه قبل وقوعه ، وتعلم حدوثه قبل مجيئه ، بما يظهره لهم الروح القدس معلي علم الغيب .

وقد قال سيدنا يسوع المسيح في انجيله الطاهر : « ان الشهادة العادلة التي تأتي من قبل رجلين عدلين او ثلاثة عدول واجب قبولها » (٢) . فقد آتيناك في فصل كتابنا هذا بثلاث شهادات عدل لك فيها مقتع .

كان محمد يخرج مع اصحابه لشن الغارات

فلننظر الان بعد الغزوات الثلاث التي خرج فيها هؤلاء بأمره وانصرفوا فرّغا ، فانه خرج بعد ذلك بنفسه مع اصحابه يريد عيرا لقريش ، حتى انتهى الى ودّان (٣) ، فوافى فيها مخشيّ بن عمرو الضمري (٤) ، ورجع صفرا (٥) .

ثم خرج ثانية حتى بلغ بُواط (٦) ، وهي في طريق الشام ، في طلب عير

---

٤ النبوة = زيد في ق ي : امانتك الله .
٦ الغيب = زيد في ع ق ي : الذي هو غاية (ق : نهاية) الدلالات على النبوات .
٨ التي تأتي = ع ق ي : هي الكائنة .
١٠ بأمره = ع ق ي : النفر ومن خرج معهم بامر صاحبك .

---

(١) ١ صموئيل ٩ / ٢٠ و ١٠ / ٢ .
(٢) يوحنّا ٨ / ١٧ .
(٣) ودّان ، قرية من امّهات القرى من عمل الفرع بين المدينة ومكة ، قريبة من الابواء والجحفة .
(٤) مخشيّ بن عمرو الضمري . سيد بني ضمرة . كان قد سالم محمدا وعاهده الّا يحاربه .
(٥) س . ن . ١ / ٥٩١ .
(٦) بُواط ، جبل من جبال جهينة ، يقع بقرب ينبع التي على ساحل البحر الاحمر .

لقريش : فيها امية بن خلف الجمحي (١) ، ورجع ولم يصنع شيئا (٢) . ثم خرج ثالثة الى ان وصل الى ينبع (٣) ، في طلب عير لقريش تريد الشام ، وهي العير التي كان القتال ببدر (٤) بسببها في رجعتها . فرجع صفرا ولم يصنع شيئا (٥) .

فهذه علامات ثلاث خرجات بنفسه . كل ذلك ولم يصنع شيئا .

هل كان نبيًّا أم رجلا متسلّطا ؟

فأنصف بنفسك في هذا الوضع ، وانتأمل لذلك ، وانظر ان كان صاحبك نبيًّا ، كما تدعي ، وشأنه الغزوات والخروج لأصابة الطرق والتعرض لأخذ امتعة الناس . فَلِمَ لا ترى صاحبك هذا للصوص وقطّاع الطريق ؟ وما الفرق بينه وبين اتابك الخُرمي (٦) الذي يتناهى الى امير المؤمنين والينا اخباره بما يعمل ويرتكب من ظلم الناس ؟ فأجبنا ان كان عندك في هذا جواب واضح . فاني اعلم انه لاجواب عندك ولا عند غيرك ممن

---

٦ فأنصف = زيد في ع : يا هذا . ق ي : اصلحك الله .
٧ وشأنه الغزوات = ع ق ي : فما للانبياء وشن الغارات .
٨ فلم لا = ع ق ي : وما الذي .
١٠ يعمل ويرتكب = ع ق ي : عمل وارتكب .
٩ يتناهى الى = ع ق ي : قد تناهى الى سيدنا .

---

(١) امية بن خلف الجمحي . من مشركي قريش . حارب المسلمين وقُتل في معركة بدر .
(٢) س . ن . ١ / ٥٩٨ .
(٣) ينبع ، مدينة على البحر الاحمر ، على طريق القوافل من الشام الى مكة .
(٤) بدر ، قرية الى الجنوب الغربي من المدينة . جرت فيها معركة بين المسلمين ومشركي مكة (٦٢٤) ، انتصر فيها المسلمون وتوطّد بعدها سلطان النبي محمد .
(٥) س . ن . ١ / ٥٩٨ .
(٦) اتابك الخُرمي . اسمه بابك ، زعيم الخُرمية وهي حركة دينية اجتماعية . اشعل فتنة في اذربيجان ، استمرت ٢٠ سنة ، ضد الدولة العباسية ، لم يتمكّن الخليفة المأمون من القضاء عليها ، حتى جاء

اعتقد مثل اعتقادك ، اذ لم يكن عندك في غيره ممّا سلف .

ثم لم يزل هكذا . فان وجد القوم الذي خرج في طلبهم في ضعف ، استاق عيرهم وأخذ تجارتهم وقتل من أمكنه من رجالهم . وان وافاهم وهم في منعة وقوّة انحاز عنهم ، وولّى هاربا الى ان مات . فكانت مغازيه بنفسه ستّاً وعشرين غزوة ، سوى السرايا التي كانت تخرج في الليل والسواري التي تخرج بالنهار والبعوث . قاتل فيها في تسع غزوات ، والباقية كان يبعث فيها اصحابه (١) .

كان يغتال اعداءه

واعجب من هذا ، في قبح الاحدوثة والشناعة في الفعل والفظاظة ، توجيهه الى واحد فيقتله بالغيلة :

ومن ذلك توجيهه عبد الله بن رُواحة (٢) ليقتل اليُسَير بن رِزام (٣) اليهودي بخيبر (٤) ، فقتله بالغيلة (٥) .

---

٤ وقوّة = ك : من كثرتهم او قوّتهم .

الخليفة المعتصم ، فانتصر عليه وقتله وصلبه في سامرّا (٨٣٨) .

(١) س . ن . ٢ / ٦٠٩ .

(٢) عبد الله بن رُواحة . صحابي وكاتب اسرار النبي . احد الاشخاص المعدودين الذين كانوا يحسنون الكتابة في ذلك العهد . قُتل في وقعة مؤتة (٦٢٩) .

(٣) اليُسَير بن رِزام . يهودي من خيبر . كان يجمع بني غطفان ليحارب محمدا . فبعث النبي مَن قتله .

(٤) خيبر . واحة على طريق المدينة الى الشام . كان يسكنها اليهود . غزاها محمد (٦٢٨) وفرض الجزية على سكانها . ثم اخرجهم منها الخليفة عمر بن الخطّاب .

(٥) س . ن . ٢ / ٦١٨ .

ومثله بعثه سالم بن عمير العُمَري (١) وحده الى ابي عفك (٢) اليهودي ، وهو شيخ كبير ما له حركة ، فقتله بالغيلة ليلا ، وهو نائم على فراشه آمنا مطمئنا . واحتجّ بانه كان يَعيبه (٣) .

فعرّفنا ، اصلحك الله ، في أيّ كتاب قرأ هذا ، وأيّ وحي نزل عليه ، او من حكم له انّ من يعيبه يكون جزاؤه القتل ؟ فقد كان في تأديب هذا الشيخ على ذنبه مكافأة دون القتل ، وخاصّة ليلا وهو آمن مطمئنّ على فراشه .

وان كان عابه بما هو فيه ، فقد صدق وليس على الصادق القتل . وان كان كذب عليه فيما قال ، فليس على من كذب القتل ، وانما يجب عليه ان يؤدّب لئلاّ يعود يكذب . وانت تعلم انه لا يحق لأحد ان يؤذي الطير في اوكارها ليلا وهي نائمة مطمئنّة ، فكيف ان مثله يَبعث اليه من يقتله ، وهو على فراشه ، لانه كان يعيبه ؟ ألم يكن دون القتل شيء آخر ؟ أمّا في احكام الله فاننا لا نجد هذا مطلقا لأحد ، ولا في احكام العقل والطبيعة . ولعمري ، هذا فعل الشيطان قديما بآدم وذريّته منذ نزل به ما نزل . فأين قولك انه بُعث بالرحمة والرأفة الى الناس جميعا ؟

وكان يستولي على اموال الآخرين

فامّا بعثه بعبد الله بن جحش الاسدي (٤) الى نخلة الذي هو بستان

---

٤ فعرّفنا اصلحك = ق : فأعلمنا اكرمك .
٦ مكافأة = ق : شيء .
٨ على الصادق = ع ق ي : يجب على من صدق .
١٠ تعلم = زيد في ع ق ي : اصلحك الله .

---

(١) سالم بن عمير العُمَري . من بني النجار . ارسله محمد ، بعد رجوعه من معركة بدر ، ليقتل ابا عفك .
(٢) ابو عفك . كان شيخا هرما ، وكان يحرّض على عداوة النبي .
(٣) س . ن . ٢ / ٦٣٥ _ ٦٣٦ .
(٤) عبد الله بن جحش الاسدي . صحابي . احد الأوّلين الذين اسلموا . هاجر الى الحبشة ثم عاد الى المدينة . اخو زينب زوجة النبي . حضر

بن عامر (١) ، في اثني عشر رجلا من اصحابه ، ليأتيه باخبار قريش . فلعمري ، لقد لقوا بها عمرو بن الحضرمي (٢) في عير قريش وتجارة قد اقبل بها من اليمن . فقتلوا عمرو ، واستاقوا العير الى المدينة . فلما وردوا ، اخرج عبد الله بن جحش مماّ اغار عليه هو واصحابه الخُمسَ فدفعه اليه (٣) .

فهذا لا اقول انه حلال او حرام ، حتى يكون العادل ، اذا نظر فيه ، هو القائل ما يوجبه العدل والانصاف .

وكذلك ما فعل ببني قينُقاع (٤) ، حيث صار اليهم ، بغير ذنب ولا علّة الاّ الرغبة في اموالهم . فحاصرهم حتى نزلوا على حكمه (٥) . واستوهبهم منه عبد الله بن ابيّ بن سلّول (٦) ، فجلاهم الى اذرعات (٧) ،

---

١ باخبار = ع ي : بخبر .

٦ فهذا لا اقول = ك : فماذا تقول انت في هذا .

حتى ... والانصاف = ك : ولعمري ، اذا نظر العادل فيه ، بما يوجبه العدل والانصاف ، عرف سقمه .

١٠ فجلاهم = ى : فوهبهم له واخرجهم .

معركة بدر وقُتل في معركة احد (٦٢٥) .

(١) نخلة ، بستان بن عامر . واد من الحجاز ، شرقيّ مكة . واسفل النخلة موضع يُسمّى بستان بن عامر .

(٢) عمرو بن الحضرمي . قُتل في آخر يوم من شهر الحرام . وكان في صحبته ثلاثة مكيين ، فأُسر اثنان منهم وافلت الثالث .

(٣) س . ن . ١ / ٦٠١ ـ ٦٠٤ .

(٤) بنو قينُقاع . احدى قبائل اليهود الثلاث التي كانت في يثرب ، اي المدينة . حاصرهم النبي محمد ، فرموا سلاحهم ، ونزحوا الى وادي القرى ، شمالي المدينة ، ومنها الى اذرعات الشام .

(٥) س . ن . ٢ / ٤٧ ـ ٤٨ .

(٦) عبد الله بن ابيّ بن سلّول . زعيم قبيلة الخزرج . اظهر الاسلام بعد معركة بدر ، ولكنه كان من المنافقين . لم يناصر النبي في معركة أُحد ولا في معركة تبوك (٦٣٠) .

(٧) اذرعات . هي اليوم مدينة اذرع ، في جنوب سوريّا . ذكرها العهد

بعد أن أخذ اموالهم وقسمها بين اصحابه وأخذ منها الخُمس وقال :
" هذا ما افاء الله على نبيّه " .

فليت شعري ، كيف طاب له هذا ، وبماذا استحلّ ان يأخذ اموال قوم لم يوءذوه ، ولم يكن بينه وبينهم عمل رديء ؟ غير انه استضعفهم ، ومالهم كان كثيرا . فما هكذا تفعل الانبياء ، ولا من يوء من بالله واليوم الاخر .

وغير هوءلاء ممّن لا احبّ ان يطول كتابي بذكرهم ، فيملّ منه القارئ . وفيما ذكرناه كفاية يُستدلّ به على اجناسه ومذاهبه .

اصابته وجروحه في غزوة أُحُد (١)

واما غزوة أُحد(٢) وما اصيب به من كسر رباعيّته السفلى اليمنى ، وشقّ شفته ، وثلم وجنته وجبهته ، الذي ناله من عتبة بن ابي وقّاص وما علاه به بن ابي قَمِئة الليثي (٣) بالسيف على خدّه الايمن ، حتى وقاه طلحة بن عبيد الله التيمي (٤) ، فقُطعت اصبعه .

---

٤ عمل رديء = ع ق ي : غلّ .
٥ ومالهم كان كثيرا = ق : وكانوا كثيري الاموال .
٧ القارئ = زيد في ع ي : ويبغضه . ق : ويسأمه .
٨ اجناسه ومذاهبه = ق : غيره من مناقبه .
١٢ فقطعت = ع ي : فسُلب . ك : فعلّت .

الجديم باسم ايرا . عندما انتصر الفرس على البيزنطيين (٦١٣) .

(١) س . ن . ٢ / ٧٩ ـ ٨٠ .

(٢) أُحد . جبل يقع على ٤ كم شمالي المدينة . عنده جرت المعركة بين المسلمين والمكيين (٦٢٥) . انهزم فيها المسلمون ، وجُرح محمد ، وقُتل عمّه حمزة وبعض الانصار .

(٣) عتبة بن ابي وقّاص و ابن ابي قَمِئة الليثي . من مشركي مكة . كانا من اعداء محمد وحاربا المسلمين .

(٤) طلحة بن عبيد الله التيمي . صحابي . هاجر مع محمد الى المدينة . جُرح في الدفاع عن النبي في معركة أُحد . قُتل في معركة الجمل (٦٥٦) .

فهذا خلاف الفعل الذي فعله السيد المسيح، مخلص العالم، وقد سلّ رجل بحضرته سيفا على رجل فضربه على اذنه فقطعها. فلما نظر المسيح الى ذلك ردّ الاذن الى موضعها فرجعت الى هيئتها كما كانت (١).

أفما كان يمكن صاحبك، من شروط النبوة، حيث اصاب يد طلحة ما اصابها، وقد وقاه بنفسه عندما اصابه ذلك، ان يدعو ربّه فيردّ يده الى ما كانت عليه من صحّتها؟ لكانت هذه من علامات النبوة لصاحبك.

وأين كانت الملائكة عن معونته، عند كسر ثنيّته وشقّ شفته وادماء وجهه، وهو نبيّ من الانبياء وصفيّ ورسول الله، ووقايته كعادتها حين كانت الانبياء توقّى من قبله؟ مثلما وقت ايليّا النبي من اصحاب آحاب الملك (٢)، ودانيال من الاسد في ايام داريوس (٣)، وحنانيا واخوته الثلاثة الفتية البررة من نار بختنصّر (٤)، وغيرهم من الانبياء واولياء الله، سيّما ولم يخلق الله، جلّ اسمه، آدم الاّ لأجله، ومكتوب على سرادق العرش اسمه كما تدّعون. ولكننا ندع ذكر هذا الان، ونأخذ ذكر ما نحن فيه ونقول: ان افعال صاحبك كلها خلاف قولك انه بُعث بالرحمة والرأفة الى الناس كافة.

كان اهتمامه الغزو والنكاح

لانه كان الرجل الذي ليس له همّة ولا فكرة الاّ في امرأة يتزوّجها، او قوم يغير عليهم ويسفك دماءهم ويأخذ اموالهم وينكح نساءهم. ويشهد على نفسه انه حُبّب اليه الطيب والنساء (٥)، وان من علامات

---

١ السيد المسيح = ع ق ي : الربّ.
٢ فرجعت... كانت = ق : فعادت صحيحة كالاخرى.
١٤ ونقول = زيد في ك : قولا ثابتا لانا قد احتجنا الى اعادته.

---

(١) لوقا ٢٢ / ٤٩ ـ ٥١.
(٢) ١ ملوك ١٩ / ١ ـ ١٨.
(٣) دانيال ٦ / ١٤ ـ ٢٤.
(٤) دانيال ٣ / ٨ ـ ٣١.
(٥) مسند احمد ٣ / ١٢٨.

نبوّته انه جُعل في ظهره من القوّة على النكاح مقدار قوّة اربعين رجلا نكاحا (١) . فلعمري ، ان هذا بعض ايات الانبياء التي لا تكون الاّ في مثله .

شأنه مع زينب (٢)

واما تلك الهنات التي كانت بينه وبين زينب بنت جحش (٣) ، امرأة زيد (٤) ، فاني اكره ان اذكرها ، بل اجلّ قدر كتابي هذا عن ذكرها ولا انجسه ، غير اني آتي بشيء مما حكاه في كتابه ، الذي يزعم انه أنزل عليه من السماء ، واقرّ بلسانه اذ يقول : " واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه : " امسك عليك زوجك واتّق الله " ، وتخفي في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس ، والله احقّ ان تخشاه . فلما قضى زيد منها وطرا ، زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ، اذا قضوا منهنّ وطرا . وكان امر الله قدرا مفعولا . ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له . وكان امر الله قدرا مقدورا " (٥) . فقد يكتفي كل ذي عقل من القصّة بتقليل هذا الذكر ، فان ذلك لا يخيل على المميزين .

شأنه مع عائشة (٦)

وكذلك شأنه مع عائشة (٧) وما كان من امرها مع صفوان بن

---

٥ ان اذكرها ... قدر = ع ق ي : ذكر شيء منها اجلالا لقدر .
١٣ بتقليل هذا الذكر = ع ق ي : بنموذجها .

---

(١) " اعطي قوّة ثلاثين رجلا (صحيح البخاري : كتاب الغسل ٢١) .
(٢) س . ن . ٢ / ٦٤٤ .
(٣) زينب بنت جحش . احدى زوجات محمد . كانت لزيد بن حارثة ، فطلقها ليتزوّج بها محمد . توفّيت نحو ٦٤٠ .
(٤) زيد بن حارثة . عبد اشترته خديجة وقدّمته لمحمد ، فأعتقه وتبنّاه . كان من اوائل الذين اسلموا . قُتل في معركة مؤتة (٦٢٩) .
(٥) القران ٣٣ / ٣٧ ـ ٣٨ .
(٦) س . ن . ٢ / ٢٩٧ ـ ٣٠٢ .
(٧) عائشة بنت ابي بكر (٦٠٣ ـ ٦٧٨) . تزوّجها محمد بمكة ، وهي بنت

المعطّل السُلمي (١) ، في رجوعهم من غزوة المصطلق ، بتخلفها عن العسكر معه ، وقدومه بها من الغد نحو الظهيرة ، راكبة على راحلته يقودها ، وما قذفها به مسطح بن اثاثة بن عبد المطلب (٢) وحسّان بن ثابت (٣) وعبد الله بن ابيّ بن سلول وحمنة بنت جحش (٤) ، وما شهدوا به عليها وعلى صفوان بن المعطل السُلمي ، وما كان من تبصير عليّ بن ابي طالب (٥) اياه العيب في ذلك ، واعلامه كلام المتكلمين وقول القائلين وعيب العائبين ، وان فيه مساغا للقول والظنّة ، ثم ختم كلامه بالتعريض ، الذي كأنه التصريح من القول : " يا رسول الله ، النساء كثيرة ، فطلّقها واسترح " . فلم يلتفت الى هذا كله لعدّة اعجابه

---

١ في رجوعهم ... يقودها = ع ك ي : واظهر حقابها وكان الحاهد عليها وعلى تخلّفها بظهوره عندما افتقدت .
٨ النساء ... واسترح = ق : لم يضيّق الله عليك والنساء سواها كثيرة .

ستّ سنين ، ودخل عليها ، بعد الهجرة ، وهي بنت تسع سنين .

(١) صفوان بن المعطّل السُلمي . بعد غزوة بني المصطلق (٦٢٨) وفي رجوع الجيش ، اضاعت عائشة عقدها فذهبت للبحث عنه . وفي غيابها أخذ الرجال هودجها ، ظناً منهم انها فيه وذهبوا . فبقيت عائشة وحدها . وكان صفوان قد تأخّر عن الجيش بعد غزوة المصطلق ، وفي رجوعه وجد عائشة ، فأركبها على جمله يقوده الى ان وصل الى المعسكر .

(٢) مسطح بن اثاثة بن عبد المطلب . ابن خالة ابي بكر . وكان ابو بكر ، والد عائشة ، ينفق عليه لقرابته منه ولحاجته .

(٣) حسّان بن ثابت . شاعر النبي محمد . ولد في يثرب (المدينة) . اسلم وثار من انصار النبي .

(٤) حمنة بنت جحش . اخت زينب زوجة النبي محمد .

(٥) عليّ بن ابي طالب . رابع الخلفاء الراشدين (٦٥٥ ـ ٦٥٨) . ابن عمّ النبي . زوج فاطمة بنت محمد وابو الحسن والحسين . طالب بالخلافة بعد مقتل عثمان بن عفّان . فانقسم المسلمون . تغلّب على معارضيه في معركة الجمل (٦٥٦) وبينهم طلحة بن عبيد الله وعائشة . اصطدم بمعاوية ، والي الشام ، والطالب بثأر الخليفة عثمان ، في معركة صفّين (٦٥٧) التي انتهت بقبول التحكيم ، فانتقلت الخلافة الى

الذي كان له بها ، وانتخافه وعدقه فيها • وكان لها في قلبه مكان • وكانت خلابة ، فرضي بما كان من ذلك الامر كله ، لانه لم يكن في من نكح من نسائه بكر غيرها ، ولا احدث سنّاً منها • وهذا سبب انعقاد العداوة بين عائشة واهلها وبين عليّ بن ابي طالب واهله الى هذه الغاية • ثم ما كان من اتّهامه من نزول براءتها في السورة المعروفة بسورة النور (١) • فهذه القصّة تعرفها كمعرفتك ، اذ ان هذا الخبر مستفاض وهو عندنا مشروح مفسّر ، الاّ اننا لا نختار كشفه •

نساؤه (٢)

=============

وكانت نساؤه فيما ظهر ، كما قد علمت ، خمس عشرة حرّة وأمتين :

- اولاهنّ خديجة بنت خويلد •
- وعائشة بنت ابي بكر ، وهو عبد الله المعروف بعتيق بن ابي قحافة •
- وسودة بنت زمعة •
- وحفصة بنت عمر ، وهي التي كان بينها وبين عائشة تلك الهنات العجيبة •
- وأمّ سلمة ، واسمها هند بنت ابي اميّة ، وهي المخزومية أم الاطفال التي زعم انه ينصب عنها الغيرة عندما امتنعت عليه واحتجّت انها امرأة غيرى ، وانه يعول صبيتها لمّا اعتذرت انها ذات صبية وانها تتخوّف الاّ برضاء اهلها • فضمن لها ان يكفيها ذلك كله حتى اجابته الى ان تزوّجت به ، ثمّ لم يف لها من ذلك الضمان بحرف واحد • وهي التي نحلها جرّتين ورحى ووسادة من ادم حشوها ليف النخل • فحصلت منه على هذا في الدنيا والاخرة •
- زينب بنت جحش ، امرأة زيد ، التي بعث اليها نصيبها من اللحم

---

٤ الى هذه الغاية = ق : الى آخر حياتهما •

٧ الاّ اننا لا نختار = ع ق ي : لا يجب •

البيت الاموي • بعض اتباع عليّ عارضوا التحكيم ، فدعوا بالخوارج ، واغتال عليّاً احد الناقمين (٦٦١) •

(١) القرآن ٢٤ / ١١ •

(٢) س • ن • ٢ / ٦٤٣ _ ٦٤٧ •

ثلاث مرّات فردّته في وجهه ، فهجرها وهجر نساءه بسببها والاّ يدخل عليهنّ شهرا ، فلم يصبر ، فدخل لتسعة وعشرين يوما .

- وزينب بنت خزيمة الهلالية .
- وام حبيبة ، واسمها رملة بنت ابي سفيان اخت معاوية .
- وميمونة بنت الحارث الهلالية .
- وجُوَيرية بنت الحارث المصطلقية .
- وصفية اليهودية البصرية بنت حُيَيّ بن اخطب ، التي علمها ان تفتخر على نسائه عند تعييرهنّ اياها وتقول : « انا التي هارون ابي وموسى عمي ومحمد زوجي » .
- والكِلابية وهي فاطمة بنت الضحاك ، وقيل انها عمرة بنت يزيد الكلابية .
- وحنّة بنت ذي اللحية .
- وبنت النعمان الكندية التي انفت منه وقالت : « أملكة تحت سوقة ؟ »
- ومليكة بنت كعب الليثية ذات الاقاصيص .
- ومارية القبطية أم ابراهيم ابنه .
- وريحانة بنت شمعون القرظية اليهودية (١) .

فهؤلاء نساؤه ، اللواتي كنّ له .

قال بولس رسول الحقّ ، رسول المسيح سيدنا ومخلص العالم : « ان الذي له زوجة انما غايته ان يصرف عنايته الى رضى زوجته . والذي لا امرأة له فعنايته الى رضى ربّه » (٢) . وقد صدق وقوله الحقّ ، لانه يحتاج ان يتشاغل بما يرضي امرأته . وهو الذي قاله المسيح سيدنا : « انه لا يمكن للعبد ان يخدم ربّين في وقت واحد ، ولا بدّ له ان يرضي احدهما ويسخط الاخر » (٣) . فاذا كان لا يمكن للرجل ان يخدم امرأة واحدة

---

١٢ وقالت ... سوقة = ق : حين قال لها : « هبي لي نفسك » . فقالت : « هل تهب المليكة نفسها للسوقة ؟ »

٢٠ المسيح سيدنا = ق : الرب المسيح ما ترجمته .

٢١ يرضي ... ويسخط = ق : يلازم الواحد ويحتقر .

---

(١) س . ن . ٢ / ٢٤٥ .

(٢) ١ كورنثوس ٧ / ٣٢ - ٣٣ .

(٣) متّى ٦ / ٢٤ .

وبرضيها الاّ بسخط خالقه ، فكم بالحري من يريد ان يصرف عنايته كلها الى رضى خمس عشرة امرأة ؟ مع ذلك الشغل الذي كان فيه منغمسا ، من تدبير الحروب على الرجال وقتلهم ، وسبي الحريم وسلب الاموال ، وتوجيه الطلائع وتعبئة الكراديس لاصابة الطرق وشنّ الغارات . فمتى كان يقع ، مع هذا الشغل الدائم المتواصل لهذه الامور ، الفراغ للصوم والصلاة والعبادة ، وجمع الفكر وصرفه الى امور الآخرة وما يشاكل الانبياء ؟ ولا اشكّ في انه لا نبي تقيّد في لذّات الدنيا مثل صاحبك.

اعلام وشروط النبوة

فلندع الان هذا ، ونأخذ في ذكر اعلام النبوة التي يجب معها الاقرار لمن اتى بها ان يسمّى نبيا ورسولا ، وننظر في ما اتى به صاحبك هذا ، ما هو وهل يوافق او يشبه شيئا ممّا جاءت به الانبياء ويشاكله ، وهل يجب علينا قبول ذلك منه او ردّه عليه .

الانباء بأمور غير معروفة ماضية ومستقبلة

فنقول ان النبي اسم دالّ على معنى المنبئ ، اي المخبر بالامر الذي لم يعرف ، او يخبر بأمر لم يكن فيكون . فاما ان يكون مخبرا بأمر قديم لم يعرف ، او بأمر لم يكن فيخبر بكونه قبل وقوعه ، او بالامر الذي كان ولم يعرف كيف حدوثه ، وانما يوثق بأخباره عن صحّة ما يخبر به بالايات التي تصدّق حكايته وتشهد على صحّة قوله وخبره .

مثل موسى النبي

وذلك مثل موسى النبي الذي اخبرنا عن الله ، في السفر الاوّل من التوراة الذي يدعى بسفر الخليقة ، كيف خلق الله السموات والارض و ما فيهما ، وكيف خلق آدم وحوّاء ، وما كان من قصّتهما ، وقصّة قابيل وهابيل ، وقصّة قوم نوح والطوفان ، ثم قصّة ابراهيم وأولاده . ولم يزل يقصّ

---

٢ الحروب على = ع ق ي : والتدبير على قتل . الاموال = زيد في ك : والتعريف بين اصحاب الطوائل والثارات وادكاك العيون .

٤ الغارات = زيد في ع ك ي : واصابة امتعتهم .

٧ تقيّد ... صاحبك = ق : قبله ابتدع مثل هذا .

تلك الاخبار ، خبرا بعد خبر ، حتى انتهى الى خبره ، وكيف كان تجلّي الله له في العوسجة . ثم اقتص اخباره مع بني اسرائيل وفرعون بمصر ، ولم يزل الى ان توفاه الله . واخبر مع تلك الانباء ما وعد الله من ادخال بني اسرائيل ارض الجبابرة ، وهي بلاد الشام . وكان ذلك على ما انبأ به موسى نبي الله . وحقق ما اخبرنا به من الخبر الماضي بالايات والعجائب التي فعلها . فعلمنا انه كان صادقا في كل ما حكاه وجاء به عن الله جلّ وعزّ . فهذه شريطة المنبئ بما كان .

وعرفنا صدق ما قاله من الخبر المستقبل بصحّة ما رأيناه من وقوع الامر وتمامه ، عند دخول بني اسرائيل ارض المواعيد باليد القوّية . فصحّت له شريطة المنبئ بالخبر الذي لم يكن قبل حدوثه . فقد وجب من هاتين الشريطتين ان موسى نبي بالحقيقة .

فاما المنبئ بالخبر الذي لم يكن قبل حدوثه ووقوعه ، فقد يكون ذلك على وجهتين : امّا مع قرب الزمان وحضور الوقت ، واما على بعد الزمان وطول الايام . والدليل ايضا على ذلك وتصحيحه الايات التي هي اعلام النبوة ، الى ان يصحّ القول والأنباء .

مثل اشعياء النبي

ومثل ما تنبّأ به اشعياء النبي لحزقيا الملك ، حيث ورد عليه سنحاريب ملك الموصل بجيشه ، فحاصره وكاتبه بما كاتبه من البغي عليه والاستطالة . فشكا حزقيا الى الرب ما دهمه من ذلك الامر . فأوحى الله الى اشعياء : "اني قد سمعت دعاء حزقيا ، فامض اليه وقل له : "يقول لك الرب اله اسرائيل : الليلة تكفي مؤونة سنحاريب" . فلما كان في تلك الليلة ، بعث الله ملاكا من ملائكته فقتل من عسكر سنحاريب مائة وخمسة وثمانين الف مدجّج . فلما اصبح سنحاريب ورأى ما

---

٣ واخبر = ع ق ي : ويخلط .

٤ الجبابرة = ع ق ي : ارض الميعاد ، وانه مزمع أن يورثهم ارض الجبابرة (ع ي : الارض الجيدة) التي .

٦ كان = زيد في ق : وما يكون من الامور .

٩ المواعيد باليد = ع ق ي : الجبابرة بالايدي .

١٤ الايات = زيد في ع ي : والجرائح . ق : والمعجزات والعجائب والجرائح .

نزل بأصحابه ، رجع هاربا مولّيا (١) .

ومثل ما قاله اشعياء لحزقيا ، وقد شفي من مرضه : " ان الله قد اقالك من هذه المرضة ، وقد زاد في اجلك خمس عشرة سنة . ودليل ذلك ان الشمس راجعة الى خلف في سيرها عشر درجات " . وكان ذلك كما قال النبي . ورجعت الشمس ، وبرئ حزقيا من مرضه . ثم توفّي بعد ان اقام خمس عشرة سنة (٢) . فهذا انباء مع آية ودليل في وقت واحد .

ومثل ما انبأ عن سيدنا المسيح له المجد ، انه يولد من العذراء ، ويدعى اسمه " عمّانوئيل " الذي تفسيره " الهنا معنا " (٣) .

وانبأ ايضا باشياء كثيرة ، وأخبر بكونها وانها تحدث على بعد العهد وطول الايام ، من خراب بيت المقدس وسبي بني اسرائيل الى بابل . وكان ذلك كله على بعد العهد وتأخره على ما قاله ، وصحّ ذلك كله وتمّ .

مثل ارميا النبي

ومثل ما اخبر به ارميا النبي عن خراب بيت المقدس ، ودخول بختنصر اياه ، وهدمه له ، ونقل بني اسرائيل الى بابل ، وانهم ماكثون بها في ذلك السبي وفي تلك العبودية سبعين سنة (٤) . ثم يرجعون فيبنون بيت المقدس ويقيمون في مساكنهم . فكان بعض ذلك وهو حاضر . ثم تمّت نبوته ، وظهر صدق قوله وصحّة ما حكاه عن الله عزّ وجلّ في ذلك الوقت ، عند تمام السبعين سنة التي حدّدها لمقامهم في بابل .

---

٢ لحزقيا = زيد في ق : حين كان مريضا .

٥ بعد ان اقام = ع ق ي : لتتمّة .

٧ سيدنا ... المجد = ع ق ي : امر الربّ المسيح السيد عزّ وجلّ .

١٠ المقدس = زيد في ك : ودخول بختنصر اياه وهدمه له .

١٢ له ... اسرائيل = ع ق ي : اياه وسبيه بني اسرائيل ونقله اياهم .

---

(١) اشعياء ٣٧ .

(٢) اشعياء ٣٨ .

(٣) اشعياء ٧ / ١٤ .

(٤) ارميا ٢٩ / ١٠ _ ١٢ .

مثل دانيال النبي

ومثل ما تنبّأ دانيال النبي عن رجوع بني اسرائيل الى بيت المقدس، فكان ذلك على ما قال، وما تنبّأ لبختنصر عن الرؤيا التي رآها بختنصر، فخبّره بالوحي بما كان مزمعا ان ينزل به فنزل به ودانيال حاضر (١).

ومثل ما تنبّأ على قتل المسيح، وانه لا تقوم لليهود بعد قتله قائمة، وانها تمزّق في البلاد كل ممزّق ويبطل ملكها و تضمحلّ رئاستها، وكان ذلك كما قال (٢).

وكذلك فعل جميع الانبياء ومن استحقّ اسم النبوة بالحقيقة. وكذلك كانت تفعل الملوك والامم بمن ادّعى عندهم شيئا من النبوة، لايقبل ذلك منه الّا بعد المحنة الشديدة، والمناظرة الطويلة، والمطالبة بالدليل والبرهان. فمن جاء بدليل صحيح وبرهان واضح وحجّة مقنعة قبلوا ذلك منه. ومن لم يأت بشيء من هذا، كذّبوه ونكّلوا به. والّا لكان من اتى بهذيان او بكلام منثور او كهانة او زجر، وقال: «انا نبي»، يقبل منه. وكانت الملوك تفعل ذلك بتوفيق الله.

مثل المسيح

فاما المسيح سيدنا ومخلص العالم، فان قدره يجلّ عن النبوة، لان مرتبته اعلى واشرف وارفع من مرتبة الانبياء. لان الانبياء انما هم عبيد الله تبارك وتعالى، والمسيح هو الابن الحبيب وكلمة الله الخالقة، وهو الباعث للانبياء وربّ الانبياء، والموحي اليهم، والموجّه

---

٢ بختنصر = ق : بيلشاصر الملك.
٣ ينزل به فنزل = ق : يحلّ به فحلّ.
٥ وانها تمزّق = ق : وانهم يمزّقون.
ملكها ... رئاستها = ق : ملكهم ... رئاستهم.
١٣ يقبل منه = ع ق ي : كان داخلا في جملة من تنبّأ.
١٤ سيدنا = ع ق ي : الرب.

---

(١) دانيال ٥ / ٢٥ ـ ٢٨.
(٢) دانيال ٩ / ٢٤ ـ ٢٧.

للرسل والمؤيّد لهم ، اذ هو كلمة الله الخالقة المتجسّدة . ولكن على كل حال نخبر كيف تنبأ لليهود وللحواريين ، وعرّفهم ان عنده علم الغيب ، واخبرهم بما في ضمائرهم ، وانه لا تخفى عليه خافية ، وانه يعلم السرائر وما هو مزمع ان يكون قبل كونه ، في الوقت الذي كان مقيما معهم ومترددا بينهم .

وذلك مثل قوله لهم ، وقد اجتمعوا حوله يرونه بناء هيكل بيت المقدس ، ويتعجّبون من جودة بنائه وصحّته وحسنه وتمامه ، فاجابهم وقال : " الحقّ اقول لكم ، انه لا يبقى من هذا البناء حجر على حجر الّا ونقض " . ثم اخبرهم بما سوف يأتيهم وينزل بهم من القتل والسبي والبوار . وكان ذلك كما قال ، بعد صعوده الى السماء مسجدا باربعين سنة (١) .

ومثل ما كان يخبرهم ايضا بما في ضمائرهم وما يكتمونه في انفسهم من تدبيرهم قتله (٢) .

ومثل قوله للحواريين ، وهم في بيت المقدس : " ان اليعازر صديقنا قد رقد " - وكان اليعازر هذا ينزل في موضع يقال له " بيت عنيا " ، على ثلاث فراسخ من بيت المقدس - " فامضوا بنا لاوقظه " . فأجاب الحواريون وقالوا : " ان كان قد رقد سوف يستيقظ " . وكان قد بلغهم عدّة مرضه ، فظنّوا نومه من عدّة السهر والقلق من المرض . فلما علم سيدنا انهم لم يفهموا قوله ، وما اشار به اليهم انه رقد رقدة الموت لا رقدة العافية ، حينئذ قال لهم معلنا : " ان اليعازر صديقنا قد توفّي ، وانا امضي لأوقظه ، وابعثه حيّاً من بين الاموات " . فمضى

---

١ اذ هو ... المتجسدة = ق : بالكلمة المتجسدة فيه . ك : بروحه الخالقة .

٢ وعرّفهم ... ضمائرهم = ق : بما يدلّ دلّا قاطعا على انه يعلم الغيب وما تكنّه الضمائر .

٤ يعلم = ع : يعرف . ق : خبير .

٩ سوف يأتيهم ... البوار = ع ق ي : هو صيبهم من البوار ونازل بهم من القتل والسبي .

١٣ للحواريين وهم = ع ق ي : لتلاميذه وهم مقيمون .

---

(١) مرقس ١٣ .

(٢) يوحنا ٨/ ٣٢ .

وهو معه ، فبعثه حيًا ، ودفعه الى اختيه مريم ومرتا ، كما قال ، وذلك بعد اربعة ايام من موته (١) .

ومثل قوله لسمعان الصفا ، وقد قال للحواريين ، في تلك الليلة التي كانت آخر عهدهم به : " جميعكم في هذه الليلة تشكّون فيّ و تخلّوني وحدي " . فقال له سمعان : " يا سيدي ، وان جحدك كل الناس فما اجحدك انا " . فقال له السيد المسيح له السجد مجيبا : " الحقّ اقول لك ، ستجحدني وتجحد معرفتي الليلة ، ثلاث مرّات قبل صياح الديك " . فنفر سمعان من ذلك نفورا عديدا ، وحرج لذلك القول . فلم يصح الديك في تلك الليلة حتى جحد معرفته ثلاث مرّات ، في ثلاثة مواضع مختلفة ، وأكّد ذلك بالايمان الغليظ على جحوده وانكاره . فنظر اليه السيد المسيح بعد ذلك الوقت ، فذكر سمعان ذلك ، فبكى وندم على ما كان من جحوده وانكاره (٢) .

فهذه ، اصلحك الله ، شروط النبوّة ودلائلها وعلاماتها .

ما هي النبوّات التي تنبّأ بها محمد ؟

فعرّفنا الان عن صاحبك هذا ، الذي اقررت له بالنبوة ، بما تنبّأ وما هي نبوّته التي ظهرت عنه ، وبماذا استحقّ عندك وعند من له عقل اسم النبوّة ، وما الدليل على ذلك ؟

---

٣ للحواريين = ع ق ي : لتلاميذه .
٤ تشكّون ... وحدي = ع : تتركوني . ق ي : يخذلني .
٥ جحدك ... انا = ع : تركك جميع الناس لم اتركك انا .
ق ي : ان خذلك الناس كلهم فلا اخذلك انا ابدا .
٧ فنفر = ع ق ي : فجزع .
١٠ وأكّد ... الغليظ = ع ق ي : حالفا بغليظ الايمان .
١٥ من له عقل = ع ق ي : غيرك .

---

(١) يوحنا ١١ .

(٢) يوحنا ١٦ / ٣٢ و لوقا ٢٢ / ٣١ ـ ٦٢ .

بحرف واحد . فان كان هكذا ، فقد سقطت عنه الشريطة الثانية من شريطتي النبوة وخاب منهما .

فاذ قد خلا من الشريطتين اللتين توجبان اسم النبوة ، وهما متضمّنتان للآيات والعجائب الممتنعة ، فلننظر في الآيات هل اتى من ذلك بشيء .

لم يأت بآيات وعجائب

فاما باب الآيات التي يستحقّ بها هذا الاسم بعد الشريطتين المتقدّمتين ، فانت تعلم انه خلوّ من ذلك ، وانه لم يكن له فيها حيلة ولا أومأ فيها بشيء. فنقول انه زعم في كتابه انه قيل له : " وما منعنا ان نرسل بالآيات الاّ ان كذّب بها الاوّلون " (١) ، اي لولا ان يكذّبوا بآياتك ، كما كذّبوا بالآيات التي جاءهم بها الاوّلون من قبلك ، لأعطيناك الآيات .

فلعمري ، ان هذا لجواب ممتنع عند منتقدي الكلام والناظرين في قوانين المنطق . فقد بريء صاحبك من اسم النبوة وخلا منها ، ولم يستحق منها شيئا بوجه من الوجوه ، ولا بمعنى من المعاني ، على حسب ما قدّمناه من القول وحقيقة الامر فيه ، وليس لمثلك في انصافك وعدلك جحود شيء من الحقّ .

هل ظفره على اعدائه دليل على نبوّته ؟

فان ادعيت ان من الدلائل على نبوته ظفره على اعدائه ، وهو واصحابه في القلّة والضعف على ما كان عليه ملك فارس في عظمته وجلالة قدرته وجودة تدبير اصحابه ، وحسن سياسة ملوكه مع كثرة العدد بالسلاح والرجال ، اجبناك بكلام الله لبني اسرائيل حيث قال لهم : " لا تقولوا انه

-.-

٢ وخاب = ع ق ي : واصفر .

١١ فقد بريء ... الامر فيه = ق : وانت تعلم ، اصلحك الله ، وكل من يسمع هذا الجواب ان صاحبك ابرأ نفسه من آيات النبوة ، لانه لم يقدر عليها .

١٥ وهو واصحابه = ع ق ي : وظفر اصحابه وهم .

١٨ لا تقولوا ... ديارهم = ع ق ي : ليس ان الله احبكم اكثر من محبته لسائر الشعوب سلّطكم على الاموريين والفرزانيين تقتلونهم وتخربون ديارهم وترثون بلادهم .

-.-

(١) ١٧ / ٥٩ .

لبركم احبّكم الله وسلّطكم على سائر الشعوب * ـ من الاموريين والفرزانيين وغيرهم من الامم الذين خرّبوا بلادهم وقتلوهم ودمّروا ديارهم ـ * لكن لاجل آثام هؤلاء الشعوب وكثرة خطاياهم سلّطتكم عليهم واظفرتكم بهم * (١).

ومثل فعله ببيت المقدس ايضا ، وقد اختاره من الارض كلها واحلّ فيه اسمه ، واظهر فيه الآيات والجرائح العجيبة ، واسكن فيه انبياءه المصطفين ، وكان يرتّل فيه لاسمه بالتسبيح والتقديس والتهليل ليلا ونهارا ، وتستجاب فيه الدعوات وتحلّ فيه البركات . فعندما طغى اهله ، وجعلوا لله اندادا ، وجحدوا نعمته وظنّوا ان الذي هم فيه صار اليهم بايديهم وقوّتهم ، سلّط عليهم اعزّ خلقه وارذلهم بختنصر ، عابد صنم مشرك بالله عزّ وجلّ ، فقتل الرجال الذين كانوا اولاده وخيرة خلقه ، وهم معروفون بشعبه ، وسبى ذراريهم ، واخرب البيت الذي كان معروفا باسمه ، ونقل الآنية التي كانت فيه الى بابل ، الارض النجسة بعبادة الاصنام ، واستعملها للاصنام والاوثان . أفنقول ان بختنصر انما ظفر بالبيت المقدس ، وبلغ منه ومن اهله ما بلغ ، لانه كان نبيا ، أم بسبب ما وصفنا .

وكذلك ايضا كانت قصة صاحبك واصحابه مع ملك فارس ، لان اهل بلد فارس كانوا مجوسا يعبدون الشمس ، انجاسا ارجاسا ، مرذولين بعبادتهم الشمس والنار ، وينكحون البنات والاخوات والامهات . وكانوا قد عتوا ، وعاندوا الحقّ ، وتكبّروا فوق المقدار بجهلهم وقلّة معرفتهم بقدرهم ، وادّعوا الربوبية التي لم يجعلها الله لهم ، وبدّلوا نعمة الله بالكفر ،

---

٥ واظهر ... واسكن فيه = ع ق ي : وايّده بالآيات والعجائب المعجزة واسكنه .
٨ وجحدوا نعمته = ق ي : وغمطوا نعمه وجحدوا آياته .
صار ... وقوّتهم = ع ق ي : انما نالوه وصاروا اليه بايديهم وقوّتهم وقلّ شكرهم لله جلّ اسمه .
١١ ذراريهم = ع ق ي : ديارهم .
١٥ بسبب ما وصفناه = ق : للسبب الذي ذكرناه آنفا .
١٧ مرذولين بعبادتهم = ع ق ي : من اسقاط الامم وجهالهم يعبدون .
٢٠ وبدّلوا ... بالكفر = ع ق ي : وابتذلوا نعمه كفرا وعدوانا .

---

(١) تثنية ٩ / ٤ ـ ٦ .

وبغوا وسعوا في الارض فسادا وظلما ، وارتكبوا المآثم ، وتوهّموا ان الذي هم فيه انما هو من صحّة تدبيرهم وكثرة قوّتهم وشدّة نجدتهم وبطشهم . فسلبهم الله نعمته ، وسلّط عليهم من اخرب بلادهم ، وقتل رجالهم ، واخلى مساكنهم ، وسبى ذراريهم ، ونهب اموالهم . فلم يبق لهم امرأة الاّ نكحت ، ولا ولد الاّ استعبد ، وبلوا بسخط الله ولعنته ورجزه . وكذلك يفعل الله بالقوم الظالمين .

فلنرجع الان الى ذكر الآيات التي توجب لكل من اظهرها صحّة ما يدّعي من نبوّة او رسالة عن الله تبارك وتعالى ، وننظر في ذلك نظرا شافيا .

ليس في القرآن ذكر لآيات محمد

فنقول : اما في كتاب صاحبك ، المدّعي انه منزل عليه من عند الله ، فليس فيه ذكر شيء من الآيات ، بل كما قلنا آنفا انه زعم لولا انهم كذّبوا بآيات الانبياء الاوّلين لأتوه بالآيات ، لكن كرهوا ان يأتوه بشيء من الآيات فيكذّبون بها ، فارتفع بهذا القول ذكر الآيات عنه ، وزالت كل دعوى تدّعي له بها وسقطت . ولعمري ، ان هذه ليست حجّة مقنعة ، وجواب صحيح يجوز عند ذوي العقول ، ويرضى به العلماء والفلاسفة والمنتقدون الكلام والباحثون عن اصول الاخبار .

فهذا ما شهد له به كتابه . فنقول : ان الاوّلين من اليهود كذّبوا بآيات الانبياء وردّوها . فخبّرني عن الاعراب بآيات اي نبيّ كذّبوا ؟ ونحن وانت نعلم انه لم يبعث فيهم نبيّ ، ولا وجّه اليهم رسول لا بآية ولا بغير آية . ولعله لو جاءهم ببعض الآيات كانوا قد صدّقوه ولم يكذّبوه . ولكنها حجّة مبهرجة تتلاشى عند المحنة .

الآيات المنسوبة اليه اباطيل وأكاذيب

امّا في غير الكتاب ، فمن الخرافات انهم زعموا انه كان من آياته

---

٥ وبلوا = ع : ووقعوا . ق پ : وبادوا .

١٠ لأتوه ... من الايات = ق : لأتاه الله الايات ولكنه كره ان يؤتيه بشيء منها .

٢٠ ولكنها = ق : ألم تر ان كثيرين اجابوا دعوته ولم يروا منه آية ، ولا سمعوا عنه اعجوبة ؟ ولكن انت تعلم ، حفظك الله ، ان هذه .

٢١ فمن الخرافات = ق : فقد وجدنا لكم اخبارا وقصصا هي كخرافات العجائز ، منها .

العجيبة المعجزة انه وقف بين يديه ذئب (١) فعوى وبكى. فالتفت الى اصحابه وقال لهم: "هذا وافد السباع. فان احببتم ان تفرضوا له شيئا لا يعدوه الى غيره، وان احببتم تركتموه وتحرزتم منه". قالوا: "ما يطيب لنا شيء". فأومأ اليه باصابعه الثلاث ان يخالسهم، فولّى وهو عيلان.

فهذه لعمري آية عجيبة لم يسمع السامعون بمثلها قط، ولا نظر الناظرون اعجب منها، تضلّ عندها عقول الفلاسفة والحكماء، وتتحيّر منها العلماء وذوو الحيل والفطن الدقيقة، انه عرف عواء الذئب وانه وافد السباع. ولو قال: ان هذا الذئب رسول رب العالمين اليه، من كان يردّ عليه قوله؟ فواضع هذا الخبر وضعه لقوم لا محنة لهم وليس فيهم منتقد باحث.

وزُعم ايضا ان الذئب كلّم أُهبان بن اوس السلمي فأسلم. ولو ادّعى واضع هذا الخبر ان اهبان ذكر ان الاسد كلّمه لكان عندي اعجب آية. على انه قد ساواه فيها بل فضّله، فذكر انه عرف عويّ الذئب فادّعى معرفة ما قال في عوائه انه وافد السباع، واما أُهبان السلمي فانه زعم ان الذئب ناطقه بلسان عربي بيّن. والاعجب في هاتين الآيتين انه لم تجريا الا بواسطة الذئب الذي يُعرف بالخاطف، وهكذا يسمّى في كتب الله المنزلة. فمثلك، ايّدك الله، لا يخيّل عليه مثل هذا الكلام. وليست لنا حاجة الى الاطالة فيه.

وكذلك قصة ثور دريح، وادعائهم مخاطبته دريحا عند ضربه اياه.

---

٥ عيلان = ح ي : غيلان. ى : غائل.

٦ ولا نظر الناظرون = ى : ولم ير الراؤون.

٩ ولو قال : ى : فليت شعري، لو كان قال لهم.

١٠ فواضع = ى : فواضع ان.

١٧ وهكذا يسمّى = ع ي : كاسمه. ى : من السباع وهذا لقبه.

١٩ الاطالة فيه = ك : شرح ذلك.

---

(١) "وفدت السباع اليه تسأله ان يفرض لها ما تأكل" (البيروني: تواريخ افعال النبي، ص ١٥، ساقطات الآثار الباقية، طهران ١٩٦٩).

فالجواب في هذا انه يشهد في كتابه ان الاعراب اشدّ كفرا ونفاقا (١) .

واما الخرافة التي في ذكر شاة أم معبد ، ومسح يده على ضرعها (٢) ، وما يلي ذلك من الخرافات الاخرى ، كدعائه الشجرة فأسرعت مقبلة مجيبة تخدّ في الارض (٣) ، فهذا امر نوّهتُ اذ ان فيه نظر ، مع ان اكثر المسلمين الراسخين في العلم لا يقبلونه بل يردّونه ولا يصحّحونه .

فاما ذكر السمّ الذي سمّته زينب بنت الحارث (٤) اليهودية ، امرأة سلّام بن مشكم اليهودي ، في شاة مصليّة ، فكلّمته الذراع : " لا تأكل مني فاني مسمومة " . واكل معه البرآء بن معرور (٥) فمات ، وان السمّ لم يزل يدبّ في بدنه وكان سبب موته (٦) .

فليت شعري ، هل هو سمع الكلام من الذراع وحده أم سمعته الجماعة التي كانت بحضرته ؟ فان كان سمعه وحده ، فكيف لم يمنع البرآء من اكل طعام مسموم حتى لا يموت ؟ والبرآء رجل من اصحابه قد اختصّه بالاكل معه . وكيف استجاز ان يكتم ما قالت الذراع له انها مسمومة ؟ وان كان سمع هذا القول من الذراع جميع من حضر ، فكيف لم يمتنع البرآء من الاكل ، وهو يسمع الذراع تقول : " لا تأكل مني فاني مسمومة ؟ وكيف امتنع هو من الاكل وترك ذلك الدقيّ يأكل من طعام مسموم فقتله؟

فليس يخلو الامر من احد الوجهين : امّا ان يكون سمعه وحده ، فكتم

-----

٤ تخدّ = ق : تجهد . ع ي : محمد .

١٣ استجاز ... قالت = ع ك ي : استحلّ ذلك واستجاز كتمان قول .

-----

(١) ٩ / ٦٩ .

(٢) س . ن . ١ / ٤٨٧ . جوامع السيرة لابن حزم ص ١٣ .

(٣) س . ن . ١ / ٣٩١ . جوامع السيرة ص ١١ .

(٤) زينب بنت الحارث . اهدت محمدا ، بعد انتصاره على بني خيبر (٦٢٨) شاة مصليّة وسمّتها ، واعترفت بما فعلته قائلة : " ان كان محمد ملكا استرحت منه ، وان كان نبيا فسيُخبر " .

(٥) البرآء بن معرور . صحابيّ من الانصار الخمسة والسبعين الذين حالفوا محمدا في بيعة العقبة (٦٢٢) .

(٦) س . ن . ٢ / ٣٣٧ ـ ٣٣٨ . جوامع السيرة ص ١٢ .

ذلك غدرا وكفرا ، واما ان تكون الجماعة سمته . فلِمَ لم يمتنع البراء من الاكل حيث سمع ولا يموت ؟ ولعلّ البراء سمع واكل ليقينه انه يأكل مع نبي مستجاب الدعوة ورسول ربّ العالمين ، مدفّع عند ربّه في كلّ ما يسأل . ولِمَ لم يدع ربّه فيجيبه ؟ كما عهدنا بالانبياء المدفّعين في احياء الموتى ، كأيليّا النبي وقد احيى ابن الارملة في صرفة صيدا (١) ، ومثل اليشع النبي في اقامته ابن الشونمية من الموت حيّا (٢) ، وقد فعلت الانبياء مثل هذا مرارا كثيرة وهم احياء ، وفعلت القوّة الحالّة في عظامهم ايضا بعد موتهم ، مثلما فعلت عظام اليشع حيث وُضع الميت عليها فعاش (٣) . وانت تعلم ان هذا خبر صحيح في كتب الله المنزلة ، قد قرأته في سفر الملوك مفسّرا ، ليس فيه اختلاف بين النصارى واليهود ، وهما امّتان مختلفتان متعاديتان ، اجتمعنا نحن وهم على صحّة ذلك.

وكيف لم يأكل هو منها ايضا فلم يصبه شيء ، فيكون ذلك آية له وشاهدا على صحّة ما يدّعي من النبوّة ، ان كان نبيّا كما تقول ؟ لان الانبياء اجمعين موقون معصومون بالعناية التي عليهم من الله ، جلّ ثناؤه ، من الآفات التي تحتال بها الكفّار عليهم وعلى اولياء الله ، سيّما وقد قرأتَ في الانجيل المقدّس حيث قال السيد المسيح لتلاميذه ، ووعدهم وعدا صحيحا ، وانجز لهم وعده اذ يقول لهم : " وان شربتم السمّ القاتل فلا يضرّكم " (٤) ، اي اذا اردتم اظهار صحّة دعواكم وما يعرفه

---

٢ ولعلّ ... ليقينه = خ ق ي : وحيث مات ابن البراء من اكله السمّ ولعله انما اكله ثقة منه .

١١ امّتان = ع ق ي : ملّتان .

١٢ وهم = زيد في ٢ك : على غير تواطوء .

١٥ بالعناية التي = ع ق ي : بالوقاية الحالّة .

---

(١) ١ ملوك ١٧ / ١٧ ـ ٢٤ .

(٢) ٢ ملوك ٤ / ١٨ ـ ٣٧ .

(٣) ٢ ملوك ١٣ / ٢٠ ـ ٢١ .

(٤) مرقس ١٦ / ١٨ .

الناس من بشارتي ، فان ذلك جائز مطلق . فقد كانوا يمتحنون بمثل هذا وشبهه ، فتظهر صحّة دعواهم على المحنة والتجربة . فانقادت لهم الملوك الجبابرة ، والعلماء الفلاسفة ، والحكماء اصحاب الحيل والقضاة ، بلا سوط ولا عصا ، ولا سيف ولا رمح ، ولا عشيرة ولا ناصرة ، ولا حكمة دنيويّة ، ولا ترغيب في شيء ولا تسهيل في شريعة ، بل لِما كانوا يرون من اظهارهم الافعال العجيبة التي يمتنع امكانها في عقول الآدميين . فكانوا يرفضون ملكهم وعتوّهم ، ويمحون فلسفتهم ويزهدون في علمهم وحكمتهم ، ويخرجون من نعيمهم وايسارهم ، ويتبعون اناسا فقراء الظاهر صيّادي سمك وعشّارين ، لا حسب لهم ولا نسب غير انتمائهم الى طاعة المسيح الذي اعطاهم السلطان والقدرة على فعل تلك العجائب .

فهذه ، اصلحك الله ، دلائل النبوّة وعلامات الرسالة وصحّة الدعوة الى الله تبارك وتعالى ، لا ما يدّعيه صاحبك ممّا لا حقيقة له .

واما الميضاة وخبرها ، وانه ادخل يده فيها ففاض منها الماء حتى شربوا وشربت دوابهم (١) ، فالخبر بذلك جاء عن محمد بن اسحاق (٢) والزهري (٣) ، وامرها ضعيف عند اصحاب الاخبار ، ولم يجتمع اصحابك على صحته .

فكيفما اردت ، اخبار صاحبك ، اصلحك الله ، ليس ينساغ منها شيء ولا يستوي ، ولا تصحّ دعوى واحدة منها . على انه سبق فتاح المغازي كلها وحذف ذكر الآيات بتّة ، فبطلت دعوى من ادّعى له آية . وانما بُعث بالسيف تسليطا ، وان كل من لم يقرّ انه نبي مرسل قتله ، او يؤدّي الجزية ثمنا لكفره فيدعه .

---

٥ دنيويّة = زيد في ق ب : ولا فصاحة بدعة القاظ ولا حذق بحجّة .
٢٠ تسليطا = ع ق ب : تسليبا .

---

(١) جوامع السيرة ص ٨ .
(٢) محمد بن اسحاق (٠٠ ـ ٧٦٧) محدّث ، الّف كتاب « المغازي » الذي اخذ عنه ابن هشام « السيرة النبويّة » .
(٣) الزهري (٦٧٠ ـ ٧٤١) محدّث . قيل انه اوّل من دوّن الحديث . جمع نحو الفي حديث عن الصحابة وعن غيرهم .

فهل تريد ، اصلحك الله ، دليلا اوضح ، او حجة اقنع ، او برهانا اصح على بطلان ما جاء به صاحبك غير هذا ؟ ان انت انصفت نفسك وصدقتها على ان صاحبك قد اقرّ وقطع بإقراره كل سبب من اسباب الآيات ، بما نقلت عنه الثقاة الناقلون اخباره ، انه قال قولا مصرّحا ، غير مكاتم ولا ساتر ، انه : "ليس من نبيّ الاّ وقد كذبت امّته عليه . ولست آمن من ان تكذب عليّ امّتي (١) . فما جاءكم عنّي اعرضوه على الكتاب الذي خلّفته بين اظهركم . فان كان له مثالا وكان له فيه ذكر ، فهو عنّي وانا قلته وفعلته . وان لم يكن له ذكر في الكتاب ، فاني بريء منه ، وهو كذب ممّن رواه عنّي ، وما قلته ولا فعلته" .

فانظر ، اصلحك الله ، في هذه الاخبار التي ذكرناها وما يقول صاحبك ، هل تجد لها اصلا في الكتاب الذي في يدك ؟ فان كان لها فيه اصل او ذكر ، فهي لعمري صحيحة قد فعلها وأتى بها ، والاّ فهو بريء منها ، لانها اباطيل تقوّلت عليه واكاذيب ممّن رواها عنه .

لمّا توفّي ، ظنّ اصحابه انه سيرفع الى السماء

ثم اعظم من هذا واشنع انه كان يقول في حياته ويوصي اليهم ، اذا مات ، الاّ يدفنوه ، فانه سيرفع الى السماء كما ارتفع المسيح سيد العالم ، وانه اكرم على الله من ان يتركه على الارض اكثر من ثلاثة ايام . ولم يزل ذلك عندهم متمكّنا في قلوبهم ، فلما مات يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل ، سنة ثلاث وستين لمولده ، وقد مرض اربعة عشر يوما ، فتركوه ميتا يظنّون انه سيرفع الى السماء كقوله . فلما اتت عليه ثلاثة ايام وتغيرت رائحته ، وانقطع رجاؤهم من رفعه ، وأيسوا من تلك المواعيد الباطلة ووقفوا على كذبه ، دفنوه

---

(١) "لا تكذبوا عليّ . فان من كذب عليّ متعمّدا ، فليتبوّأ مقعده في النار" (صحيح البخاري ١ / ٣٨) . "اياكم وكثرة الحديث عني . فمن قال عليّ فليقل حقّا وصدقا . ومن تقوّل عليّ ما لم اقل ، فليتبوّأ مقعده في النار" (سنن ابن ماجة : المقدمة ٤ / ٣٥) .

في التراب يوم الاربعاء (١) .

وحكى بعضهم انه مرض سبعة ايام بذات الجنب وانه غرب عقله . فغضب لذلك عليّ بن ابي طالب وانتزه . فلمّا افاق اخبره بما كان ، فقال : « لا يبقينّ في البيت احد الاّ العبّاس بن عبد المطّلب » (٢) . فلما كان اليوم السابع من مرضه مات . فربا بطنه وانحكت اصبعه اليسرى وهي الخنصر .

وذكر ضمران انه كان تحته في مرضه مشملة حمراء ، وعليها مات وفيها ادرج بعد موته ، وووري في التراب بغير غسل ولا اكفان . وروى عمران بن حضير الخزاعي انه غسل وادرج في ثلاثة اثواب سحولية اي بيض يمانيّة ، وتولّى منه ذلك عليّ بن ابي طالب والفضل بن العبّاس بن عبد المطّلب عمّه .

الذين اعتنقوا الاسلام لم يكونوا مخلصين

فلم يبق احد ممّن كان تبعه الاّ ارتدّ ورجع عمّا كان عليه (٣) ، غير نفر يسير ومرذمة قليلة من اخصّ اهله واقربهم نسبا اليه ، طمعا بما كان فيه من تلك الرئاسة . فكان لأبي بكر (٤) ، عتيق بن ابي قحافة ، في ذلك اعجب تدبير والطف فعل واكثر رفق . فتولّى الامر بعده بذلك السبب . فاغتاظ عليّ بن ابي طالب غاية الغيظ ، ودخل

---

١ الاربعاء = زيد في ك٢ : في اليوم الثالث من وفاته .

٢ عقله = زيد في ق : وخلط في كلامه تخليطا شنيعا .

٥ اليسرى = ع ق ي : الشمال .

٧ ضمران = ع ك ي : حمزان .

---

(١) س . ن . ٢ / ٦٥٤ _ ٦٦٤ .

(٢) العبّاس بن عبد المطّلب (.. _ ٦٥٢) عمّ محمد واليه ينتمي الخلفاء العباسيون .

(٣) س . ن . ٢ / ٦٦٥ _ ٦٦٦ .

(٤) عبد الله ابو بكر ، الملقّب بالصدّيق . والد عائشة زوجة محمد . اوّل الخلفاء الراشدين (٦٣٢ _ ٦٣٤) . وطّد سلطة الاسلام في الجزيرة العربية وارسل الجيوش لفتح سوريا والعراق .

عليه ما يدخل على من لم يدرك ان الامر صائر اليه فانتُزع من يده ، كل ذلك حرصا على الدنيا ورغبة في الرئاسة . فلم يزل ابو بكر ، برفقه وحسن مداراته ، يلطّف بالمرتدين الى ان رجعوا بضروب من الحيل والرفق ، والعدات والتسويقات ، والاماني والخداع . فبعض ذلك كان بمعنى الفزع من السيف ، والبعض بالترغيب في سلطان الدنيا واموالها واباحة شهواتها ولذّاتها ، فرجع من رجع في ظاهره لا في باطنه .

وما اخالك انك ذاكر ما جرى في مجلس امير المؤمنين ، وقد قيل له في رجل من اجلّ اصحابه انه انما يظهر الاسلام وباطنه المجوسيّة (١) القذرة ، فأجاب بما علمته : " والله اني لأعلم ان فلانا وفلانا — حتى عدّد جماعة من خواصّ اصحابه — انهم يظهرون الاسلام وهم ابرياء منه ويراؤ وننى ، واعلم ان باطنهم خلاف ما يظهرونه ، وذلك انهم قوم دخلوا في الاسلام لا رغبة في ديانتنا هذه ، بل ارادوا التقرّب منّا والتعزّز بسلطان دولتنا ، لا ببصيرة لهم ولا رغبة في صحّة ما دخلوا فيه . وقصّتهم قصّة تُضرب مثلا للعامّة ان اليهوديّ انما تصحّ يهوديّته ويحفظ شرائع توراته اذا اظهر الاسلام . وما قصتهم في مجوسيتهم واسلامهم الا كقصّة اليهودي . واني لأعلم ان فلانا وفلانا — حتى عدد جماعة من اصحابه كانوا نصارى فأسلموا كرها — فما هم مسلمون ولا هم نصارى ، ولكنهم مخاتلون . فما حيلتي وكيف اصنع ؟ فعليهم جميعا لعنة الله . اما كان يجب عليهم ، وقد خرجوا من المجوسية القذرة التي هي اقرّ

---

٥ بمعنى الفزع = ق : بالخوف الغرق .

٧ اخالك = زيد في ق : اكرمك الله الا .

٩ علمته = زيد في ق ك٢ : من الجواب حيث قال .

١٠ جماعة = ع ق ي : جملة .

١٤ وقصّتهم ... للعامّة = ق : واني اعلم ان قصّتهم كقصّة ما يضرب من مثل للعامّة .

---

(١) المجوسيّة . ديانة بلاد فارس ، وضعها زرادشت في منتصف القرن السابع قبل الميلاد ، ودُوّنت تعاليمه في كتاب " الافستا " . وهي ديانة ثنويّة تدعو الانسان ان يختار بين العنصرين اللذين يتنازعان العالم : عنصر الخير وعنصر الشرّ ، بانتظار يوم الدينونة الذي يعقب انتصار الخير على الشرّ .

الاديان واخبث الاعتقادات ، او عن النصرانية التي هي انعن الاقاويل ، الى نور الاسلام وثباته وصحّة عقده ، ان يكونوا ابدّ تمسّكا بما دخلوا فيه منهم بما تركوه ظاهرا وخرجوا عنه ريا٠؟ ولكن لي قدوة برسول الله عليه السلام وأسوة به٠ لقد كان اكثر اصحابه ، واخصّهم به واقربهم اليه نسبا ، يظهرون انهم اتباعه وانصاره٠ وكان صلّى الله عليه وسلّم يعلم انهم منافقون وعلى خلاف ما كانوا يظهرون له وضحّ عنده٠ وانهم لم يزالوا يبتغون له الغوائل ويريدون به السوء ، ويتطلّبون له العثرات ويحيّنون المشركين عليه نثار العين ، حتى ان جماعة منهم كمنوا له تحت العقبة (١) واحتالوا لتنفر بغلته وترمي به فتقتله ، فوقاه الله كيدهم وشرّ ما كانوا يبتغون له٠ ثم كان يداريهم دائما ، الى ان قبضه الله اليه ، على غاية ما يداري به الاعداء المكاشفين ، حذرا منهم٠ افما ينبغي لي ان اشابهه ، صلّى الله عليه وسلّم ؟ هذا وكان حيّا ملء ثيابه٠ ثم ارتدّوا جميعا بعد موته ، فلم يبق احد يُظنّ به رشد الاّ رجع وارتدّ ، وحرص على تشتيت هذا الامر وابطاله ظاهرا وباطنا وعلانيّة وسرّا ، الى ان ايّده الله ، وجمع تفرّقهم ، والقى في قلوب بعضهم شهوة الخلافة ومحبّة الدنيا٠ فرُبط النظام ، وجُمع الشمل ، وأُلّف التشتيت بالحيلة ولطف المداراة٠ واتمّ الله٠ وما المنّة له في ذلك ، ولا هو محمود عليه ، بل المنّة لله والحمد والذكر له على ذلك بأسره٠ فلست اذكر ما اراه ويبلغني من اصحابي هؤلاء ، لا أبعد الله غيرهم ، وما لهم عندي الاّ المداراة والصبر عليهم ، الى ان يحكم الله بيني وبينهم ، وهو خير الحاكمين٠

ولولا ان سيدي امير المؤمنين تكلّم جهارا على رؤوس الملأ في مجلسه ، اجلّه الله ، فذاع الخبر بذلك ونقله الشاهد الى الغائب ، لما حكيته٠ وانت تشهد لي اني لم اتزيّد بشيء من ذلك٠ وانما ذكرتك

---

٤ وأسوة = ق : واسرة٠

١١ قبضه الله اليه = ع ق ي : قبض الله روحه٠

١٢ المكاشفين = ك : المنافقين٠

---

(١) العقبة ، مكان بين مكّة ومنى ، وعندها تحالف المدنيّون على مناصرة النبي محمد (٦٢٢) : س٠ ن٠ ١ / ٤٣١ ـ ٤٣٨٠

ما جرى في ذلك المجلس ـ وليس له مدّة طويلة ـ وحثثتني على اعادته المردّة ، ولتعلم انه لم يكن ردّ القوم من الردّة الى هذا الامر الاّ رغبة في الدنيا ولإتمام هذا الملك الذي هم فيه . وفي ذلك لذوي الالباب ممّن ينظر في كتابنا هذا مقنع ، ان شاء الله .

فلنرجع الآن الى كلامنا فنقول : انه كان عمره ثلاثا وستين سنة ، منها اربعون سنة قبل انبعاثه النبوّة ، وثلاث عشرة سنة بمكّة ، وعشر سنين بالمدينة .

فهذا ، اصلحك الله ، ما لا تقدر انت ولا غيرك ، ممّن يدّعي ما تدّعيه من هذا الامر ، ان ينكره او يغيّره . والذي نقل اليك دينك ، ووثقت به في جميع ما نقله عنه ، هو الذي نقل هذه الاخبار . فهذه قصّته من اولها الى آخرها .

هل اعمال موسى تبرّر اعمال محمّد ؟

فان احتججت علينا ان موسى ويشوع بن نون ، ولي الله وخليفة موسى ، قد حاربا اهل فلسطين ، وضربا بالسيف وقتلا الرجال وسبيا الذراري ، واحرقا القرى والمساكن بالنار ونهبا الاموال ، فلِمَ انكرت على صاحبنا امره وفعله ؟ اجبناك : انهما فعلا ما فعلاه عن امر الله ، عزّ وجلّ ، لقوام ما اراده وقدّره وانجاز مواعيده ، وفعلا ذلك بقوم كانوا قد طغوا وبغوا وتجاوزوا الحدّ ، فاوجب الله تبارك وتعالى تأديبهم كتأديب الاب المشفق على ابنه .

اعمال موسى كانت عن امر الله

فان قلت : وما الدليل على ان ذلك منهما كان عن امر الله ؟ قلنا لك : ان نبي الله موسى ، لمّا جاء بالآيات المعجبة التي فعلها بمصر وبحضرة فرعون وجميع اهل مصر ، واخرج بني اسرائيل بذلك الايد العجيب

---

٩ يغيّره = ع ق پ : يجحده .

١١ آخرها = زيد في ك٢ : على صحّتها وصدقها وثباتها وشرحها .

١٧ فأوجب = ع ق پ : فأحبّ .

١٩ الله = زيد في ق : سبحانه وتعالى ، وان الذي فعله صاحبك لم يكن عن امر الله

٢١ مصر = زيد في ق : بعدما فعل اهل مصر ببني اسرائيل ما فعلوه .

وتلك القوّة المنيعة والقدرة العزيزة ، وفلق لهم البحر وأجازهم فيه ، وغرق فرعون واصحابه عندما تبعوهم ، وضرب الصخر الاصمّ بعصاه ، فتفجر منه اثني عشر نهرا فقاعم منها ، وانزل لهم المنّ والسلوى ، وما اشبه ذلك ممّا أتى به ، ممّا هو ممتنع في قدرة المخلوقين ، لا يقدر احد ان يفعل مثل ذلك غير الخالق جلّ وعزّ ، او من أعطاه الربّ القدرة على فعل مثله ، فصارت هذه دلائل واضحة وشواهد صادقة له ان جميع ما فعله كان عن أمر الله تبارك وتعالى . فهو أمره بقتال الكفّار الذين قاتلهم وسبى ذراريهم وأحرق مساكنهم ونهب اموالهم .

وكذلك ما فعله يشوع بن نون من ايقافه الشمس في وسط الفلك عن سيرها الى ان انتقم من اعدائه . وكذلك أوقف القمر بأمر الله فوقف . وشهد له الكتاب بانه لم يكن مثل ذلك اليوم فيما مضى ، ولن يكون في المستأنف (١) ، لانها آية خصّ بها يشوع بن نون ، وتكون شهادة لجلالته عنده الى آخر الابد . وكذلك افاعيل عجيبة غير هذه يطول شرحها . وقد زعمتَ انك قرأتها في كتاب يشوع بن نون ، ودرستها حقّ دراستها ، فلا وجه لأعادتها . ونحن واليهود متفقون على صدق ذلك ، على غير تواطؤ ، وانه حقّ مثبّت في الكتاب ، كما حكاه ديوان الله ، لا نشكّ فيه ولا نرتاب .

ما الآيات التي تبرّر رسالة محمّد ؟

فأعطنا انت ، اصلحك الله ، ادنى حجّة او آية او لمحة أعجوبة ترمي بها الى صاحبك ، تبيّض وجهه بها وتردّ طعن الطاعن عليه ، انه فعلها يقرّ له كتابه بصحّتها وصدقها ، حتى نصدّق نبوّته ونقرّ برسالته ونقبل

---

٧ فهو أمره بقتال = ق : وصحّ عندنا ايضا ، من وجه آخر ، انه لم يجيء من بعده نبي ولا رسول من عند الله الاّ ثبّت له مقالته وصحّح قوله وما جاء به . وعلمنا ان قتال .

٨ اموالهم = زيد في ق : حقّ من الله .

٩ ايقافه = ق ك٢ : استيقافه .

١٥ واليهود = زيد في ق ك٢ : المخالفون لنا .

---

(١) يشوع ١٠ / ١٢ ـ ١٤ .

دعوته وتعلم ان ما فعله وما اتاه ، من قتل الناس وسبيهم واخذ اموالهم واخراجهم من ديارهم ، كان عن أمر الله جلّ وعزّ وبأذنه ، كما فعل اولياء الله .

فانا نعلم حقيقة انه لا جواب عندك . فليس يحسن بك ، ولا ينبغي لك ، ان تتكلم وتقدم من ردّ عليك قولك وانكر ما ادّعيته قائلا : ان الله لم يبعث صاحبك هذا رسولا ولا نبيّا ، ولا أمره بمحاربة احد ولا موادعته .

انه رجل متغلّب وليس نبيا رسولا

وانما هو رجل متغلّب ادّعى لنفسه ما ادّعى ، فصدّقه على ذلك قوم من عشيرته واهل بيته وبلده . فليس على من جحد هذا وردّه لوم ولا عيب ولا ذنب ، بل ان انصفت عشرته واحمدت رأيه ، وارتضيت بصحة عزيمته وقلت بجودة فكره لأحادثه عن القول المتهافت المتناقض ، العائد على نفسه ببطلانه .

وانت تعلم ان العقل والنصفة يوجبان ذلك ، اللهمّ الاّ ان تستعمل المباهتة التي ليست من منصبك ولا من اخلاقك ، بل هي سلاح لعامّة اليهود والكفرة والجهّال ، فان الكذب والبهت والمكابرة اهل قولهم ومتن كلامهم وعقد امرهم ، لانهم يشبهون الشيطان اباهم ، الكاذب المخترع الكذب والبهت ، كشهادة الربّ يسوع المسيح عليه في انجيله الطاهر المقدّس (١) .

لا يمكنني قبول دعوتك والاقرار بنبوّته

فالى ما ارجع من أمرك ، وكيف اقول ، وبما احتجّ لك عند عقلي ؟

---

٤ عندك = زيد في ق ك٢ : في هذا وانك لا تقدر ان تأتي بجواب عمّا سُئلت عنه

٦ موادعته = ك : مواعدته .

٧ فصدّقه = ع ق ي : فأعانه .

١٢ تعلم = زيد في ق ك٢ : علّمك الله كل خير .

١٣ لعامّة = ق : العمّه . ع ي : لعماة .

١٤ ومتن = ع ك ي : وأبين .

١٨ ارجع = زيد في ق : اصلحك الله .

---

(١) يوحنا ٨ / ٤٤ .

وهل ترى ان اقبل قولك من غير حجّة ولا برهان ولا دليل مقنع ؟ أترى ذلك صوابا ؟ ما اظنّك ترى ذلك لي صوابا . كيف ، وربّنا يسوع المسيح يقول في انجيله المقدّس : « ان جميع الانبياء انما تنبأت الى وقت مجيئي ، وعند ظهوري زالت النبوآت بابيعها . فلا نبيّ بعدي . فمن جاء بنبوّة ، فهو لصّ خاطف ، فلا تقبلوه » (١) .

فأشر عليّ ، يا خليلي ، هل ترى لي ان اعدل عن وصيّة ربّي المسيح مخلّص العالم ، وأقبل غرورك وخداعك وامانيك وتعويقاتك بالدنيويّات الزائلة ، بغير دليل ولا حجّة ؟ ما اظنّ مثلك من اهل التمييز والعقل أشار بمثل هذا الخطأ العظيم ، ولا مثلي قبله وأصغى اليه .

فارجع الى عقلك ، يرحمك الله ، وانصفه واستعمل قانون الحقّ ، ودع التحامل للقرابة والعصبيّة للنسب المضحلّ . فاني لك ناصح وعليك مشفق . واذكر ما قرأته في الانجيل الطاهر ، حيث يقول السيد المسيح لتلاميذه : « ان كثيرا من الانبياء والملوك الابرار اشتهوا وتاقت نفوسهم ان ينظروا ما انتم تنظرون فلم ينظروا ، واشتاقوا ان يسمعوا ما انتم تسمعون فلم يسمعوا » (٢) . فهل ينبغي لك ، وانت قد قرأت مثل هذا ، ان تميل عنه الى غيره من امور الدنيا ، مع معرفتك بسرعة زوالها وفنائها ؟

اننا نصدّق الانبياء الذين جاؤوا بدلائل الرسالة

وبعد هذا كله ، ينبغي لك ان تعلم اننا انما صدّقنا الانبياء ، وقبلنا قولهم ، عندما جاؤونا بشروط النبوة ودلائل الرسالة واعلام الوحي ، لا بالغلبة والقهر ، ولا بالحميّة والعصبيّة ، ولا بالشرف في الحسب والنسب ، ولا بكثرة العشيرة وصولة المنعة ووفور المال ، ولا بتسهيل السنن والشرائع ، ولا بأعطاء الجد شهواته ، ولا لأجل الفرق من السلطان والخوف من السيف والسوط ، بل بالآيات العجيبة التي لا

---

٣ انجيله = ق ٢ : محكم انجيله .

١٣ لتلاميذه = ق : لحوارييه .

٢٣ بل = زيد في ع : بما يخالف ذلك اي بعفاف النفس وترقيها الى الله .

---

(١) متّى ١١ / ١٣ . يوحنا ١٠ / ٨ .

(٢) لوقا ١٠ / ٢٤ .

الفصل الثالث

هل القرآن منزل من عند الله ؟

وقد اقتضانا ، اصلحك الله ، هذا الفصل من كتابنا هذا ان نناظرك بعض المناظرة في ما اتاك به صاحبك ، هذا الذي تدّعي له النبوّة ، من الشرائع والاحكام ، فنقول :

اوجه الشرائع والاحكام

ان الشرائع والاحكام لن تخرج عن ثلاثة اوجه ، لا يقدر ذو نطق ان يأتي بزيادة فيها ولا نقصان ، وذلك :

- امّا ان يكون الحكم حكما الهيّا ، وهو حكم التفضّل الذي هو فوق العقل والطبيعة ، ويليق بالله جلّ اسمه لا بغيره ، ولا يشبهه سواه .
- وامّا ان يكون حكما طبيعيّا قائما في العقل ، مولودا في الذكر ، يتقبله التمييز ولا ينكره ، وهو حكم العدل .
- وامّا ان يكون حكما شيطانيّا ، اعني حكم الجور ، وهو ضدّ الحكم الالهيّ وخلاف الحكم الطبيعيّ .

الحكم الالهيّ الذي جاء به المسيح

فامّا الحكم الالهي ، الذي هو فوق الطبيعة واشرف منها ، فهو التفضّل الذي جاء به المسيح ، مخلّص العالم وسيّد البشر ، الذي أقرّ به صاحبك وشهد له اذ يقول : " الانجيل فيه هدى ونور " (١) . وذلك ان المسيح قال في انجيله الطاهر : " غالبوا الشرّ بالخير ، وأحسنوا الى من اساء اليكم ، وتفضّلوا على الناس جميعا ، وباركوا من لعنكم ، واعفوا لمن اذنب اليكم ، وآتوا الجميل والمعروف الى من شتمكم ، لتتشبهوا في ذلك فعل ابيكم الذي في السماء ، فانه يجود بوابله على الابرار والفجّار ، ويشرق شمسه على الاخيار والاشرار " (٢) .

فهذا الحكم الالهي وشرائعه فوق الطبيعة وأعلى من العقل الانساني ، وهو حكم التفضّل والرحمة ، والعفو والتشبّه بفعل الله تبارك وتعالى الرؤوف الرحيم .

---

١١ الطبيعي = زيد في ك : يناقره الحكمان الاوّلان ويضادّانه ولا يقرّ به التمييز .

---

(١) القرآن ٥ / ٤٩ .

حكم الطبيعة الذي جاء به موسى

والنحو الثاني هو الحكم الطبيعي والعريكة القائمة في العقل ، الباري مع الغريزة ، الملائم للانسانية ، وهو ما جاء به موسى النبي بقوله في حكمه : " العين بالعين ، والسنّ بالسنّ ، والنفس بالنفس ، والجراح قصاص " (١) .

فهذا حكم الطبيعة الداخل في قانون العقل ، وهو حكم العدل والنصفة ، ان تأتي الناس بمثل ما اتوا به اليك ، وتفعل بهم كما فعلوا بك ، ان كان خيرا فخيرا او شرًا فشرًا . وليس ذلك منافيا للحكم الالهي ولا ممّا يعابه افعال الربّ الرحيم ، المتفضّل ، الرؤوف بخلقه .

الحكم الشيطاني

والنحو الثالث هو الحكم الشيطاني المحال ، الذي هو الجور والشرّ بعينه .

فلا تلم ، اصلحك الله ، على ايجابنا الحجة عليك في ذلك . فانك تعلم اننا بعد في وسط المعركة لم نخرج عنها . فنحن لا ندع المجاهدة بما عندنا من السلاح الروحاني ، ذبًا عن دين الله القيّم الذي نرجو به النصر والظفر على عدونا . فانك ان لمت ظلمت . على اننا لا نلتفت الى لومك ولا الى لوم غيرك في ذلك .

فانا ارجع اليك بالمسألة ، سائلا الله جلّ وعزّ الهامك الانصاف وتلقينك القول بالعدل في اعلامي : ايّ هذه الاحكام الثلاثة التي ذكرناها ، وايّة شريعة جاء بها صاحبك ؟

بايّ حكم جاء محمّد ؟

فان قلت : انه جاء بالاحكام الالهية ، قلنا لك : قد سبقه المسيح

---

٣ بالنفس = زيد في ق ك : والضربة بالضربة .

٨ يعابه افعال = ق : ينّه .

١٩ المسيح = زيد في ق : سيدنا .

---

(١) الخروج ٢١ / ٢٣ – ٢٤ . التثنية ١٩ / ٢١ .

اليها بستمائة سنة ، وبها يحمل اصحابه وتابعوه منذ ارتفاعه مصعّدا الى السماء ، الى هذه الغاية والى انقضاء الدهر . ولم نر احدا من اصحاب صاحبك علّم عيننا منها ، ولا اتّصل بنا انه استعملها او كانت تُستعمل على عهده .

وما اظنّك قائلا ايضا : انه جاء بالاحكام الطبيعية وشرائع العقل وسنن العدل ، لانه قد سبقه موسى النبي الى ذلك ، ووقّفنا عليه وشرحه لنا شرحا بيّنا عن الله في التوراة . فليس لأحد ان يدّعيه ، لانه ناطق قائم له وحده شاهد في كتابه . اللهمّ الاّ ان يكون المدّعي لذلك مكابرا للعيان ، طالبا متعدّيا بهّاتا ، لانه يأتي الى ما هو كنور الشمس حق قائم في ايدي اهله ، وهو لهم وعندهم وفيهم ، فيروم ان يطمسه ويحاول بمباهتته ادّعاءه لنفسه .

فهذان حكمان قد عرفنا اصحابهما واقررنا لهم بهما . فقد بقي الحكم الثالث الذي هو حكم الشيطان وشريعة الجور .

فانظر نظرا شافيا برويّة صحيحة وفكر لا يشوبه الميل والزيغ : من هو القائم بهذا الحكم والناصر له والمتمسّك بشرائعه والعامل بها ؟ والاّ ، فأعلمنا اي حكم جاء به صاحبك ، وايّة شريعة اتى بها غير الحكم الثالث الذي شرحناه ، لنقبله منك ، ان أوجب قبولا ، وننقاد لك فيه ، فاننا لا نعاند الحقّ ولا نردّه من حيث اتى .

هل جاء بحكم المسيح وحكم موسى ؟

فهل تقول ، يرحمك الله ، انه جاء بالحكمين معا ؟ يعني حكم المسيح وحكم موسى فمزجهما في كتابه قائلا : " العين بالعين والسنّ بالسنّ والنفس بالنفس والجراح قصاص " (١) ـ فقد سبقه موسى النبي الى ذلك

---

٤ على عهده = ق : في عهد صاحبك . زيد في ك : فقد زال باب استعماله اياها او استعمال احد من اصحابه ، على عهده او بعد وفاته الى هذه الغاية .

١٩ فهل ... الله = ع ك ي : ولا تقول .

٢٠ فمزجهما = ع ق ي : فمزجها .

---

(١) القرآن ٥ / ٤٨ .

قديما — ثم اتبعه بقول المسيح: "وان تعفوا اقرب الى التقوى" (١). فانت تعلم ان هذا كلام متناقض، كقول القائل: قائم قاعد، واعمى بصير، وصحيح سقيم في حالة واحدة. فما اظنك تستجيز هذا الكلام على هذا الاطلاق لانه محال.

ثم لا ينكتم ايضا، ولا يخفى على متدبّره ومتعقّبه، انه كلام سُرق من موضعين مختلفين، اعني التوراة والانجيل.

ثم ان انت اقررت كل واحد من هذين الحكمين وانتحلته، لم ينازعك اصحابهما ولم يجحدوه، وذلك لانه حقّ لهم، وهم اشدّ تمسكا به وصيانة له من ان يسامحوك عليه، لانهم ورثوه فصار في ايديهم ارثا مقبوضا وحقّا مسلّما اليهم، وانت دخيل عليهم في حقوقهم تحاول مجانبتهم عليه ومنازعتهم فيه. فهم لا يدعونك تأخذ حقوقهم التي لهم وفي ايديهم، ويقولون لك: انك متعدّ ظالم، تروم اخذ ارثنا من ايدينا، مع اقرارك انت انه لنا غير جاحد له. فان حاولت اخذه، فانت غاصب لا حقّ لك. بل آتنا انت بما في يدك وعندك، ممّا ليس في ايدينا ولا عندنا، لنعلم انك محقّ في ادعائك.

أليس انما تلجأ الى القول الثالث، الذي يقيمون عليك فيه البيّنة العادلة انك انت الذي جئت به وعملت به ونصرته؟ وكيف تقتدر على جحود ما انت مقيم عليه ومقرّ به، وهو في يدك تناضل عنه وتخاصم فيه، وهو شريعة لك وانت تستعمله، ثم ترجع فتنكر وتجحد ما انت فيه من حكمك وتتبرأ منه؟

وما اظنك ترضى لصاحبك ان تصيّره تابعا للمسيح وموسى، وانت تزعم فيه ما تزعم وتدعي له ما تدعي من الحظوة والقدرة والمنزلة عند ربّ العالمين، حتى تجترئ على الله وتقول انه لولا صاحبك ما خلق الله آدم ولا كانت الدنيا (٢). فلقد جئت ياهذا بأمر فظيع وكذب مبين. انتحيت له من

---

١ تعفوا = ع ق ك ي : غفرتم فانه.
٢١ وما = ق ك ٢ : وبعد هذا وقبله لا.
٢٤ بأمر فظيع = ق : اصلحك الله، بأمر ذي بهت.

---

(١) القران ٢ / ٢٣٧.
(٢) "ربّ، خلقتني سيّد ولد آدم" (مسند احمد ١ / ٥).

الآيات ما ادّعيت بقولك : « لولا ان يكذبوا بها كما كذّب الاوّلون » ، ولم تدّع له ذلك في الشرائع . وما كان عليه ان يأتي بها فيبيّن بعض امره ؟ أليس لانه لم تكن شريعة رابعة ؟ فلمّا لم تبق الاّ الشريعة الثالثة ، وكان موسى والمسيح قد سبقاه الى الشريعتين ، جاء هو بالشريعة الثالثة .

فما ادري بأيّ قوليك آخذ ولا عن ايّهما اجيب . فأصدق نفسك ، اصلحك الله ، ولا تغشّها لان ذلك حرام عليك . وليس الدين من الامور التي يجوز ان يتوانى ذو اللبّ والعقل الرزين عن الفحص والبحث عنها ، ويتغافل عن التفتيش والوقوف على اصوله واسبابه . وفّقك الله الى الحقّ وبنّبك الباطل بحوله وقوّته .

هل القران كتاب منزل من عند الله ؟

وكأنّي بك وقد لجأت الى ان تقول ان الحجة البالغة عندك هي هذا الكتاب الذي بيدك ، وان الدليل على صحّته انه منزل من عند الله ما جاء فيه من الاخبار القديمة عن موسى والانبياء وعن سيدنا المسيح ، وصاحبك رجل امّي لم يكن له معرفة ولا علم بتلك الاخبار . فلولا انه اوحي اليه وأنبئ به من أين عرف ذلك حتى نسّقه وجاء به ؟

ثم يقول : « لا يقدر انسيّ ولا جنّيّ ان يأتي بمثله » (١) . ثم يقول : « وان كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا ، فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » (٢) . وقوله : « ولو انزلنا هذا القران على جبل ، لرأيته خاشعا متصدّعا من خشية الله » (٣). ونظائر هذه الاغلوطات .

فهذا اعظم الدليل وأصحّ البرهان وأوضح الحجة ، بزعمك ، على نبوّته . فكأنّك جعلت هذا آية له وحجة ، مثل فلق البحر لموسى ، ووقوف الشمس

---

٧ ولا تغشّها = خ ك ي : فانه لا يسعك اغشاشها وأعلاوها الخشوة .

١٤ وصاحبك = ع ك ي : وهو .

---

(١) ١٧ / ٨٨ .

(٢) ٢ / ٢٣ .

(٣) ٥٩ / ٢١ .

ليشوع بن نون ، وأحياء الموتى للمسيح ، وأعاجيب الانبياء .

ولعمري ، لقد امَلّ هذا الكلام قوما كثيرين ، ولقد أويت من هذا الكلام الى ركن ضعيف القواعد ، متداعي الدعائم ، واهي القوائم . وجوابك في هذا قريب غير بعيد ، وحاضر غير متخلّف . ولا بدّ لنا من كشف هذه القضيّة ، وان كان في كشفها بعض المرارة عليك . فان بطّ القروح المنغلة لا بدّ ان ينال صاحبها منه اذى وألم . فاصبر لألم الحديد قليلا ، تجد الراحة وحلاوة العافية عندما يتّضح لك الحقّ ويظهر لك هذا القول وتدليسه عليك . فنقول انه ينبغي لك ان تعلم اولا كيف كان السبب في هذا الكتاب ، ثم تمضي حينئذ مثل النّعامى المدلّة التي لا بقاء لها على المحنة ولا ثبات على الفحص .

عمل الراهب سرجيوس وتأثيره على محمّد

وذلك انه كان رجل من رهبان النصارى ، يُعرف بسرجيوس ، أحدث حدثا أنكره عليه اصحابه ، فحرموه وأخربوه وقطعوه عن الدخول الى الكنيسة ، وامتنعوا من كلامه ومخاطبته ، على ما جرت العادة منهم في مثل هذا الخرب . فندم على ما كان منه . فأراد ان يفعل فعلا يكون له به تمحيص ذنبه وحجّة عند اصحابه النصارى .

فسار الى بلد تهامة (١) ، حتى افضى الى بريّة مكّة . فنظر البلد غالبا عليه صنفان من الديانة ، وكان الاكثر دين اليهودية والآخر عبادة الاصنام . فلم يزل يتلطّف ويحتال بصاحبك حتى استماله . وسُمّي نسطوريوس (٢) وذلك انه اراد ، بتغيير اسمه ، اثبات رأي نسطوريوس الذي كان يعتقده ويتديّن به . فلم يزل يخلو به ويكثر مسالته ومحادثته ،

---

٤ متخلّف = ع : غائب . ق ي : غائب ولا متخلّف .

٥ القضيّة = ع ق ي : القصّة .

١٦ بريّة = ع ي : مدينة . ق : تربة .

---

(١) تهامة . السهل الساحلي على البحر الاحمر ، الممتدّ من شمال الى جنوب الجزيرة العربية

(٢) تذكر السيرة النبويّة (١/ ١٨٨) ان راهبا اسمه نسطور عرف أن محمدا نبي .

ويلقي اليه الشيء بعد الشيء ، الى ان ازاله عن عبادة الاصنام ، ثم صيّره داعيا وتلميذا له (١) يدعو الى دين نسطوريوس. فلمّا احسّت اليهود بذلك ناصبته العداوة ، فطالبته بالسبب القديم الذي بينهم وبين النصارى . فلم يزل يترقّى به الامر الى ان بلغ به ما بلغ . فهذا سبب ما في كتابه من ذكر المسيح والنصرانية والذبّ عنها ، وتزكية اهلها والشهادة لهم انهم اقرب مودّة ، وان منهم قسّيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون (٢) .

فلمّا قوي الامر بالنصرانية وكاد يتمّ ، توفّي نسطوريوس هذا . فوثب عبد الله بن سلّام وكعب المعروف بالاحبار ، اليهوديّان بخبثهما ومكرهما ، فأظهرا له انهما قد تابعاه على رأيه وقالا بقوله . فلم يزالا على ذلك المكر والدهاء والتدبير عليه ، بكتمان ما في نفسيهما ، الى ان وجدا الفرصة بعد موته .

فلمّا توفّي ، وارتدّ القوم وافضى الامر الى ابي بكر ، وجلس عليّ بن ابي طالب عن تسليم الامر لأبي بكر ، علما انهما قد ظفرا بما كانا يطلبان ويريدان في نفسيهما . فانسّا الى عليّ بن ابي طالب فقالا له : "لِمَ لا تدّعي النّبوّة ؟ ونحن نوقفك على مثل ما كان يرتّب به صاحبك نسطوريوس النصراني ، فلست بأخسّ منه".

وكان عليّ بن ابي طالب قد أحسّ بما كان نسطوريوس الراهب عليه ، لانّ عليّا كان مخبرا وقتما صحبه ، الّا انّه أوعز اليه الّا يُعلم احدا بموضعه ، ولا يُطلع عليه احدا من اهله . فقبل عليّ منهما ذلك لصغر سنّه وقلّة تجربته .

فمال عليّ الى قولهما بسلامة قلبه . فلم يتمّم الله لهما ذلك ولم

---

٤ يترقى = ى : يتزايد .
٢٢ قلبه = زيد في ع ق ي : وحداثة سنّه وقلّة تجربته .

---

(١) ادّعى مشركو قريش ان شخصا كان يلقّن محمدا المعلومات الدينية . فأنكر القران ذلك مصرّحا : "ولقد تعلم انهم يقولون : "انما يعلّمه بشر" . لسانُ الذي يُلحدون اليه اعجميّ ، وهذا لسان عربي مبين" (١٦ / ١٠٣) .
(٢) ٥ / ٨٥ .

يبلّغهما اياه . لانه اتّصل بأبي بكر بعض خبرهما ، فبعث الى عليّ . فلمّا صار اليه ، ذكّره الحرمة . ونظر عليّ الى أمر ابي بكر والى قوّته ، فرجع عمّا كان عليه ووقع بقلبه .

القران الذي كان عند عليّ

وقد كانا عمدا الى ما في يد عليّ بن ابي طالب من الكتاب الذي دفعه اليه صاحبه على معنى الانجيل ، فأدخلا فيه اخبار التوراة وشيئا من احكامها واخبار بلدها ، وجعلا فيه ، وزادا ونقصا ، رسّا تلك الشناعات كقولهما : " وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء " (١) ، ومثل تلك الاعاجيب وذلك التناقض الذي لا يخيل على الناظر فيه ان المتكلّمين به قوم شتّى مختلفون ، كلّ منهم ينقض صاحبه ، ومثل سورة النحل والعنكبوت ، ومثل هذه وشبهه .

ألا ترى ان عليّاً ، حيث يئس من الامر ان يصير اليه ، صار الى ابي بكر بعد اربعين يوما - وقال قوم بعد ستة شهور - فبايعه ووضع يده في يده ؟ فقال له ابو بكر : " ما حبسك عنّا وعن مبايعتنا ، يا ابا الحسن ؟ " فقال : " كنت مشغولا بجمع كتاب الله ، لان النبي كان اوصاني بذلك " (٢) .

---

٢ بلدها = ى : من عندهما بدلها .

١١ النحل = زيد في ع ى ي : والنمل .

١٤ مبايعتنا = ع ى : متابعتنا .

---

(١) ٢ / ١١٣ .

(٢) في الملاحظات التالية ، نقدّم مقتطفات من " كتاب المصاحف " لأبن ابي داود ، تطابق ما يكتبه الكندي عن جمع القران .

" لمّا توفّي النبي صلعم ، اقسم عليّ ان لا يرتدي برداء الاّ لجمعة حتى يجمع القران في صحف . ففعل . فأرسل اليه ابو بكر ، بعد ايام : " أكرهت امارتي ، يا ابا الحسن ؟ " فقال : " لا والله ، الاّ اني اقسمت ان لا ارتدي برداء الاّ لجمعة " . فبايعه ، ثم رجع " (ص ١٠) .

فانظر ، ايها العاقل ، في هذا الكلام ، وتدبّر ما معنى خلله بجمع كتاب الله . وانت تعلم ان الحجّاج بن يوسف (١) كان قد جمع المصاحف وأسقط منها اشياء كثيرة .

فكتاب الله ، ايها المغرور ، لا يُجمع ولا يُسقط منه شيء . وانت واهل مقالتك عارفون بذلك غير منكرين ، لان الثقات من رواتكم نقلوا هذه الاخبار وصحّحوها ، وليس بينهم فيها خلف . وانت تعلم ايضا انهم رووا ان النسخة الاولى كانت بين القرشيين ، فأمر علي بن ابي طالب بأخذها ، لمّا اشتدّ عليه الامر ، لئلاّ يقع فيها الزيادة والنقصان ، فلم تصر الى احد من خلق الله غير عليّ بن ابي طالب ، وهي النسخة التي كانت محنة على معنى الانجيل التي دفعها اليه نسطوريوس ، وكان يسمّيه ، عند اصحابه ، جبرائيل مرّة والروح الامين مرّة .

جمع القران في عهد ابي بكر (٢)

فلمّا قال علي بن ابي طالب لأبي بكر ، في البيعة الاولى : " انني شُغلت بأنفاذ قوله في جمع الكتاب " ، قالوا : " فمعنا قول ومعك قول . هلاّ نجمع كتاب الله ؟ "

فاجتمع امرهم ، وجمعوا ما كان حفظه الرجال من اجزائه : كسورة " براءة " التي كتبوها عن الاعرابي الذي جاءهم من البادية ، وغيره من الغاذ والوافد ، وما كان مكتوبا على صحيفة وعلى خشب وجريد النخل وعظم الكتف (٢) . ولم يُجمع في مصحف . وكانت لهم صحف وادراج على منهاج اليهود ، من حيلة اليهوديين .

---

١ العاقل = ع ق ي : العادل .

١٠ التي دفعها = ق : الذي دفعه .

١٣ بأنفاذ = ع ي : بامتثال . هلاّ نجمع = ق : وهل يُجمع .

١٧ والوافد = ع ي : والحرافة .

صحيفة ... وجريد = ق : اللخاف والعسب وهو جريد .

---

(١) الحجّاج بن يوسف . والي العراق (٦٩٤ ـ ٧١٤) . اشتهر بولائه للبيت الاموي . وسّع حدود الامبراطورية الحربية حتى اسية الصغرى .

(٢) " فرق ابو بكر على القران ان يضيع ، فقال لعمر بن الخطّاب

وكان الناس يقرؤون مختلفين :

فقوم يقرؤون ما مع عليّ بن ابي طالب ، وهم آله واتباعه واهل بيته .

وقوم يقرؤون بهذا المجموع الذي ذكرنا امره .

وقوم يقرؤون بقراءة الاعرابي الفاذّ ، الذي جاء من البريّة وقال : « ان معي حرفا وآية وأقلّ وأكثر » . فكُتب ، ولا يُدرى ما قصّته ولا في ما أُنزل .

وطائفة تقرأ بقراءة ابن مسعود (١) لقوله : « من اراد ان يقرأ القران غضّا ليّنا كما أُنزل ، فليقرأ بقراءة ابن ام عبد » (٢) . وكان يُعرض

ولزيد بن ثابت : « اقعدا على باب المسجد . فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله ، فاكتباه » (المصاحف ٦) .

قال (زيد) : « فتتبّعت القران أنسخه من الصحف والعسب واللخاف وصدور الرجال ... ففقدت آية ، كنت اسمعها من رسول الله صلعم ، لم اجدها عند احد ، فوجدتها عند رجل من الانصار . فألحقتها في سورتها » (براءة) (المصاحف ٧ ـ ٨) .

« ان عمر بن الخطّاب سأل عن آية من كتاب الله ، فقيل : « كانت مع فلان ، فقُتل يوم اليمامة » . فقال : « انّا للّه » . وأمر بالقران فجُمع ، وكان اول من جمعه في المصاحف » (ص ١٠) .

« اراد عمر ان يجمع القران ، فقام في الناس فقال : « من تلقّى من رسول الله شيئا من القران فليأتنا به » . وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والالواح والعسب ... وكان لا يقبل من احد شيئا حتى يشهد شاهدان . فقُتل عمر وهو يجمع ذلك » (ص ١٠) .

« كانت تلك الكتب عند ابي بكر حتى توفّي ، ثم عند عمر حتى توفّي ، ثم عند حفصة زوج النبي » (ص٩) .

(١) عبد الله بن مسعود (٠٠ ـ ٦٥٢) صحابيّ . كان حجّة في القران والحديث وجمع مصحفا ، وكان اهل الكوفة يقرؤون على قراءته .

« ولما علم ان زيد بن ثابت نسخ المصاحف ، كره ذلك وقال : « لقد قرأت من فيّ رسول الله سبعين سورة ، وزيد صبيّ . أفأترك ما اخذت من فيّ رسول الله ؟ ... وكيف تأمروني ان اقرأ على قراءة زيد ؟ ... والله ما أُنزل من القران ، الاّ وانا اعلم في ايّ شيء نزل . ما احد اعلم بكتاب الله منّي » (ص ١٥ ـ ١٦) .

(٢) المصاحف ١٣٧ . مسند احمد ١ / ٧ .

عليه في كلّ سنة مرّة ، وفي السنة التي مات فيها عُرض عليه مرتين . وقوم يقرؤون بقراءة ابيّ بن كعب (١) لقوله : "أقرأكم ابيّ" (٢) . وقراءة ابيّ وقراءة ابن مسعود متقاربتان .

القران في عهد الخليفة عثمان

فلما صار الامر الى عثمان بن عفّان (٣) ، واختلف الناس في القراءة ، أقبل عليّ بن ابي طالب يتطلّب العلل على عثمان ، ويتتبّع العثرات ، ويعيبه ويخالف عليه ، ذلك تدبيرا على قتله .

فكان الرجل يقرأ الآية ويقرأها الآخر قراءة مختلفة ، ويقول الرجل منهم لصاحبه : "قراءتي خير من قراءتك" ، ويحتجّ كل واحد منهم لصاحبه الذي يقرأ بقراءته ، ويقع في ذلك الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل .

فقيل ذلك لعثمان : انهم يختلفون في القراءة ويزيدون وينقّصون ، ويتضاغنون في ذلك ، ويقع بينهم الشرّ والأخذ بالعصبيّة ، ولا تأمن ان يتطاول الامر ويتفاقم فيقع بينهم القتال ويفسد الكتاب وترجع الردّة (٤) .

---

١٢ ويتضاغنون = ع ك ي : ويتصاعقون .

---

(١) ابيّ بن كعب الخزرجي (٠٠ ـ ٦٤١) صحابيّ من الانصار . اشترك في جمع القرآن ، وكان له مصحف ، ورُوي عنه الحديث .

(٢) "ابيّ بن كعب سيّد القرّاء" (مسند احمد ١ / ٢٧٥) .

(٣) عثمان بن عفّان . ثالث الخلفاء الراشدين (٦٤٤ ـ ٦٥٥) . صهر النبيّ محمد . جمع القران وأتلف نسخه ، الّا واحدة التي جمعها . قُتل وفي يده القران .

(٤) "قال حذيفة بن اليمان : يقول اهل الكوفة : "قراءة عبد الله" . ويقول اهل البصرة : "قراءة ابي موسى الاشعري" . والله لئن قدمت على امير المؤمنين ، لأمرته ان يغرقها" (المصاحف ١٣) ... فقال لعثمان : يا امير المؤمنين ، أدرك هذه الامّة قبل ان يختلفوا في الكتاب" (ص ١٩) . "قال عثمان : قد بلغني ان بعضهم يقول : "ان قراءتي خير من قراءتك" . وهذا يكاد يكون كفرا ... نرى ان نجمع الناس على مصحف واحد . فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف" (ص ٢٢) .... قال عثمان : "من كان عنده من

فبعث عثمان وجمع ما امكنه من تلك الادراج والرقاع وما كُتب اوّلا (١) . فامّا عليّ فلم يتعرّضوا له ولا لمصحفه ، ولا لمن يقرأ بقراءته ، ولا دخل معهم في هذا التأليف . فاما ابيّ بن كعب فمات قبل هذا التأليف . واما ابن مسعود ، فأرادوا ان يدفع اليهم مصحفه ، فأبى ، فصرفوه عن الكوفة (٢) .

واستعملوا ابا موسى الأشعري (٣) ، وأمروا زيد بن ثابت الانصاري (٤) وعبد الله بن العباس (٥) بتأليفه واصلاحه وحذف الفاسد منه .

---

٧ العباس = زيد في ع ق ي : وسعد بن ابي بكر .

كتاب الله شيء فليأتنا به". وكان لا يُقبل من ذلك شيء حتى يشهد شاهدان . فجاء خزيمة بن ثابت فقال: "اني قد رايتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما " . قالوا : " وما هما؟ " قال : " قد تلقّيت من رسول الله صلعم : " لقد جاءكم .... (٩ / ١٢٨ ـ ١٢٩) . قال عثمان: " فانا اشهد انهما من عند الله ". فأين ترى ان تجعلهما ؟" قال : " اختم بهما آخر ما نزل من القران" . فخُتمت بهما براءة (ص ١١) .

(١) اي ما جُمع في عهد ابي بكر .
" كانت تلك الكتب ... عند حفصة زوج النبي . فأرسل اليها عثمان ، فأبت ان تدفعها اليه ، حتى عاهدها ليردّنها اليها . فبعثت بها اليه . فنسخها عثمان في هذه المصاحف ، ثم ردّها اليها . فلم تزل عندها حتى ارسل مروان ، فأخذها وحرقها (ص ٩) ... مخافة ان يكون في شيء من ذلك اختلاف لما نسخ عثمان " (ص ٢١) .

(٢) الكوفة . مدينة على الفرات في العراق . أُسّست سنة ٦٣٨ . اتّخذها عليّ مقرّا له ، وفيها قُتل (٦٦١) .

(٣) ابو موسى الاشعري . جمع القران في مصحف ، وكان اهل البصرة يقرؤون على قراءته . كان من انصار عليّ ومندوبه في التحكيم حول الخلافة ، بين عليّ وبين معاوية (٦٥٨) وانتهى التحكيم لصالح معاوية .

(٤) زيد بن ثابت الانصاري (٦١١ ـ ٦٦٥) صحابيّ . كان من كتبة الرسول . كلّفه ابو بكر بجمع القران ، ثم كلّفه عثمان بهذه المهمّة .

وكانا حدبثي السنّ . وقالوا لهما : « اذا اختلفتما في شيء او لفظة او أمر ، فاكتباه بلسان قريش » . فاختلفا في اشياء كثيرة منها « التابوت » . قال زيد : « هو التابوه » . وقال ابن العباس : « بل هو التابوت » . فكتباه بلسان قريش . ونظائر هذه كثيرة (١) .

فلما جمعوا هذا التأليف على ما في هذه المصاحف ، كُتبت اربعة مصاحف بخطّ جليل ، ووُجّه احدهما الى مكّة ، وخُلّف آخر بالمدينة ، ووُجّه آخر الى الشام ، وهو اليوم بملطية (٢) باق . ولم يزل ذلك المصحف الذي بمكّة الى ايام ابي السرايا (٣) . فلما كان في تلك الايام ، وهو آخر سلب سُلبت به الكعبة ، ليس ان ابا السرايا سلبها ، بل في تلك الفتنة فُقد ، فقيل انه احترق مع ما احترق . واما مصحف المدينة فَفُقد في ايام الحيرة (٤) ، وهي ايام يزيد بن معاوية (٥) . ووُجّه بالمصحف الرابع الى العراق ، فكان بالكوفة ، اذ هي يومئذ قبة الاسلام ومجمع المهاجرين

الحديث المشهورين . وكان له مصحف . ناصر عليا وحاول التوفيق بين العلويين والامويين .

(١) « فأرسل عثمان الى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن الزبير : « أن انسخوا الصحف في المصاحف » . وقال للرهط القرشيين الثلاثة : « ما اختلفتم انتم وزيد بن ثابت ، فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم » ... واختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه . قال القرشيون : التابوت ، وقال زيد : التابوه . فرُفع اختلافهم الى عثمان ، فقال : « اكتبوه بالتابوت ، فانه بلسان قريش » (ص ١٩) .

« قال عمر : « اذا اختلفتما في اللغة ، فاكتبوها بلغة مضر . فان القران نزل على رجل من مضر .... لا يملينّ في مصاحفنا الاّ غلمان قريش وثقيف » (ص ١١) .

(٢) ملطية . مدينة على الفرات في تركيا .

(٣) ابو السرايا = السّري بن منصور (٠٠ ـ ٨١٥) كان قائد جيوش . ثار على الخليفة المأمون ، واحتلّ الكوفة (٨١٥) ، وغُلب على امره وقُتل .

(٤) الحيرة . قاعدة الملوك اللخميين قبل الاسلام . فتحها خالد بن الوليد (٦٣٣) .

(٥) يزيد بن معاوية . الخليفة الامويّ الثاني (٦٨٠ ـ ٦٨٣) . في عهده قُتل الحسين بن علي ، يوم كربلاء (٦٨٠) .

والصحابة . ويقال ان ذلك المصحف باق الى اليوم بالكوفة ، وليس بصحيح ، بل فُقد في ايام المختار (١) .

ثم امر بجمع ما جُمع من تلك المصاحف والادراج التي جُمعت من البلاد ، وكتب الى العمّال ان يجمعوا ما امكنهم منها وينتخوه ، حتى لا يُعلم ان عند احد منها شيئا ، ويتوعّدوا عليه ويوءدبوه . فكلّ ما صار اليهم غلوا له الخلّ وسرحوه فيه وتركوه حتى تقلّع واعتق (٢) .

سقوط ايات كثيرة من القران

فلم يبق منه شيء يُعلم الاّ متفرّقا :

- مثلما قيل ان سورة النور كانت اطول من سورة البقرة .
- وكما قالوا ان سورة الاحزاب مبتورة ليست بتمامها .
- وكذلك قالوا في براءة ، انه لم يوجد بينها وبين الانفال فصل يُعرف ، فلم يفصلوها ببسم الله الرحمن الرحيم .
- ومثل قول ابن مسعود في المعوذتين ، لما اثبتوهما في المصحف : " لا تزيدوا فيه ما ليس فيه " .
- ومثل قول عمر (٣) على المنبر : " لا يقولنّ احد ان آية الرجم ليست في كتاب الله . فانا قد كنّا نقرأ : " الشيخ والشيخة اذا

---

٤ وينتخوه = ع ي : وينقضوه .
٥ ويتوعّدوا ... ويوءدبوه = ي : وتوعّد المخالف منهم .

---

(١) المختار = ابو حمزة بن عوف (٠٠ ـ ٧٤٨) خارجيّ . ثار على الامويّين وحارب الدعوة العبّاسيّة . قُتل بأمر من الخليفة مروان الثاني آخر الخلفاء الامويين بالشام (٧٤٤ ـ ٧٥٠) .

(٢) " بعث عثمان الى كل أُفق بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوا . وأمر بسوى ذلك ، في صحيفة او مصحف ، ان يحرق او ، قال غيره ، ان يخرق " (المصاحف ١٩) .

" قال عليّ ، حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعه هو لصنعته " (ص ١٢) .

(٣) عمر بن الخطّاب . ثاني الخلفاء الراشدين واشهرهم (٦٣٤ ـ ٦٤٤) . في ايامه فتحت الجيوش الاسلامية الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية . اغتاله عبد فارسي .

زنيا فارجموهما البتّة ٠٠ فلولا ان يقال ان عمر قد زاد في القران لزدتها فيه بيني " (١) ٠ ومثل قوله في آخر خطبة خطبها : " اني لا اعلم ان احدا قال ان المتعة ليست في كتاب الله ٠ بل قد كنا نقرأ آية المتعة ، ولكنها سقطت٠ فلا جزا الله من اسقطها خيرا ، فانه اؤتمن فما ادّى الامانة ولا نصح الله ولا رسوله " ٠ فقد اسقط المموّه عليه من القران اشياء كثيرة ، كقوله ايضا : " وما كان عليه ان يرخّص الله للناس ، وانما بُعث محمد بالدين الواضح " ٠

- وقال ابيّ بن كعب : " سورتان كانوا يقرؤونهما فيه " ٠ وانما قال هذا في التأليف الاوّل ، فأبيّ لم يدرك هذا التأليف ، وهما سورتا القنوت والوتر ، وهما : " اللهمّ انّا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكّل عليك " ، الى آخر الوتر ٠
- وكذلك آية المتعة (٢) فان عليا كان اسقطها بتّة ٠ وقال انه سمع رجلا يقرأها على عهده ، فدعاه وضربه وأمر الناس الاّ يقرأها احد ٠

---

١ القران = زيد في ق : ما ليس فيه ٠
٨ كانوا ... فيه = ا : نقرأهما فنبذتموهما ٠
١٠ ونستغفرك = زيد في ق : ونستهديك ٠
١٢ وضربه = زيد في ق : بالسوط ٠

---

(١) " فجلس عمر على المنبر ... ثم قال .... ان الله بعث محمدا وانزل عليه الكتاب ٠ فكان مما انزل عليه آية الرجم ٠ فقرأناها وعُلّمناها ووعيناها ٠ ورجم رسول الله صلعم ، ورجمنا بعده ٠ فأخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل : " والله ما نجد الرجم في كتاب الله " ، فيضلّوا بترك فريضة انزلها الله ٠ وان الرجم في كتاب الله حقّ على من زنى " (السيرة النبوية ٢ / ٦٥٨) ٠

(٢) " لما ولّي عمر ... خطب الناس فقال ... وانهما كانتا متعتان على عهد رسول الله صلعم ، احداهما متعة الحج والاخرى متعة النساء " (مسند احمد ١ / ٥٢) ٠

" قال عليّ بن ابي طالب ... ان رسول الله صلعم قد نهى عنها (متعة النساء) يوم خيبر " (احمد ١ / ١٤٢) ٠

فكان هذا بعض ما دنّعت به عليه عائشة يوم الجمل (١) ، وقد أُنزلت منزل خلف بن الخزاعي (٢) ، فقالت في بعض قولها : " انه يجلد على القران ويضرب عليه وينهي عنه ، وقد بدّل وحرّف " ·

وبقي مصحف عبد الله بن مسعود ، فهو يتوارث الى اليوم · وكذلك مصحف عليّ بن ابي طالب عند اهله ·

تاليف القران في ايام الحجّاج

ثم كان من امر الحجاج بن يوسف ما كان (٣) ، انه لم يترك مصحفا الّا جمعه ، واسقط منه اشياء كثيرة وزاد فيه اشياء ، ذكروا انها نزلت في بني اميّة (٤) باسماء قوم ، وفي بني العباس (٥) باسماء قوم · وكُتبت نسخة بتاليف ما اراد الحجاج في ستة مصاحف ، فوُجّه واحد الى مصر ، وآخر الى الشام ، وآخر الى المدينة ، وآخر الى مكّة ، وآخر الى الكوفة ، وآخر الى البصرة (٦) · وعمد الى تلك المصاحف المتقدّمة ، فغلى الزيت وسرّحها فيه ، واحتذى في ذلك بما فعله عثمان ·

---

٤ اليوم = ع ق ي : الساعة ·

٦ يترك = ق ك٢ : يدع ·

---

(١) يوم الجمل ، معركة جرت بين عليّ ومعارضيه (٦٥٦) · سُمّيت بالجمل لان عائشة زوجة محمد كانت على جملها تثير حماس المناوئين لعليّ ، فأُسرت ثم أُطلق سراحها ·

(٢) عبد الله بن خلف الخزاعي · كان كاتبا في ديوان البصرة · قُتل في معركة الجمل ·

(٣) " ان الحجاج بن يوسف غيّر في مصحف عثمان احد عشر حرفا " (المصاحف ٤٩) ·

(٤) بنو اميّة = الامويّون · سلالة الخلفاء الذين تولّوا الحكم ، وكانت عاصمتهم دمشق (٦٦٠ ـ ٧٥٠) · قضى عليهم العباسيون في الشرق ، فانتقل الامويّون الى الاندلس وكانت عاصمتهم قرطبة (٧٥٦ ـ ١٠٣٠) ·

(٥) بنو العبّاس = العباسيون · سلالة الخلفاء الذين حكموا في بغداد (٧٥٠ ـ ١٢٥٨) ، وفي عهدهم بلغت الامبراطورية الاسلامية اوجها ·

(٦) البصرة ، مدينة في جنوب العراق · أُسّست في عهد عمر بن الخطاب (٦٣٨) ·

القران تداولته ايادٍ كثيرة

والدليل على ما كتبنا انك الرجل الذي قرأت كتب الله المنزلة ، فانت تعلم كيف انتشت الاخبار وكثر التخليط في كتابك الذي قد تداولته الايادي ، واختلفت فيه الآراء ، وزيد فيه ونُقِّص منه ، وكلّ قال ووضع ما اراد وهوي ، واسقط ما كره وسخط . أفهذه عندك شروط كتب الله المنزلة ؟ سيّما وانّما تنبّأ احد اعرابيّ خلف بأوي البادية ، فخطر خاطر في قلبه ، فجمه بلسانه ، وصار به الى قوم ، فتقرّب به اليهم . وهم يشهدون في كتابهم ان " الاعراب اشدّ كفرا ونفاقا " (١) ، فكيف يؤخذ عنه سرّ الله ودينه ووحيه وتنزيله على نبيّه ؟

وانت تعلم ما كان بين عليّ وابي بكر وعمر وعثمان من الضغائن والعداوة . فقد زاد هؤلاء ونقّصوا ، وزاد هذا ونقّص ، وأكّد كل واحد منهم الخلاف على صاحبه و مناقضة قوله ومباراته . فمن أين تعلم أيّ الاقوال هو الصحيح ، وكيف يمكن ان تميّز السقيم من الصحيح ؟

وقد زاد فيه الحجاج ونقّص منه . وانت عارف بمذهب الحجاج في جميع أموره . فكيف توثّقه في كتاب الله وتعدّله وتؤمّنه على ذلك ، وقد كان يتقرّب الى بني أميّة بكل ما يجد اليه سبيلا ؟

هذا ، وقد كان اليهود البهت مخالطين لهم . وكان بعضهم قد اظهر لهم الدخول معهم في المقالة مكرا منه وخديعة ، وحيلة للفساد وتدبيرا منهم عليه ليبطلوا الامر وينقضوه .

---

٥ عندك = زيد في ق : اكرمك الله .
وانما تنبّأ احد = ق : وصاحبك .
١٠ الضغائن = ع ق : الاحنّة . ب : الاحن .
١٥ توثّقه = ق : تستوثقه .
١٩ ليبطلوا ... وينقضوه = ق : ليبطل الامر ويضمحلّ .

---

(١) القران ٩ / ٩٦ .

فهذا ، اصلحك الله ، اصح دليل وأوضح برهان ، لا يجهل الأعلى من أعمى الجهل بصره وطمس على قلبه . ولولا انك الرجل الذي قد قرأت كتب سرائر الله ودرستها حق دراستها وان الانصاف اهل شيمتك ، لما شرحنا لك هذا الشرح .

والحق ، أيدك الله ، فيه بعض المرارة عاجلة وحلاوة كثيرة آجلة . فلهذا السبب اكتفينا بما ذكرناه . فاصبر للمرارة اليسيرة من الدواء ، تعقبك حلاوة كثيرة في العاقبة .

الرواة المسلمون نقلت اخبار القرآن هذه

على انك تعلم ، وكل من ينظر في كتابنا هذا ، اننا لم نكتب اليك شيئا على كتابك من ذات انفسنا ، بل لم نثبت الا الصحيح مما نقلته رواتكم العدول الثقات عندكم ، المأخوذ بقولهم ، المعمول في الدين على ما نقلوه من هذه الاخبار وغيرها في صحتها ، وانهم لم يتزايدوا بكذب ولا مالوا الى احد الفريقين . وقد تبينا صدقهم وعرفنا حقيقة ما نقلوه بما شاهدنا من الكتاب ، انه انما هو كلام منثور ، لانظام له ولا تأليف ، ولا معنى متسق ، بل هو متناقض ، كله ينقض بعضه بعضا . فقد صح عندنا وعند كل ذي لب ان الذي نقلوه الينا من خبره هو على ما حكوه . ولولا كراهيتنا للتطويل لشرحنا من تناقضه ، وتفاوت معانيه واخبار اهل جمعه ، اكثر مما شرحنا . ولكن فيما اثبتنا كفاية لذوي الالباب والعقول و من اراد نصح نفسه .

القرآن ليس حجة لنبوة محمد

فأي جاهل اجهل ممن ادعى ان هذا الكتاب حجة ودليل لمن جاء به ،

---

٢ قلبه = زيد في ع ق ك٢ ي : والا فأي حجة أو أي شيء من الشرح اكثر مما قد شرحنا .

٣ شيمتك = ع ي : عقلك . ك : عقدك .

١١ على = ق : زيادة على ما في . ك : تحرينا به على .

١٢ تبينا = ع ق ي : ثبتنا .

١٤ متسق = ع : يتسق به . ق ي : ينسق .

١٩ جاهل ... ممن = ق : جهل اعظم من جهل من .

وشاهد لنبوّة نبي ومبعوث ، مثل فلق البحر لموسى ، واحياء الموتى وابراء الاكمه وتطهير البرص لسيدنا المسيح مخلّص العالم ؟ ان هذا حقا لباطل مائق ، لانه لم يعقل كيف يحبّه ويقرّب بين الاشكال . على اني لا أظنّ احدا ، به ادنى مسكة من عقل او له ادنى تمييز ، يجترئ ان يذكّر في هذا فضلا عن ان يتفوّه به . ولم يخطر مثل هذا قطّ الاّ على بال غبيّ عازب العقل ، مختلس اللبّ ، ضعيف القلب .

أفتراك ، اصلحك الله ، تحمل نفسك ، في صحّة عقلك ودقّة نظرك وكثرة فحصك ، على ان تحتجّ بمثل هذا الكتاب ، مع ما عرفت من اخباره واصول اسبابه ؟ فهذه حجة منكرة عند مثلي من ذوي التفتيش والبحث عن اصول الاخبار . وانت تعلم اني الرجل الذي قرأت الكتب ، وعنيت بمعرفة الاصول ، وكيف كانت من اولها الى آخرها ، وان المبهرجة من الاخبار والمدلّسة من الاحاديث غير جائزة على مثلي ولا نافقة عندي .

القران ليس كتابا فريدا من نوعه

فخبّرني ، اصلحك الله ، عن قولك ان الجنّ والانس ولو اجتمعوا لم يقدروا على ان يأتوا بمثله (١) . فأحبّ منك ، بل اسألك طالبا اليك ، ان تعرّفني ذلك .

أفتقول : " أفصح الفاظا منه "؟ فجوابنا لك في هذا : " نعم " . أفصح منه كلام اليونانية عند الروم ، والزوبة عند اهل الفرس ، والسريانية عند اهل الرها والسريانيين ، وعبرانية اهل المقدس عند العبرانيين . فكل لسان له كلام فصيح عند اهله من سائر الالسن ، ولهم الفاظ فصيحة يتخاطبون بها ، وهي كلها عندك اعجمية ، كما ان لسانك العربي الفصيح عندك عندهم اعجمي . هذا اذا اطلقنا قولك ان كتابك افصح الالفاظ

---

٣ ويقرّب = ق : ويقرن .
٦ بال غبيّ = ع ك ي : قلب .
٧ اصلحك الله = ع : يا اخي . ق : اعزّك الله .
١٣ قولك = ق : قول صاحبك .

---

(١) القران ١٧ / ٨٨ .

بالعربية ، وذلك ان صاحب فصاحة الالفاظ ، بأيّ لسان كان ، هو الذي لا يحتاج الى استعارة الفاظ غيره ولا يستعين بها في خطبه وكلامه ، بل يكون مستغنيا بمعرفته وفصاحته عن لسان غيره .

فيه الفاظ اعجميّة

وقد رأينا صاحبك افتقر في كتابه الى استعمال لسان غيره ، وهو يقول : " انّا انزلناه قرانا عربيا " (١) ، وقد خاطب به اعرابا عاربة ، فصحاء ، اصحاب خطاب ، كقوله : الاستبرق ، وسندس ، واباريق ، ونمارق ، واشباه هذه التي هي الفاظ فارسية ، ومثل " المشكاة " ، فانها لفظة حبشيّة وهي " الكوّة " . ومثل هذا كثير قد استعمله في كتابه .

فنقول : ان العربية ضاقت عليه ، فلم يكن فيها من الاتساع ما لا يلجأ معه الى لسان غيره ، او لانه لم يعرف اسماء هذه الاشياء بالعربية . ولاسيّما وانت ترى انها منزلة من عند ربّ العالمين ، على لسان جبرائيل الملاك الامين . فأمّا انك توقع النقص بالمرسل او بالرسول . فان كانت من عند صاحبك ، وقع النقص به ، لانه لم يعرف اسماء هذه الاشياء بالعربية ولم يدرك علمها ، فلذلك أعجزته .

فهذه الفاظ امرء القيس ، وغيره من الشعراء والفصحاء المتقدّمين والمتأخرين الذين لا يُحصى عددهم ، وكلام الخطباء والبلغاء الذين كانوا قبل مجيء صاحبك ، أفصح الفاظا منه وأرقّ وادقّ معان ، بأقراره لأهلها حيث حاجّوه فقطعوه فقال : " هم قوم خصمون " (٢) . خصموه بأبلغ حجة ، فكانوا خصما أصحّ حجة وأبلغ في الخطاب منه . وهو القائل : " ان من البيان لسحرا " .

فلا يخلو اذا أمر هذا الكتاب ، وما وُضع فيه من الالفاظ الاعجمية ، من ان يكون قد ضاق على صاحبك اللسان العربي ، مع علمنا ، نحن وانت ، ان لساننا العربي أوسع الالسن كلها ، او ان يكون قد أُدخلت فيه

-----

٧ فارسية = ع ي : لأهل الفرس.

-----

(١) ١٢ / ٢ .
(٢) ٤٣ / ٥٨ .

الزيادة من قوم آخرين ، كما ذكرنا لك في اصل خبره ، وان الايادي الكثيرة قد تداولته .

فأخبرني ، اصلحك الله ، أيّ القولين احببت ، فانه لا محيص لك ان تقول بأحدهما ، ثم انت عارف بنتيجة ذلك اذا قلته .

تصنيف القرآن ليس متقنا

فان قلت : انهم لا يقدرون ان يأتوا بمثل تنضيده وتصنيفه ، قلنا لك ان تنضيد الشعراء لشعرهم ، ووزنهم اياه الوزن الصحيح الذي لا ينافر بعضه فيه بعضا ، واختيار الالفاظ النقيّة الصافية العربية الخالصة ، مع اتساق المعنى الحسن ، أكمل في الأحكام وأصحّ في الصنعة . لان كتابك كله انما هو سجع منكر ، وكلام مختلف ، وتكبير معان لا معنى لها

فان قلت : بل هو أصحّ معان ، سألناك عن أيّ معنى ظفرت به فيه ، أدللنا عليه وأعلمنا به حتى نتعلّمه منك ، وأيّ معنى صحيح وجدته فيه فنزت بمعرفته ، خبّرنا به وأوقفنا عليه ، او أيّ خبر لم نسمعه على غاية التمام والكمال من الشرح والصحّة في شيء من الكتب المتقدّمة ، استفدته منه ؟ أليس هو الذي قرأناه ، ودرسناه ، وعرفنا تفسيره ، ووقفنا على معانيه ، وبحثنا عن اصوله واسبابه ، وفتّشنا عن خبره ، فصرنا أرسخ في العلم به من كثير من اهله ؟

فأيّ شيء هذا من الآيات العجيبة التي يعجز عن فعلها امكان الادميين ، حتى يصير حجّة ودليلا على بعثه نبيّا ، يوجب الاقرار له بالرسالة والنبوّة ، والايمان على الوحي والتبشير من عند الله ، حتى يقاس به او يُرى فيه آية مثل فلق البحر ، وأحياء الموتى ، وسائر آيات الانبياء المعجبة ؟

وانما صار هكذا عندك وجاز عليك بالتدليس والبهرجة ، ووصفه بالفصاحة وحسن التنضيد وجودة الاعراب ، وان الانس والجنّ لا يقدرون ان يأتوا

---

٥. وتصنيفه = ع ق پ : وترصيعه .

٦ الذي = زيد في ع ق ١٫٢ پ : هو أصعب وارقّ معنى .

١٢ فنزت = ع پ : فأقررت . ق : وغربت .

١٧ امكان = ع پ : اذكار .

بمثله ، لانه وقع الى قوم اميّين ، انباط سقاط عجم علوج ، فعظم في قلبهم وكبر في اعينهم وفي صدورهم . امّا انت ، اذا صدّقت نفسك ، علمت كيف كان اصل القصّة في هذا ، وان مسيلمة الحنفي (١) والاسود العنسي (٢) وطليحة الاسدي (٣) وغيرهم قد عملوا مثلما عمل صاحبك . واشهد اني قرأت صحفا لمسيلمة ، لو ظهر لأصحابك لردّ اكثرهم ، الاّ انه لم يتهيّأ لهؤلاء انصار مثلما تهيّأ لصاحبك.

الفصاحة في اللغة ليست مزيّة لقريش

وكأني بك وقد لجأت فذكرت اللغة ، واعتددت بها وجعلتها خباء لك تستتر تحت فيئها . فانت تعلم أن حجتنا في اللغة وحجتك واحدة ، والامر فيها بيننا متاع غير مقسوم ، واننا فيها شركاء . فليس لك علينا فيها فضل ، ولا في يدك منها ما ليس في ايدينا ، ولا علمك فيها بأنفذ من علمنا وأثبت . وانك لتقرّ طائعا اننا معشرالعرب نرجع جميعنا باللغة الى لغة يعرب بن يشجب (٤) بن اسماعيل ابينا .

وانما هذه الحجة المبهرجة هي دعوى مذلّة ، تجوز على الانباط والسقاط ، والعجم والمغفّلين والاغبياء الذين لا معرفة لهم باللسان العربي ، وانما هم فيه دخلاء . فلما ورد عليهم منه ما لم يفهموه ، صدّقوه وتناولوه على قدر عجميتهم ونبطيّتهم.

فامّا العرب العاربة كلهم ، الذين هم البدويّون الوحشيون ، فلسانهم واحد ، ولغتهم واحدة ، وكل منهم يفهم صاحبه .

---

٣ علمت = ق ي : تيقّنت.
٧ خباء = ق : خبيئة .
١٥ وتناولوه = ع ي : وتلوه . ك١ : وتأمّلوه .

---

(١) مسيلمة الحنفي . ادّعى النبوّة في اليمامة ، وهي واحة في وسط الجزيرة العربية . قضى عليه خالد بن الوليد وعلى اتباعه (٦٣٢) .

(٢) الاسود العنسي . يمنيّ اسلم ثم ارتدّ ، وادّعى النبوة ، وقام بفتنة في اليمن . غُلب على امره وقُتل (٦٣٢) .

(٣) طليحة بن خويلد الاسدي . اسلم ثم ارتدّ وادّعى النبوة . ثم رجع الى الاسلام .

(٤) يعرب بن يشجب . جدّ جاهلي يماني قديم .

واما اهل الحضر ، ومن نشأ بين الانباط والسقاط وخالط العجم والاعلاج ، فلعمري ، لقد أفسد بعضهم كلامه لطول المعاشرة وغلبة العادة . فليست بك حاجة الى ذكر اللغة ، ولا لك في ذلك راحة ولا ملجأ .

فان قلت : ان قريشا أفصح العرب وانهم قوم خصمون بالحجة ، وهم فرسان البلاغة والخطاب ، عارضناك بما لا تقدر ان تنكره ولا تجحد صدقه ، وقلنا لك ان بنت النعمان الكندية ، حين اقتنصها صاحبك وصارت عنده قالت : "أملكة تحت سوقة ؟" فانت ونحن لا نشكّ ان قريشا كانت تجار العرب وسوقتها ، وكندة كانوا الملوك والمسلّطين على سائر العرب . ولست اقول هذا افتخارا عليك بشرف جنسي في الكندية ، ولا لموضع نسبي في العربية ، بل لكي تعلم ان كندة كانوا اقوياء ، فصحاء ، بلغاء ، خطباء ، شعراء ، رجالا للملك وقادة للجيوش ، ذوي انعام وافضال ، حتى لقد كانت العجم من الروم والفرس يباهون بمصاهرتهم ، ويفتخرون بحمل بناتهم اليهم . هذا ما لا يدفعه الّا الجاهل . ولقريش فضلها من السؤدد والكرم والشرف ، خاصّة لهاشم ، لا ينكر ذلك الّا مائق ، قد اعمى الحسد بصره وطمس نور عقله . وكذلك قولي في جميع العرب وسائر قبائلها ، لان لها الفخر والسبق بالفضل والكرم ، خاصّة من الله ، على سائر العجم .

فان ادّعيت ان كلام العرب مدوّن في الشعر ، وان اخبارها قد قيّدت به ، فلا نماريك فيه ونسلّمه لك ولا نلتفت اليه ، وذلك قلّة اكتراث لهذا القول وقلّة مبالاة به ، لانه قول لا يخفى فساده على ذوي الالباب ، وتُدحض الحجة فيه ولا تثبت عند اهل النظر . لاننا نجد كل مشنوف معروف ، ودعيّ اعجميّ ، قد قال الشعر . فاذا قرنّا شعره بشعر غيره من العرب ، العاربة اللسان البدويين الشعراء ، لم نجده مختلفا عنهم ولا مباينا لهم ، بل سالكا سبلهم ، محتذيا منهجهم .

---

١ بين = زيد في ق : الابيات من .

٣ راحة = ق : بلغة .

١٢ يباهون = ع ي : يريدون . ق : يرغبون . ك٢ : يزهون .

٢٠ يخفى = ك : يجوز .

٢٤ مباينا = ع ق ي : مجانبا .

فاذا كان هذا هكذا ، فليس تدوين العرب اذا اخبارها وتقييدها كلامها بالشعر حجّة في كتب سرائر الله ، للقائل انها حجة ناطقة ، لانه لا يؤمن ان يكون قد قيل من الشعر ما قد اشبه شعر القدماء من العرب ، بما وقع فيه من الفساد والتغيير والزيادة والنقصان . فليس اذا الشعر حجة عند اهل الفحص والنظر ، ولا دعوى صحيحة ، بل هو عند الحكماء والفلاسفة هذيان المرسوسين .

غير أننا معشر العرب نقدّم الشعر ونؤثره ، ونقول بمحاسنه ومفاخره ، ونذكر فضائله ، ونعلم ان ديوان العرب فيه اداب كثيرة وعلوم طريفة واحاديث عجيبة . ولا نشكّ ، عند تحصيلنا الامور وان صدّقنا انفسنا ، انه قد أُفسد وأُدخل فيه ما ليس منه بالتشبيه والمقايسة بكلام منثور من خواطر نفوس فارغة ، يتناوله من أحبّ وينااله من طلبه ، تقرّبا به الى الملوك وتكسّبا وتعلّقا باسبابهم . فلهذا أحتمل ان يدخله الفساد والتغيير والزيادة والنقصان . فليس الشعر اذا حجة في شيء من كتب سرائر الله ، الاّ لعييّ ناقص العقل فاسد التركيب .

فلا تظلم عقلك ، اصلحك الله ، وتستر تمييزك وتمنعه حقّه بغلبة سلطان الهوى الجائر والعصبيّة . فانه انما يجوز مثل هذا على الاغمار والجهال ، والمأفونين واهل النقص ، الذين لا عقل لهم ولا معرفة عندهم .

الاسباب الدنيويّة الداعية لاعتناق الاسلام

فهم همج ، كأجلاف العرب المتعادين على اكل الضبّ والحرباء ، وقد رُبّوا في الفقر والمسكنة وشقاء العيش في البوادي ، تلفحهم سمائم الصيف وزمهرير الشتاء ، وهم في غاية الجوع والعطش والعري .

---

١٠ بكلام ... فارغة = ع ى ك٢ : لانه كلام لا يخطر عليه ، وانما هو منثور من خواطر النفوس الفارغة ومشاع بين الناس جميعا .

١٢ تكسّبا ... باسبابهم = ى : للاكتساب والمواصلة اليهم باسبابه .
ك٢ : والصلة اليهم باسباب كثيرة .

١٤ لعييّ ... فاسد = ع ى ي : لغة فاسدة ناقصة العمل (ى : العقل) فاقدة .

١٥ وتستر ... وتمنعه = ى : وتبخس تمييزك .

١٧ عندهم = زيد في ى : ولم يتخرّجوا بمطالعة الكتب ومعرفة اصول الاخبار المتقدّمة .

فحيث لوّح لهم بذكر انهار خمر ولبن ، وانواع الفاكهة واللحم الكثير والاطعمة ، والجلوس على الاسرّة والاتكاء على فرش السندس والحرير والاستبرق . ونكاح النساء اللواتي هنّ كاللؤلؤ المكنون ، واستخدام الوصائف والوصفاء ، والماء المعين المسكوب والظلّ الممدود ، التي هي صفات منازل الاكاسرة ، وقع هذا في طلبهم ، وكان بعضهم قد رأى ذلك في اجتيازهم ومسيرهم الى ارض فارس ، فاستطاروا فرحا وظنّوا انهم قد نالوه فعلا عند سماعهم اياه قولا ، فحملوا انفسهم على محاربة اهل فارس ، فأخذوا ذلك منهم وظفروا بهم .

وقد علمتَ ان بعضهم قال لبعض ، وهم في حربهم تلك ، وقد ظفروا بسلال فيها حلوى من خزائن الفرس ، فلما اكلوا وتطعّموا حلاوة ما فيها ، قال بعضهم لبعض : " والله ، لو لم تكن ديانة نحارب عليها ، لوجبان نحارب على هذا " . فحاربوا امّة نجسة قذرة ، كانت قد طغت على الله وتجبّرت ، فسلّط جلّ وعزّ عليهم من لم يذكّروا فيه قط . فقتلوهم واخربوا بيوتهم ، بما كانوا يظلمون ويسفكون الدماء الزكيّة . وكذلك حكم الله وفعله بالقوم الظالمين ، ينتقم ببعضهم من بعض .

ومثل الانباط والسقاط الذين لا اخلاق لهم ، قوم انما غذّوا بالشقاء ، وربّوا مع البقر في السواد ومثل الحمير ، الذين لا ادب لهم ولا حكمة ولا علم ولا معرفة . فحيث تكلّموا بالعربية ، تدلّقوا ببسط السنتهم واستعربوا عند انفسهم واستطالوا على الناس . فأحدهم يدّعي الاسلام قولا بلسانه ، وفي قلبه بعض مرض يهوديّته ومجوسيّته ، وهو لا يعرف مَن خلقه . ولو قيل له : ما الحدّ الذي تفرّق به ما بين نفسك وخالقك والبهيمة ؟ لم يدر ولم يحسن ان يميّزه ، ولا يعلم ما هو ولا كيف هو الجواب فيه . وانما هم كالانعام ، بل وأضلّ سبيلا ، وكالبهائم الهائمة على وجوهها ، يميلون مع كل ريح ، ولا يعلمون حقيقة ما دخلوا فيه ممّا كانوا عليه اولا .

ومثل عبدة الاصنام والمجوسية ، واوساخ اليهود وسفلتهم ، الذين انما

---

١ ولبن = زيد في ع ي : مثلما وعدهم وكتب لهم وكتّب عليهم .

١٧ حكمة = ع ي : حسنى .

٢١ الحدّ = ع ي : الفرق .

والبروا التعزز بالدولة ، والتطاول على الناس بالسلطان وانبساط السنتهم على ذوي الاقدار ، واولاد الاحرار ، واهل الحكمة والمعرفة ، واهل الديانة والحلم ، والمروءة والصيانة ، والشرف والنسب .

ومثل اهل الريب والخيانات والجرائم ، الذين لم يتهيّأ لهم ارتكاب المحارم ونكاح الفروج التي حرّمها الله عليهم مع بقائهم في الديانة النصرانية ، الاّ بانصباب ذلك لهم بالدخول في هذه المقالة .

ومثل من اباح لنفسه غاية الشره على الشهوات الجدانية ، فمال الى الدنيا ولذّاتها وزخرفتها ، طلبا للعزّ القليل الزائل ، الفاني وشيكا ، الذاهب سريعا منها ، وطرح الكثير الدائم الباقي الذي لا انقطاع له ولا زوال ، وهو في الآخرة ، فانحاز الى هذا القول وجعله سببا له وسلّما أوصله الى ما اراد ، اذ كان اقوى اسباب الدنيا التي جعل سلطانها باب المدخل اليها والسبيل الى ارتكاب الكبائر والمعاصي فيها .

ومال ايضا الى هذه المقالة من جعلها متجرا ومكسبا لرزقه الذي قد كفاه ، ولقوته الذي قد فرغ له من الاهتمام به .

والاّ فهل رأيت ، اكرمك الله ، او بلغك ان من له بصيرة في الديانة ، او علم ، او معرفة ، او تحصيل الامور ، او قراءة الكتب وتفتيش لها واعتقاد صحيح ، او نظر في حكمة ، او مدّعي فلسفة ، صحيح العقل والذكر ، انقاد الى غير ديانة النصرانية ، او خرج عنها جاحدا مقالته ، ناكرا معرفته ، من غير سبب دنيوي دعاه الاضطرار اليه ليجترئ بدينك وسلطانك على ما يريد من ركوبه وما تنازعه اليه نفسه ، من الامور الخبيثة التي كانت الديانة النصرانية تحظّرها عليه ، وتمنعه من الدخول فيها ، وتقبّح له فعلها ؟ بل من لم يكن ذلك يتهيّأ له ، ولا يمكنه فعله ، دخل في دين هو مطمئنّ فيه لِما يريد من ذلك ، آمنا غير خائف تحت سلطان هذه الدولة ، مظهرا متابعة اهلها على قولهم .

---

٢ الحكمة = ع ك ي : الحسنى .

١١ ما اراد = ك ١ : محبوبه .

الدنيا = زيد في ع ك ي : يعبر منها ويعوّل عليها .

٢٤ قولهم = زيد في ع ك ي : من حيث لا يقدر احد ان يدلّنا عليه او يشير اليه ، لا انت ولا غيرك ممّن يعتقد مثل اعتقادك .

كثيرون هم المنافقون الذين يُظهرون الاسلام

فهذه ، اكرمك الله ، أقوى اسباب هؤلاء الذين تراهم قد وافقوا على مقالتك واجتمعوا معك على اعتقادك ، وأكثرهم يعتقدون ويضمرون ويسرّون خلاف ما يظهرونه ·

فمنهم من يزري على صاحبك في حسبه ، ومنهم من يسبّه ويدّعي في ذلك الكذب والبهتان ، ومنهم من يزعم ان غيره كان أحق بالامر منه ، ولكن وقع اليه ذلك بالغلط · وبعض يقول ان روح القدس انقسمت ثلاثة اقسام فقسم كان في عيسى ، وقسم في موسى ، وقسم في رجل آخر غيره اكره ذكره ، وان صاحبك علوّ من ذلك·

فهؤلاء عندي اجهل البريّة وأشرّ من الزنادقة وأردى مذهبا منهم · وهم يُظهرون الاسلام ويفتخرون به في ظاهرهم ، كل ذلك ليتعزّزوا بسلطان الدولة على النصارى ، السليمة قلوبهم ، المشبهين بالحملان بين الذئاب الخاطفة ، كما سبق سيدنا المسيح فقال لهم وأعلمهم بما هو مزمع ان يكون من امرهم (١) ·

ولو اسهبتُ لأصف لك مقالات اصحابك – ومعاذ الله ان يكونوا لك اصحابا ، بل هم اصحاب الشيطان وحزبه وشعبه وأوليائه – وما يروونه من الاحاديث الكاذبة الشنيعة التي تكاد تخرّ الجبال منها للفرية التي فيها على الله جلّ ذكره ، ثم على صاحبك ، وما يقذفونه به من الاباطيل ويبتّون عليه من الكذب ، الذي لم يخلق الله منه شيئا اصلا ، وصاحبك بريء منه كله ، لطال كتابي فيه ·

فما قولك في من يروي عنهم انهم يقولون : " لربّما نوينا امرا فوضعنا

---

٢ ويسرّون = ع ي : وينشرون ·

١٠ ويفتخرون = ع ك ي : ويتحقّقون ·

١٢ سيدنا ... لهم = ع ق ي : قول سيدهم ومسيحهم ومخلصهم الذي ·

١٤ اسهبت = ع : اردت · ك ي : ذهبت ·

١٥ وشعبه = ع ق : وشيعته ·

١٦ تخرّ = ق : تخزى ·

---

(١) متّى ١٠ / ١٦ ·

فيه حديثا " ؟ وما اظنك ممّن يروي ان الله ، جلّ وعزّ عمّا يفترون ، بعث الى ابي بكر : " يا ابا بكر ، امّا انا فراض عنك ، فهل انت راض عنّي ؟ " فحسبك بهذا دليلا على فريتهم على الله عزّ وجلّ وكذبهم وتشنيعهم . وكم مثل هذه الاحاديث قد رووها و الّفوا عليها .

فلعمري ، لقد صدق صاحبك حيث قال : " انه ما من نبيّ الاّ وقد كذّبت عليه امّته . وان امّتي ستكذب عليّ ايضا " . ولكني لا اعرف امّة كذّبت على نبيها كذب اليهود ، وما ادري ما اقول في هؤلاء وفي كذبهم .

واما الخلاف في الأذان ، والتكبير على الجنائز ، والتشهّد ، وصلاة الاعياد ، وتكبير التشريق ، ووجوه النسيء والفتيا ، وما اشبه ذلك ، فانه امر يطول شرحه جدا . ولولا انني اعلم انك الرجل الذي قد فتّشتَ احاديثهم وانتقدتها ، وعرفتَ جميع عوارها وانكشفت لك عن مغازيها ، لكتبتُ اليك في هذا الفنّ اشياء يطول الخطب فيها . لكني اعرفك عالما بجميعها ، غير شاكّ في ذلك ، وقد سبرتَ الدولة ، وظاهر قول الديانة ، واسم الاسلام والتحلّي به ، والاعاجيب من اعتقاداتهم ، وكذبهم على الله جلّ وعزّ وانبيائه ورسله وأوليائه وعباده الصالحين ، وما يكتمون من النفاق ، ويُظهرون انهم النقية قلوبهم السليمة صدورهم ، وهم الدغلون الغاشّون لله جلّ ذكره ولأنبيائه ورسله ، اذ كانوا يروون عن الله مثل هذه الاحاديث . فكيف لا تأخذهم الرجفة ، وكيف لا تُطبق عليهم السماء بالسخط والعذاب ، وهم ينطقون بمثل هذه العظائم ؟ ولكنه ، جلّ وعزّ ، لم يزل مستعملا طول الاناة والامهال ، لانه ، جلّ اسمه ، لايخاف الفوت وهم اليه راجعون . فهو يُمهلهم الى يوم تنكشف فيه الستور . ونعوذ بالله ان نكون من القوم الظالمين .

هل الشهادة الاسلامية مكتوبة على العرش ؟

واما قولك ، اصلحك الله ، انه مكتوب على العرش : لا اله الاّ الله ..

---

٤ رووها = ق : زوّروها .

١٠ شرحه = ع ق ي : خبره .

١١ عن مغازيها = ق : مجاريها .

١٣ سبرت = ع ك ي : سترت .

٢١ الستور = ك٢ : الضمائر .

وتتمّته ، فلقد كثر تعجّبي منك ، كيف جاز هذا عليك في فطنتك ودقّة عقلك وصحّة فكرك ، وكيف أمكن ان تتصوّر مثل هذا في عقلك انه صحيح ، حتى ترويه وتكتب به الى مثلي من اهل التمييز ، ومن تعرفه بصحّة الانتقاد وشدّة الاعتبار ؟

وجوابك في هذا عندي ممّا يتمثّل به العامّة ، انك تخدع نفسك وتضع من عقلك وذهنك ، لانك في حكايتك لم تترك شيئا للمشبّهة اليهود ، الذين يحدّون الله ربهم انه جالس على عرش محدود ، فلم ترض ان تُجلسه على عرش محدود حتى كتبت على العرش اسمه العظيم واسم آخر من خلقه .

ليت شعري ، أهو كتب ذلك الكتاب أم كُتب له ؟ ولِمَ كُتب ذلك ؟ لنفسه ، لئلاّ ينسى اسمه أم ليعرّفه للملائكة ؟ فقد كانت عرفته الملائكة ، حيث اراد خلق النور فقال : " ليكن النور " ، فكان النور . فعند ذلك مدحته الملائكة وسبّحته قائلة : " سبحان خالق النور " ، وعلمت انها مخلوقة وان لها خالقا . فتلك المعرفة في الملائكة قائمة غير زائلة بانه خالقها . فليت لها حاجة ان يكون لها كتاب نصب اعينها يذكّرها لئلاّ تنسى اسم خالقها ، وهي تسبّح اسمه وتقدّسه من غير فتور ولا انقطاع وتنفّذ امره جلّ وعزّ في كل لحظة .

وان كان انما كُتب ذلك للناس ، فهم غير منتفعين به ، لانهم لم يروا ذلك العرش ولا قرأوا ما عليه من الكتاب .

فان قلت : ان ذلك كُتب ليُقرأ يوم القيامة ، فتقيم لنا دليلا وبرهانا على ذلك صحيحا مقنعا . على انك تعلم ان الناس كلهم ، يوم القيامة ، يعطون المعرفة الكاملة بخالقهم ، وتبطل في ذلك الوقت الشكوك وتضمحلّ الظنون كلها ، ويحصل الناس على اليقين الصحيح ، يوم لا ريب فيه ، يوم تجزى كل نفس بما كسبت ، فلها شغل بما هي فيه . فقد هدر قولك وتهافتت دعواك ان على العرش مكتوبا : " لا اله الاّ الله " .

وبعد ، فلم ار احدا من اصحابك يوافقك على ذلك ، بل كلهم ، واكثرهم

---

١ وتتمّته = ع ق ي : ومحمد رسول الله .

٣ التمييز = ق : اليقين .

٢٤ الله = ع ق ي : ومحمد رسول الله . ك ٢ : وتتمّته .

٢٥ ذلك = بد في ع ق ك ٢ .. : ولا بدلالتك على حقيقة أبيك .

الراسخون في العلم ، يبطلونه ويردّونه اشدّ ردّ ، ويكذّبون به اعظم تكذيب ، لانه محال لم يأت ذكره في الاثر ولا له في كتابك ، الذي زعمت انه منزل من عند الله جلّ وعزّ ، ذكر بتّة .

وليت شعري ، من اين جئتنا انت به ؟ اظنّك اخذته من شناعات اليهود فان لهم مثل هذا وشبهه من التشنيعات التي وضعوها وسوّها اليكم بلطايف حيلهم ، ودقّة كيدهم في الادغال ، طلبا للمعايب والمكائد والقاء الشرور بين الناس .

فان صدّقت نفسك ، اصلحك الله ، علمت علم الحقيقة ان هذا محال ولا معنى له ولا منفعة . والله ، جلّ وعزّ في حكمته ، لا يفعل محالا او شيئا لا معنى له ولا منفعة فيه .

الدعاء لمحمّد وآله

وقد وجدنا اجماعكم على ان الرجل اذا قام خطيبا فيكم ، بالغ في دعائه وظنّ في نفسه انه قد بلغ الغاية القصوى في خطبته ، افتتح كلامه قائلا : « اللهمّ بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم » . فحيث ظننت انك قد بالغت له في الدعاء والصلاة عليه ، تمنّيت له طالبا مستدعيا ان يصير مثل ابراهيم ، او كأحد من آل ابراهيم .

فهذا ، اصلحك الله ، نهاية الشناعة ، ان رجلا اسمه مع اسم الله ، جلّ ذكره ، وتقدّست اسماؤه ، مكتوب على العرش من نور ، وان آدم بل الدنيا كلها انما خُلقت بسببه كزعمكم ، تتمنّى له اللحاق برجل من آل ابراهيم ، وقد كان من آل ابراهيم من قد علمت ، واكره ان اذكر اسمه في هذا الموضع .

وكتابك ، الذي تزعم انه منزل من السماء ، يشهد ويؤكّد الشهادة في عدّة مواضع قائلا : « يا بني اسرائيل ، اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضّلتكم على العالمين » (١) . فقد وجب عليك ، من هذا القول ،

---

٤ شناعات = ق : سماجات . ع ب : سماع .

٢٢ ويؤكّد = ق : ويكرّر .

---

(١) ٢ / ٤٧ و ١٢٢ .

ان بني اسرائيل أفضل منك وممّن ذكرته بالفضائل .

وانما كان عهدي بمثل هذه الشناعات من عمهة اليهود ، ولا أظنّ ان عقلاء المسلمين يعتقدون بمثل هذا وشبهه . وجوابنا لك ، ارشدك الله ، في الماضي والمستأنف من كتابنا هذا ، على قدر ما يُحتمل من الكلام . على اننا قد وضعنا النصفة بيننا وبينك في خطابنا ، وألقينا التطاول بالسلطة ، وطرحنا البذخ والتفاخر بالانساب .

قيمة الانسان بالعلم والعمل

لاننا اذا حملنا على الحلم بانفسنا وصدّقناها ، عرفنا انه ليس لأحد على صاحبه فضل في النسب ، واننا نرجع الى أب واحد وأمّ واحدة ، وجميعنا خُلقنا من طينة واحدة ، ليس لحم أطيب من لحم ، ولا دم أطيب من دم . وانما التفاضل والتقدّم بالقول والعلم .

ولقد أحسن عندي القائل : " قيمة كل امرء ما يُحسن من علمه وعمله " . وكثيرا ما استصوب هذا الكلام من قائله . وانما ادخلت هذا القول في هذا الموضع ، وان كان ليس من جنس ما نحن بصدده ، حتى اذا نظر في كتابي ناظر متعنّت ، ينظر بعين العماية والجهالة التي ثمرتها الحسد ، لا يسبق الى قلبه ، لضعفه وركاكته ، اني لم اكن عارفا من حقّكم ، اهل البيت ، ما اعرفه وأوجب ما أوجبه . فكيف ، وانا معتقد في ذلك لجميع ذرّية آدم . ولكنني استعملت ما قاله بعض الحكماء اذ يقول : " ترك الجواب في موضعه عيّ وظلم للعقل " . فترحت ان اكون ظالما لعقلي ، ولم ألتفت الى هذا الحاسد وهذيانه وجهله ، وطرحت كلامه وراء ظهري ، بل لم أتوهّمه الّا عدوّا ، فضلا عن التفاتي اليه .

---

٥ في خطابنا وألقينا = ى : اساسا لكلامنا وطرحنا .

١٠ بالقول والعلم = ى ن : بالعقول والعلوم . زيد في ك٢ : بالتقوى .

الفصل الرابع

الطقوس والتقاليد الاخلامية

الصلاة وصيام رمضان

واما ما دعوتني اليه من الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان ، فالجواب في ذلك اقرارك بلسانك في كتابك ، وما خططته بأصابعك من امر صلواتنا وصومنا ومواظبتنا . فقد رأيت ذلك معاينة وسمعته وشاهدت تلك الامور الالهية ، المخالفة ما دعوتني اليه من الامور المبهرجة المدلّسة . فاكتف بما رأيت ، وليكن لك دليلا وجوابا . فلست اجيبك في هذا بأكثر ممّا عندك من المعرفة ، وكفاك ذلك حجة عند نفسك .

الوضوء والغسل

واما قولك ان نسبغ الوضوء ، ونغتسل من الجنابة ، ونختتن لنقيم سنّة ابراهيم ابينا ، فجوابك قول المسيح الرب لليهود ، وقد قالوا له : "لِمَ لا يغتسل تلاميذك ؟" (١) فأجابهم الروح المحيي مخلّص العالم : "وما الذي يغني عن البيت المظلم ان يكون في ظاهره مصباح يتوقّد وباطنه مظلم ؟ وانما يجب ان تغسل النيّات والقلوب من دنس الفكر وغلّ الخطايا الدنسة النجسة . فامّا ظاهر الابدان فما معنى العناية بتنظيفها ؟ فيا ايّها المراؤون ، الآخذون بالوجوه ، الذين يشبهون القبور المزخرفة من خارج ، وفي داخلها الجيف النتنة" (٢) .

كذلك انتم تغسلون ظاهر ابدانكم ، وقلوبكم دنسة نجسة بالآثام . فما معنى غسل اليدين والرجلين والابدان والقيام على الصلاة ، وعقد القلوب والنيات والضمائر على قتل الناس وسلب اموالهم وسبي ذراريهم ؟

فانظر ، اصلحك الله ، كيف اجابهم السيد المسيح : "انما ينبغي للانسان اوّلا ان يغسل داخل قلبه ، ويطهّره من الافكار الرديئة المؤدّية الى

---

٧ نسبغ = ع ق ك٢ ي : نستعمل .
١٥ انتم = زيد في ع : معشر الاسلام .
١٨ اجابهم = زيد في ك : الرب المحيي مخلص العالم .

---

(١) متى ١٥ / ١ ـ ٢ .
(٢) متى ٢٣ / ٢٥ ـ ٢٨ .

الشرّ والى ادخال المكروه على الناس . فاذا نظّف نيّته وطهّر ضميره من ذلك الاعتقاد الرديّ ، حينئذ يغسل ظاهر يديه بالماء .. فميّز ، اصلحك الله ، وانظر فيه بعقلك . أليس هو قول مقنع وجواب عاف ؟

الختان

وامّا الختان ، فينبغي لك اوّلا ان تعلم قصّته ثم تحثّ الناس على ذلك وان يمتثلوا سنّة ابراهيم ابيهم .

اعلم ان الله ، جلّ اسمه ، كان مزمعا ان يدخل بني اسرائيل ، الذين هم وُلد ابراهيم ، ارض مصر ، ولم يزل عالما ان الشره سوف يحملهم على ارتكاب الفواحش التي حرّمها عليهم ونجّس اهلها ، فجعل هذا سببا لمن اراد الفاحشة مع امرأة مصريّة ، فاذا نظرت الى هذه العلامة التي في جسده ، وهي الختان ، امتنعت ولم تواتيه . فوسمهم الله بهذه السمة لهذه العلّة .

محمّد لم يكن مختونا

وكيف تحثّ على الختان ، وانت تعلم ان صاحبك لم يكن مختونا ؟ بزعم اهل مقالتك وعلى ما نقلت الرواة عنه انه لم يكن مختونا بتّة ، لانهم عيّبوه ، كما ادّعوا له ذلك ، انه كآدم ابي البشر ، وشيث ونوح وحنظلة بن صفوان (١) . وهذا خبر ليس احد من اصحابك ، ممّن يعتقد مثل اعتقادك ، يدكّ في صحّته .

فأن قلت: ان المسيح قد اختتن ، قلنا لك : قد اختتن لأقامة سنّة التوراة لئلاّ يُرى انه استخفّ او نقّص عينا من سننها . ثم أكّد ذلك

---

٢ يديه = ع ق ي : بدنه .

٥ ابيهم = زيد في ع ي : هذا الجواب فيه نظر .

١٢ يكن مختونا = ق ك٢ : يختتن .

---

(١) حنظلة بن صفوان . من انبياء العرب في الجاهليّة . بُعث لهدايتهم ، فكذّبوه وقتلوه . وهو من أصحاب الرسّ ، الوارد ذكرهم في القران (٢٥ / ٣٨) .

ايضا بقوله : " لم آت لأنقض بل لأتمّم و أكمل " (١) .
وكذلك قال رسول الحقّ بولس: " ان كنتم تختتنون لان المسيح اختتن ، فان ذلك لا ينفعكم شيئا ، ولا الغرلة ايضا تضرّ شيئا مع الايمان الصحيح والقلب النقيّ . والاّ فقد يجب عليك ايضا ان تقرّب القرابين ، وتحفظ السبت ، وتعمل الفصح ، وتقيم شرائع التوراة كلها ، كما اقامها المسيح سيدنا " (٢). فانه فعل ذلك ورفعه عنّا ، وأكمله وأتمّه بفعله اياه ، وكفانا مؤونة العمل بشيء منه ، وأغنانا بسننه الالهية ، وشرائعه الروحانية التي دفعها الينا ، عن السنن التي شهد ، جلّ وعزّ ، على لسان نبيه قائلا : " اني اعطيتكم – يعني بني اسرائيل – سننا ليست بحسنة وشرائع لا تقدرون ان تحيوا بها " (٣) .

الختان ليس فريضة واجبة

فان انصفتنا علمت ان الختان ليس هو عليك فريضة واجبة ، لان كتابك، الذي تدّعي ان فيه شرائع ديانتك ، يذكر ان الختان ليس فريضة واجبة وانّما هي سنّة . فمن شاء استحسنها وعمل بها ، ومن شاء استشنعها ولم يعمل بها . ومن اختتن من اصحابنا ، وأسبغ الوضوء واغتسل من الجنابة ، فليس يفعل ذلك لانه سنّة واجبة وفريضة لازمة لا يحلّ له الاّ القيام بها ، بل يفعله على سبيل العادة الجارية عند اهل الزمان ، والتشبّه باهل دهره الذين هو مقيم بين اظهرهم ، للنظافة الظاهرة فقط . لعلمنا ان من تغوّط كان احقّ ان يفيض عليه الماء السابغ بالغسل ، بقدر ما يخرج منه من نتن الرائحة وقبح المنظر ، بخلاف من تصيبه الجنابة التي لا لون لها منكر ولا رائحة لها منتنة ، بل يتولّد منها انسان كامل المعرفة والعقل والعلم ، يكون منه النبي المرسل ، والملك المسلّط ، والحكيم الناقد ، والعبد الصالح المسبّح للّه ليلا ونهارا .

---

٤ النقيّ = زيد في ع ق ه : السليم .

---

(١) متّى ٥ / ١٧ .
(٢) غلاطية ٥ / ٢ – ٦ .
(٣) حزقيال ٢٠ / ٢٥ .

وكذلك يفعل من اجتنب منّا اكل لحم الخنزير ، كما يجتنب اكل لحوم الحمير والجمال ، لان ذلك غير محرم عليه ، لان الله لم يخلق شيئا قبيحا ، لقوله جلّ اسمه في التوراة ، على لسان موسى نبيه ، في سفر الخليقة : " فنظر الله الى جميع خلقه فرآه حسنا جدا " (١) .

فالله ، تبارك وتعالى ، استحسن كل ما خلق ، ولا أجترئ* انا فأقول ان ثم شيئا خلقه قبيحا او حراما ، حينئذ اكون معاندا لله مقاوما ما خلقه واستحسنه ، ومعاذ الله ان اكون لربي معاندا . بل كل ما خلقه ، ممّا يجوز لي في طبعي اكله ، فهو حلال لي ولجميع ولد آدم ، غير اكل الدم والميتة وما ذُبح للاصنام ، فانه نزل في تحريمه امر من الله نصّ (٢) .

والسبب في تحريم الخنزير والجمل وغيرهما ممّا حرّم الله على بني اسرائيل اكله ، فذلك انما حُرّم عليهم لعلّة معروفة مشهورة ، لانهم حيث كانوا مقيمين بمصر نظروا الى اهل مصر وهم يعبدون الاصنام التي كانت على خلق الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم . ألا ترى كيف آجاب موسى فرعون قائلا له : " لن يجوز ان نقرّب لله قرابين تجاه المصريين ، لاننا انما نريد ان نقرّب القرابين التي يعبدونها وهي الهتهم . فاذا فعلنا ذلك بين ايديهم ، لم نأمن انهم يرجموننا ، اذا قرّبنا الهتهم وذبحناها " (٣) . فدلّ بهذا القول ان اهل مصر كانوا يعبدون الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم . ودليل اخر ان موسى حيث اقام في الجبل ، وثب بنو اسرائيل على هارون اخيه قائلين له : " اتخذ لنا الها نعبده ، فان موسى قد أبطأ علينا ولا نعلم حاله " . وانما اتخذ لهم صنما على صورة العجل ، على منهاج ما كانوا يرون من عبادة اهل

---

٥ ولا أجترئ* = ع ق ي : أفأجترئ* .
١٤ الجبل = ق : طور سيناء* .

---

(١) تكوين ١ / ٣١ .
(٢) اعمال الرسل ١٥ / ٢٠
(٣) خروج ٨ / ٢٦ .

مصر مثله (١) . فكان المصريون يعبدون هذه الخليقة ، ويقرّبون لها القرابين ممّا كان خلافها ، كالخنزير والحمار والفرس وما اشبه ذلك ، من الاشياء التي هي عندهم اخسّ في الخليقة من خلقة الهتهم .

فحيث امر الله موسى بالقرابين ، امره ان يقرّب له من الثيران والبقر وسائر الغنم لاغير ذلك ، وامره ان ينجّس الخنزير والجمل والحمار والفرس ليُعلمه : "ان هذه نجسة في اكلكم اياها ، فضلا عن تقريبها لي – اذ كان المصريون يقرّبونها لالهتهم – بل كلوا لحم الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم ، التي كانت الهة عند اولئك ، وقرّبوا لي منها ، وتجنّبوا اكل الخنزير والجمل والحمار والفرس ، ولا تقرّبوا لي منها شيئا اصلا ، لانها نجسة غير زكيّة لذلك السبب" .

فزهّدهم في عبادة الثيران والغنم والكباش والبقر بأطلاقه لهم آكل لحومها وتقريب القرابين منها ، وزهّدهم في أكل الخنزير والجمل والحمار والفرس وما اشبه ذلك ، ونفّرهم منها بانه صيّرها نجسة غير زكيّة ، ولم يطلق القربان منها . فحذّرهم من عبادة الجميع بالقانونين جميعا .

فليس الحرام والنجاسة ان يؤكل لحم الثيران والبقر وسائر الغنم والكباش والخنزير والجمل والحمار والفرس ، بل الحرام والنجاسة ان تُعبد هذه وتُتخذ الهة من دونه عزّ وجلّ .

فاما من لم يعبدها ، ولم يكن اعتقاده انها الهة ولا قرّب منها شيئا للاصنام ، فليس ذلك بالحرام عليه ولا بالنجس عنده . واما أكله لحوم الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم والخنزير والجمل والحمار والفرس ، فانه حلال مطلق ورزق من الله طيّب ، كله له مطلق ما لم تعفه نفسه او ينفر منه طبعه . فان ترك الجميع او بعضه فذلك اليه ، لا لوم عليه فيه .

---

١ الخليقة = ي : الحيوانات .

٩ الفرس = زيد في ع ق ي : وما اشبه ذلك .

١٦ تُعبد هذه وتتخذ = ع ق ي : نعبد هذه ونتخذها .

١٩ واما أكله = ق ي : ومأكلة .

٢١ كله مطلق له = ق : يأكله الانسان مطلقا .

---

(١) خروج ٣٢ / ١ – ٤ .

فاما تحريم لحم الخنزير فقط من بين البهائم كلها ، وأطلاق أكل الجمل وتقريب القربان منه ولحم الحمار والفرس ، الذي أتى به صاحبك ، فالسبب فيه من ذينك اليهوديين ، عبد الله بن سلّام ووهب بن المنبّه ، اللذين أفسدا الدنيا وأهلكا الأمّة ، وصاحبك بريء من ذلك كله .

خفض النساء

فاما خفض النساء ، فالقصّة فيه ان سارة حرّة ابراهيم ، لمّا نظرت عجب ابراهيم بهاجر امتها المصرية ، عند هبتها له وأطلاقها له فرجها ان يطأه ، لحقها ما يلحق النساء من الغيرة على ازواجهنّ ، فخفضت امتها بيدها ، ارادة التشويه بها وان تهتك الموضع الذي توهّمت ان ابراهيم يعجب به منها . فكان ذلك على جهة ايقاع العيب بهاجر امتها والتشفّي منها .

فلما صارت هاجر المصرية الى بلد تهامة وتزوّج اسماعيل ابنها ، خفضت هاجر امة سارة امرأته لئلاّ تعيّرها بذلك ، وأوهمتها ان ذلك سنّة . فعندما وُلد لاسماعيل اوّل وُلده ، عمد اسماعيل الى الذكور من وُلده وأقام فيهم سنّة ابراهيم ، وعمدت امرأة اسماعيل الى الاناث من اولادهم فخفضتهنّ وأقامت فيهنّ العلامة التي ورثتها من سارة سيدتها ، على انها سنّة موروثة كختان الذكور .

والدليل على ذلك انه لم يُقل فيه امر ولا نهي ، ولا جرى له ذكر في شيء من الكتب المنزلة . وانما عملت به العرب على حسب ما جرت به سنّة البلد .

ولولا ان الديانة عندي اشرف من الحسب الجداني الزائل ، لكان يسعني السكوت عن هذه الامور ، اذ كنت انا ايضا من ولد اسماعيل ومنتميا اليه . فانا رجل نصراني ، ولي في هذه الديانة سابقة هي حسبي ونسبي وشرفي الذي اتشرّف به وأفتخر بمكاني منه ، وأرغب الى الله في أمانتي على هذه الديانة وحشري عليها ، فانه غاية املي ورجائي الذي أرجو به الخلاص من العذاب في نار جهنم ، والدخول الى ملكوت السماء والخلود فيها ، بفضله وإحسانه وسعة رحمته .

---

٥ حرّة = ع ي : حرمة .

١٠ بلد تهامة = ع : بلدتها .

الحجّ والفوسه

واما دعواك اياي الى الحج الى بيت الله الحرام الذي بمكّة ، ورمي الجمار ، والتلبية ، وتقبيل الركن والمقام ، فسبحان الله ما اعظم هذا الكلام . لقد جئت بأمر فريّ ، كأنك تكلّم صبيّا ، او تخاطب غبيّا او تجادل عبيّا .

طقوس البراهمة الهنود والعرب قبل الاسلام

فليت شعري ، أليس هو الموضع الذي عرفناه جميعنا حقّ معرفته ، ووقفنا على اصول اسبابه ، وكيف كانت القصّة في ثباته ، وكيف جرى امره الى هذه الغاية ، وان ما يُفعل فيه فعل الشمنية والبراهمة الذين يسمّونه النسك لأصنامهم بالهند ؟

فانهم يفعلون في بلدهم هذا الفعل بعينه الذي يفعله المسلمون اليوم ، من الحلق والتعرّي الذي يسمّونه الاحرام ، والطواف ببيوت اصنامهم الى هذا الوقت على هذه الحالة . فلم تزد انت عليه شيئا ، ولا نقصت منه ذرّة . فانت آخذ بذلك الفعل الذي تسمّيه النسك ، متمسّك بتلك العادة ، محتذ تلك السبيل ، الاّ انك تفعله في السنة مرّة واحدة في وقت مختلف ، واولئك يفعلونه في السنة مرّتين في دفعتين معروفتين ، عند دخول الشمس اوّل دقيقة من الحمل ، وهو الربيع ، وفي دخولها اوّل دقيقة من الميزان ، وهو الخريف . فالاوّل لدخول الصيف والثاني لدخول الشتاء . وهم يضحّون كما تضحّي انت ، وينسكون كنسكك لأصنامهم وانذارهم . فهذا سبب حجّك ونسكك ، ومقامك تلك المقامات ، وافعالك تلك الافعال .

وانت واصحابك عالمون ان العرب كانت تنسك مثل هذه المناسك ، وتفعل هذه الافعال في قديم الزمان ، منذ بنت هذا البيت . فلما جاء صاحبك بالاسلام ، لم نره زاد في هذه الافعال ، ولا نقص منها شيئا ، غير انه ، لبعد الشقّة وطول المسافة وتخفيف المؤونة ، جعله حجّ مرّة واحدة في السنة ، وأسقط من التلبية ما كان فيها شناعة . والقصّة هي تلك القصة بعينها التي تفعلها الشمنية والبراهمة ببلاد الهند ، الى

-:-

٧ ما يُفعل فيه = ى ك ٢ : او لا تعلم ان هذا .

١١ الحالة = ك : الحكاية .

١٢ فأنت آخذ = ع ى ي : فانك اخذته .

هذه الغاية ، وتنسك بها لأصنامها .

واني لأتصوب قولا لعمر بن الخطاب ، وقد وقف على الركن والمقام فقال : " والله اني لأعلم انكما حجران لا تنفعان ولا تضرّان ، ولكني رأيت رسول الله يقبّلكما ، فانا اقبّلكما كذلك " (١) . فان تكن الرواة الصادقون ، الذين رووا هذه الرواية عنه ، كذبوا عليه او ما كذبوا ، فقد صدقوا في ما حكوه عن هذين الحجرين . وان كانوا صدقوا عنه انه قال ذلك ، فلقد قال قولا حقّا . فكبنما اردت ، ايها الحبيب ، القول لم يخرج عن قانون الحقّ .

طقوس غريبة لا يتقبلها العقل

فاما ما يريد العائب ان يعيب به من يحلق شعر رأسه ويتعرّى ويعدو ويرمي بالجمرات ، فهذا فعل مَن قد غرب عقله وانكر فهمه ، ومن تخبّطه الشيطان ، فقد تجد ساغا للعيب وموضعا للثلب .

ولقد احتججنا لكم عند من ثلبكم وقلنا : انهم انما يفعلونه من جهة التعبّد ، وليس في التعبّد عيب . فأجابنا : ان الله ، جلّ وعزّ ، حكيم ولم يتعبّد خلقه بالسنن الفاحشة الشنيعة التي تنفر الطباع منها ويستسمجها العقل ، بل بالسنن التي يستحسنها العقل ويقرّ بفضائلها ، اعني السنن الواضحة التي ارتضاها الله ، وفرضها على عباده أن يدينوا بها ويتقرّبوا بأقامتها اليه .

والّا فما أنكاركم على المجوس الانجاس حيث نكحت الامهات والبنات والاخوات ، وتطهّرت بالبول المعتّق ، وأوقفت النساء امام الهرابذة حتى ينضحوا البول المعتّق على فروجهنّ بعد الولادة ؟ فان كان هذا يعتبر قبيحا ، فما انتم فاعلوه من الحلق والتعرّي والرمي بالحجارة والهرولة أقبح .

وأقبح من هذا كله ما جاء في ذكر الطلاق ، ونكاح المرأة رجلا آخر ،

---

١٠ بالجمرات = ع ي : بالحجارة .

١٩ الهرابذة = ق : الوابذة . ع ي : إلعرابذة .

٢١ قبيحا = زيد في ع ق ي : في التعبد .

---

(١) مسند احمد ١ / ٢٨١ .

الذي يسمّى الاستحلال ، وان يذوق من عسلتها وتذوق هي من عسلته ، ثم مراجعة الرجل الأوّل بعد ذلك . هذا وقد يكون لها اولاد رجال نبال وبنات نساء كبار ذوات بيوت ، والزوج الذي له الشرف النفيس والحسب الخطير ، وتكون هي المرأة النبيلة في قومها ، المشار اليها في عشيرتها ، البهيّة في اهلها ولها المجد الرفيع . فهذا أقبح وأشنع من فعل المجوس الاقذار الانجاس ، وان كان ذلك في غاية القبح والقذارة والنجاسة .

فهل ترى ، اصلحك الله ورضي عليك ، ان تدعوني الى مثل هذا الذي تستشنعه البهائم وتستقبح فعله ؟ فاني أظنّ بخبرتك انها لو سُئلت ، فأُذن لها في النطق ، لأخبرتنا بقبح هذه الاعمال واستشناعها اياها وأعلمتنا ، لو استجبنا الى دعوتك ، اننا ظلمنا تمييزنا وطباعنا . وأعوذ بالله ان اكون من القوم الظالمين .

هل مواضع الحجّ مباركة ؟

واما قولك : "انك تنظر الى حرم رسول الله ، وتشاهد تلك المواضع المباركة العجيبة" ، فقد صدقت ، اصلحك الله ، في قولك انها مواضع عجيبة . وأيّ عجب أعجب من تلك المواضع ، عند ذوي العقول والتمييز ، التي يُرتكب فيها ما يُرتكب من ظلم العقل والتمييز ، الذي فُضّل به الانسان على سائر البهائم وأُنعم به عليه ؟

واما قولك : "انها مواضع مباركة" ، فخبّرني ما الذي صحّ عندك من بركتها ؟ أيّ مريض مضى اليها فبرئ من مرضه ؟ وأيّ زمن قصدها فنهض من زمانته ؟ وأيّ ابرص زار ذلك المكان فذهب عنه برصه ؟ وأيّ أعمى صيّرته الى تلك البقعة فانفتحت عيناه ؟ وأيّ مخبّط من الشيطان حُمل الى ذلك البلد فرجع صحيحا سليما ؟ فما أظنّك ، ابقاك الله ، بل كيف اظنّك وحدك ، ولا أجد احدا ممّن يتقلّد مقالتك او يرى رأيك ، يجترئ ان يذكر في مثل هذا انه كان من قبل هذا الموضع ، فضلا عن ان يدلّنا على احد ، يومئ اليه ، انه كان عوفي وانصرف عن مثل الحال التي طالبناك بها .

وكيف اقول ، وانت واهل ملّتك ، ونبيّك الذي تفخر به وتفخّم ذكره

---

٢٥ انه ... الموضع = ق : ويقول ان مثل ذلك الموضع فعل مثل ذلك .

وشانه وتدلّ به ويحجّك اليه ، ليس احد على وجه الارض ، ممّن يضمّه هذا الفلك المحيط ، يقدر ان يحيي عينا ممّا طالبناك به او صحّ في يديه ، الاّ من انتحل النصرانية . فهذا امر قاطع فيك وفي غيرك من جميع اهل الاديان والملل . فما معنى اضافتك ذكر البركة والحاقك ذلك في هذه المواضع ؟

المواضع المباركة تظهر فيها الآيات

وانما عرفنا البركات تحلّ في المواضع التي يُعبد الله فيها حقّ عبادته ، ويأويها الابرار الصالحون الاتقيا. الذين قد وهبوا انفسهم لله . فهم في طاعته دائبون ليلهم ونهارهم ، لا يفترون ولا يشغلهم عن ذلك شاغل . وقد رفضوا الدنيا وخلّوها ، ونزعوا عن قلوبهم الذكر بها والاهتمام بشئ من امرها . فهم أحقّ ان تنزل البركات من عند الله على ايديهم والاخفية والمواني . وهم اذا سألوه أعطاهم ، واذا طلبوا منه أنجح طلبهم ، واذا شفعوا اليه منحهم ، واذا دعوه اجابهم ، لان موعده لا يخلف فيه ، ولا يضيع عنده أجر المحسنين .

وكذلك قال الله ، تبارك وتعالى ، على لسان داود النبي : " يطلب الابرار فيجدون " (١) . وقال ايضا في موضع آخر : " الربّ قريب ممن يدعوه بالحقّ ، ويأتي مسرّة اتقيائه ، ويسمع دعاءهم فيخلصهم " (٢) . وأكّد هذا القول الرب المسيح في انجيله المقدس بقوله : " اسألوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا " (٣) . ثم قال في موضع آخر : " ايهما رجلان منكم يتفقان في مسألة امر ما من الامور باسمي ، يعطيهما ابي الذي في السموات " (٤) . فقد

---

٤ البركة = زيد في ع ق پ : والتحريف .

١٠ على ... والمواني = ق : عليهم وعلى مساكنهم وتنزل الاخفية والمواني على ايديهم .

١٢ منحهم = ق : شفعهم .

---

(١) مزمور ٣٤ / ١٨ .

(٢) مزمور ١٤٥ / ١٨ ـ ٢٠ .

(٣) متى ٧ / ٧ .

(٤) متى ١٨ / ١٩ .

أنجز وعده وحقّق قوله وصدّق ما جاء به من النور والهدى في انجيله . فليس من مكروب ولا ملهوف ، ولا محزون ولا مريض ، ولا مستغيث يسأل ، بايمان صحيح ونيّة صادقة وقلب سليم من اولياء المسيح ، باسم المسيح المقدس الطاهر ، الاّ فُرِّج عنه غمّه وهمّه وكربه ، وكُفي موءونة حزنه ، ونزلت عليه العافية والشفاء من الله ، بواسطة اوليائه وبركة دعاء الصالحين عباده ، لانه طلب الامر من جهته ، وسأل حاجته من الناحية التي تُسأل الحوائج منها .

فهذه الديارات والاعمار وجميع المواضع التي يُذكر فيها اسم المسيح ، مخلص العالم ، ويأوي فيها الرهبان ، ممتلئة من هذه البركات ، تفيض على جميع من صار اليها ، وصدّقها بأخلاص نيته وسلامة قلبه ، واسترسال الى من يسكنها ، وتصديق لما في ايدي من يطلب منه ذلك فيضا ، لا يُطلب من احد ثمنا ولا مكافأة ، ولا يُسأل على ذلك جزاء ولا شكرا . لان السيد المسيح ، مخلص العالم ، قال في انجيله الطاهر المقدس ، وبهذا امر : " مجانا اخذتم ، مجانا أعطوا . لا تأخذوا ذهبا ولا فضّة " (١) . فهم حافظون لوصيّته ، تابعون امره ، مقتفون اثره .

وهو ، جلّ ذكره ، راع يسمع دعاءهم ويوءتي البركات ، ويُنزل الرحمة والاشفية على ايديهم للناس كافّة ، الاّ لمن عاند الحقّ وارتدّ خائبا ، وصدّ معرضا عن التقوى ، فانه يخيب ويخسر . على انه ان رجع ، قُبل كما يُقبل الابن الحبيب الذي ، بنظره الداله ، يشرد عن بيت ابيه ، ثم يعاتب نفسه فيرجع نادما تائبا ، عارفا بما يجب عليه من الحقّ اللازم عليه ، مقرّا بخطيئته ، متنصّلا من ذنبه ، متخذلا ذليلا لما جنى من نكوصه وشروده . فتتلقّاه رحمة ابيه ويتقبله أحقّ القبول ، ويسرّ بتوبته واعتذاره ، ويفرح بموافاته وأوبته ، ولا يوءاخذه بما جناه على نفسه

---

٧ والاعمار = ق : العامرة بالبيع .
١١ يُسأل = ع ق ي : ينال .
١٣ تأخذوا = ي ك٢ : تقتنوا .
١٨ بنظره الداله = ق : تنظير الدابة .
٢١ وشروده = ق : وشره .

---

(١) متى ١٠ / ٨ - ٩ .

بقلّة معرفته وجهل صباه . ثم يقول له : "انك انت ابني ، كنت ميتا فعشت ، وضالا فاهتديت ، ومستغويا فرُشدت" (١) .

فميّز ، اصلحك الله ، بين هذين الامرين ولا تتداخلك الحميّة ، فانها ثمرة كيد الشيطان . ان الشيطان كان للانسان عدوًّا .

فهل ترى لي ، يرحمك الله ، ان أدع ما في يدي من هذه النعمة ، العظيم قدرها ، الجليل خطبها ، التي تغبطني الملائكة عليها فضلا عن بني البشر من ذريّة آدم ، وما كانت الانبياء والملوك والابرار تترجّا ، وتتوق انفسها اليه ، وآخذ بما كتبت به اليّ ممّا يأنف منه طبعي ، ويأباه تمييزي ، ويلومني عليه عقلي وينفر منه ؟ ما اظنّني ، اذا فعلت ذلك ، لنفسي من الناصحين .

الجهاد في سبيل الله

ثم قلت : "ادعوك الى سبيل الله ، الذي هو غزو المخالفين والكفرة ، وقتال المشركين ضربا بالسيف وسلباً وسبيا ، حتى يدخلوا في دين الله ويشهدوا : "انّ لا اله الاّ الله وانّ – من اكره اسمه – عبده ورسوله " ، اوْ يؤدّوا الجزية عن يد وهم صاغرون" .

فهل اردت ، ايها العاقل الحكيم ، ان تدعوني الى فعل الشيطان ، المنزوعة منه الرحمة ، الذي انما أفرغ جهده لآدم وذريّته في عرذمة منهم اشتغواهم ، فأفرغ فيهم سمه وغيظه ، وملأهم حنقه وحدّته ، وجعلهم سلاحا له وأولياء ينقادون لأرادته ويبلغون مشيئته ، ويأتون مسرّته وينتهون الى طاعته ومحبّته في القتل والسبي ؟

فعرّفني من هو الذي يجسر فيقول عن هذه العظائم ، المنافية للطبيعة

----

٧ البشر = ك : جنسي .

١١ والكفرة = زيد في ع ى ك ٢ ي : المنافقين .

١٢ من اكره اسمه = ع ى ي : محمدا .

١٥ اردت = زيد في ى ي : ابقاك الله .

----

(١) لوقا ١٥ / ٢١ – ٢٤ .

الانسانية والمضادة لطبيعة الاله الذي بجملة رحمته وحنوه تشرق على سائر العباد ، ان هذه تكون سبيل الله عز وجل ؟ حاشاه تعالى عن مثل هذه النوائب المستكرهة (١) .

تعرفني كيف اجمع بين قوليك وبين تباعدهما . وانت القائل ، نقلا لهذا في كتابك ، الذي تدعي انه منزل من عند الله ، اذ يقول : " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون " (٢) . ثم تكتب : " ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء " (٣) . ثم تزيد في هذا القول شيئا : " ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا . أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله " (٤) . أفلا ترى كيف تناقض هذا القول ؟

ثم تكتب ايضا : " قل : يا ايها الناس ، قد جاءكم الحق من ربكم . فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها . وما انا عليكم بوكيل . واتبع ما يوحى اليك ، واصبر حتى يحكم الله ، وهو خير الحاكمين " (٥) . ثم تكتب ايضا في موضع آخر : " ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ، ولا يزالون مختلفين ، الا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم " (٦) . ثم تكتب تأكيدا لهذا القول في كتابك : " انه بعث بالرحمة للناس كافة " . فأي رحمة مع القتل والسلب والسبي ؟

وانني لكثيرا ما اتذكر بعض اليهود اذ يسمي كتابك ناقضا لنفسه . فانا لا اسمي كتابك بهذا الاسم الشنيع ، لكني اسمي كلامك ، فانه حقا ناقض نفسه . فأنت تدعي ما انت تدعي ، ثم ترجع الى نفسك وتنقض كلامك .

لكنني اسألك ان تخبرني عن سبيل الشيطان : هل هي الا القتل والسفك

---

١٧ تأكيدا = ع : تأييدا .

---

(١) هذه الفقرة عن ع .

(٢) ٣ / ١٠٤ .

(٣) ٢ / ٢٧٢ .

(٤) ١٠ / ٩٩ _ ١٠٠ .

(٥) ١٠ / ١٠٨ _ ١٠٩ .

(٦) ١١ / ١١٩ .

والسلب والسبي والسرق ؟ أو يقدر احد ان يقول في هذا انه ليس كما قلنا ؟

عمل موسى لا يبرّر الجهاد

فان احتججت علينا بموسى ، نجيّ الله تبارك وتعالى ، انه قاتل الكفار وعبدة الاصنام ، قلنا لك : اذكر ما قرأته في التوراة ، كم من اعجوبة فعلها موسى حتى صدّقناه ان الذي اتاه من الحرب ، وقتال عبدة الاصنام ، كان ذلك عن امر الله تبارك اسمه . وكذلك يشوع بن نون حيث استوقف الشمس والقمر توقفا له ، فكانت منه آية معجبة لا يقدر على فعل مثلها الاّ من كان من اولياء رب العالمين ، فحينئذ صدّقنا ان الذي فعله كان عن امر الله جلّ وعزّ .

فالان ، أيّة آية تقدر انت على ذكرها ؟ او أيّة اعجوبة تخبرنا ان صاحبك جاء بها مقدّمة تكون عاضدة له ، يجب علينا بها تحقيق قوله وتصديق ما جاءنا به ؟ خاصّة قتل الناس بأمره وان يسلبهم اموالهم ويسبي ذراريهم ويسرقهم ، ويقصد بذلك قوما هم اولياء الله ، المعتصمون بعبادته ، القائمون بفرائضه وسننه ، واراد الله ان يجزل ثوابهم ويكفّر عن سيّئاتهم ، الذين بذلوا مهجهم عن دينه وآمنوا بمسيحه واتّقوه حق تقاته ، فهداهم الى الحقّ المستقيم ، لوجوههم مستغيثة في الدنيا والاخرة .

ثم لم يقنعك ذلك حتى سمّيته سبيل الله . فحاشا الله جلّ وعزّ ان يكون هذا سبيله ، او يكون من اقترف شيئا من هذه المآثم من اوليائه ومن اهل طاعته ، لان الله جلّ وعزّ لا يحبّ المفسدين .

لا اكراه في الدين

وكيف اقول في تناقض هذا الامر وتضادّه اذ تكتب : « لا اكراه في

---

١ أو يقدر ... قلنا = ق ك٢ : أتقدر انت او غيرك ان تقول في هذا انه ليس ما كتبت اليك ؟

٢ نجيّ = ع ك٢ : كليم .

٤ اعجوبة = زيد في ق : وكم من آية .

١٣ ويقصد = ع پ : ويفضّل .

١٧ يقنعك = پ : يكفيك .

الدين » ؟ (١) وتزعم ان الله تبارك وتعالى قال : « وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين : "أأسلمتم ؟ فأن أسلموا فقد اهتدوا ، وأن تولّوا فانما عليك البلاغ . والله بصير بالعباد » (٢) . وانت الذي تقول : « ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ، من بعد ما جاءتهم البيّنات ، ولكن اختلفوا ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر . ولو شاء الله ما اقتتلوا . ولكن الله يفعل ما يريد » (٣) . وانت الذي تقول : « قل يا ايها الكافرون »، ثم تختم ذلك فتقول : « لكم دينكم ولي ديني » (٤) . وتقول : « ولا تجادلوا اهل الكتاب الاّ بالتي هي احسن » (٥) . ثم انت تحثّ على قتل الناس ضربا بالسيف وسلبا وسبيا ، حتى يدخلوا في دينك قهرا .

وكيف اصنع بك وبأيّ قوليك آخذ ، أبالاوّل أم بالثاني ؟

ويدخل على قولك ناسخ ومنسوخ . فانك انت الذي تدّعي هذا ، وان ادّعيته لم تلحق معرفته ، لانك لا تدري أيّهما الناسخ ولا ايهما المنسوخ . فلعلّ الذي هو عندك الناسخ هو المنسوخ ، وكذلك ينعكس عليك القول فيه ان الذي هو عندك المنسوخ هو الناسخ . فاذ قد اقررت بالجهل بهذا ، وانك لم تحط معرفة به ، ولم تثبت له عندك حجة ، ولا تقدر ان تقيم به برهانا صحيحا عند من يطالبك بالبرهان الصحيح ، فليس بك ولا بنا حاجة الى ذكره .

فقد علّمنا منك الان على انك خالفت نفسك وأبطلت قولك ، ودحضت حجتك ونقضت شرطك في انك ادّعيت ان صاحبك بُعث بالرحمة والرأفة الى الناس كافّة ، وان لا اكراه في الدين ، وفي قولك ان تضرب الناس بسيفك ، وتسلبهم وتسبيهم ، حتى يدخلوا في دينك كرها ، ويقولوا بقولك قسرا ، ويشهدوا بشهادتك قهرا .

فاذا كنّا الى هذه الغاية لم نقف ، بعد هذا كله ، على صدق احد

---

٩ دينك = ع ق ي : دين الله كرها وقهرا .

---

(١) ٢ / ٢٥٦ .
(٢) ٣ / ٢٠ .
(٣) ٢ / ٢٥٣ .
(٤) ١٠٩ .
(٥) ٢٩ / ٤٦ .

قوليك ، ولم نقدر على ان نثبت حقيقة احدهما ، ونفرّق بين الحقّ منهما والباطل وأيّهما المنزل والمأخوذ به ، وجب عليك من هذه المقدّمات ان تكون النتيجة في ذلك ان القولين كليهما باطلان غير محقّين ، لان الذي هو عندك حقّ يجب ان يُعمل له لعلّه هو الباطل المتروك الذي لا يجب ان يؤخذ به ولا يُعمل به ، وان الله ، جلّ ثناؤه ، لمَ يأمر ولا بشيء منهما .

لا رسول دعا الى الدين بالسيف

فهل بلغك ، يرحمك الله ، أو قرأت شيئا من الكتب المنزلة أو غيرها ، ان احدا من الدعاة استجلب الناس الى مقالته ، ودعاهم الى الاقرار بما جاء به قهرا وكرها ، او ضربا بالسيف وتهديدا بالسلب والسبي غير صاحبك ؟

فقد عرفت قصّة موسى وما جاء به من الايات المعجبة ، وقرأت اقاصيص الانبياء بعده وما فعلوا ، فكان ذلك محقّقا وشاهدا لما جاؤوا به وانه من عند الله .

وقد هذرت المجوس الانجاس في ما ادّعت وزعمت عن زرادشت (١) انه حيث صار الى جبل سيلان ، نزل عليه الوحي هناك ، فحينئذ دعا بشتاسف (٢) الملك ودعاهم ، فأجابوه وأذعنوا له حيث اراهم بسحره ومخادعاته وتمويهاته ما هو عندهم آية ممتنعة في الطباع ، مثل الفرس الذي احياه بعد موته ، ومثل الهذيان الذي اتى به من باب الزمزمة الذي زعم انه يشتمل على كل لسان ، وجمع فيه كلام أكمل لغة نطق بها الادميون ، وكتبه في اثني عشر الف جلد من جلود الجواميس ، وسمّاه « البستا » (٣) أي كتاب الدين .

---

١ ان نثبت حقيقة = ع ق ي : تحقيق .
١٥ فأجابوه = ك : وانهم انما اجابوه بالايات المعجبة التي اظهرها لهم .
ومخادعاته = ق ك : ومخاريقه .
١٩ البستا = ق : زندوستا .

---

(١) زرادشت . نبي الفرس الاقدمين . عاش في القرن السابع قبل الميلاد . اصلح الديانة الفارسية الاولى ، ووضع الديانة المزدية (او المجوسية) التي كانت الديانة الفارسية الرسمية حتى الفتح الاسلامي .

(٢) بشتاسف . امير فارسي ، حمى زرادشت وساعده على نشر دعوته .

(٣) البستا . مجموعة الكتب المقدّسة في الديانة المزدية .

وهم اذا سُئلوا عن تفسيره انكروا معرفته واقرّوا بجهله .

وكذلك فعل البدّ (١) بالهند ، حيث اراهم ، كما زعموا ، عنقاء مغرب رفي بطنها جارية وهي تهتف بهم وتخبرهم ان البدّ محقّ في كلّ ما دعاهم اليه ويخبرهم به .

فهذه بعض امور المدّعين وخدعهم . ولم نجد احدا من الدعاة ، الذين دعوا الى حقّ او باطل ، الاّ وقد جاء بحجة او دليل صحيح بان ذلك امر بيّن ، وهو مموّه في الظاهر مبهرج الى ان يدخل في ميزان المحنة ، فحينئذ تتبيّن عند العيان صحّته من خبثه . وكذلك فعل كل ذي دعوة بأهل دعوته غير صاحبك ، فاننا لم نره دعا الناس الاّ بالسيف والسلب والسبي والاخراج عن الديار ، ولم نسمع برجل غيره جاء فقال : " من لم يقرّ بنبوّتي واني رسول رب العالمين ، ضربته بالسيف ، وسلبت بيته وسبيت ذراريه ، من غير حجة ولا برهان ".

المسيح يأمر بالفضل والمحبّة

فاما المسيح ، سيّد البشر ومحيي العالم ، فتعالى ذكره وجلّ قدره ان تُذكر دعوته في مثل هذا الموضع ، وانت عالم بالقصّة وكيف كانت ، وكفى بعلمك .

أفرأيت ، اصلحك الله ، من اختار لنفسه في مثل عقلك وادبك ، ان تدعو مثلي ، مع عدّة امتحاني للامور وتصبّلي لها ، الى مثل ما دعوتني اليه ؟ وخاصة ، وانا أتلو كلام سيدي المسيح ليلي ونهاري ، وهو شعاري ودثاري ، واسمعه يقول : " تفضّلوا على الناس جميعا ، وكونوا رحماء كي تشبهوا اباكم الرحيم الذي في السماء ، الذي يشرق شمسه على الابرار

---

٢ البدّ = زبد في ع ق ي : صنم .

٥ امور المدّعين = ع ق ي : اخبار المتحسنين .

٧ مبهرج = ع ق ي : ممتزج .

١٠ ولم نسمع برجل = ع ك ي : ولا سُمع ولا رُوئي رجل .

---

(١) البدّ ، اي بوذا ، من حكماء الهند . عاش في القرن السادس قبل الميلاد ، ورأس الديانة البوذيّة .

والفجار ، ويحدر مطره على الاخيار والاشرار » (١) .

فكيف يُظنّ بمثلي ، والمسيح يخاطبني بمثل هذه المخاطبة ، وقد ربّيتُ في هذه النعمة ، ونجحتُ بهذه البركة ، وجرت في اعضائي وفي جسمي مع الدم دما وفي عظامي مع المخّ مخّا ، ونشأتُ في هذا النجاح والرحمة ، ونبت لحمي وشعري عليها ، ان يقسو قلبي وأتمرّد متشيطنا حتى اصير في صورة ابليس العدوّ القتّال ؟ فأضرب وأقتل ابناء جنسي وذرّيّة آدم ابي المجبول بيد الله تبارك وتعالى وعلى صورته ، المفضّل بخلقه على سائر الخلائق ، المتعبّدة له الملائكة الروحانيون ، المخاطب بوحي الله ، الذي اهل السموات والارض يرتكضون لخدمته واجتلاب المنافع له ودفع المضارّ عنه ليلهم ونهارهم ، لا يملّون ولا يكلّون عن تنفيذ الامور الجارية لمصالحه ، المؤدية الى منافعه ، الذي هو ملك الارض .

وازداد الى ملكه ملك السماء ، اذ تجسّدت كلمة الله واتّحدت به ، وأعطته ما لها من الربوبية والالوهية والسلطان والقدرة ، فصارت الملائكة تسجد له وتقدّس اسمه وتسبّح ذكره ، كما تسبّح اسم الله وذكره ، ولا تفرّق في ذلك .

ثم زيد نعمة الى النعم المتقدّمة بأن أُعطي الجلوس عن يمين ذي العزّة ، تعريفا لذلك الجد المأخوذ منّا الذي هو من ذرّيّة ابينا آدم .

ثم دَفع اليه ، تفضّلا عليه وأكراما له وانعاما ، جميع السلطان في السموات والارض ، وخوّله تدبير الخلائق ، وصيّر البعث والنشور والدين له ، وان يحكم حكما نافذا جائزا على الملائكة والانس والشياطين .

---

١ ويحدر مطره = ع : ويمطر غيثه .

٧ صورته = زيد في ق : تعالى . والله جلّت قدرته هو القائل : لست احبّ موت الخاطئ ، لانه اليوم في خطاياه وغدا يتوب فأقبله كالاب الرحوم .

١٠ يملّون = ك : يلحقهم الفتور والملل .

١٢ وازداد ... كلمة الله = ق : سيّما وقد شرّف الله سبحانه وتعالى النوع الانساني بأن كلمته الخالقة تجسّدت منه .

١٧ آدم = زيد في ع ق ك٢ پ : فهو مثلنا واخونا في الطبيعة (ع : الانسانية) وخالقنا والهنا باتحاد الكلمة الخالقة به بالحقيقة .

---

(١) متى ٥ / ٤٥ .

أفتريد ان اعاند أمر الله تبارك اسمه ، وأضربهم بالسيف واسلبهم واسبيهم ؟ ان هذا لحقّا عناد لله ولأمره ، وظلم لنعمته ، وجحد لمعرفته ، وكفران لاحسانه ، وقلّة ذكر لتفضّله . وأعوذ بالله من خذلان الله وغضبه .

الله يبتلي عباده لمصلحتهم

فان قلت: ان الله جلّ ذكره قد نراه يميتهم ويبليهم بالاسقام والاوجاع ، فما يمنعك من التنبّه به ؟

فأجيبك أحضر جواب وأصحّه ، ليس كجوابك في امر الروح ، حيث سُئلت عن امر الروح فكان جوابك: "انه من امر الله" (١) ، الجواب الذي لم يسمع السامعون بمثله . اما نحن فنجيبك جوابا حاضرا واضحا ، ليس كجوابك ، ونقول: ان الله تبارك وتعالى انما يبتلي ويميت عباده ، ليس لانه يريد الاضرار بهم ولا لشدّة بغض لهم ، ولكن لمصلحتهم .

فلو كان باغضا لهم لما خلقهم جودا منه وتفضّلا واتماما عليهم بخلقه اياهم ، اذ قد نقلهم من العدم الى الوجود ، وأصارهم من لا كون الى كون ، ليتقلهم من هذه الدنيا ، التي هي زائلة غير باقية وفانية غير دائمة وناقصة غير تامّة ، الى دار الخلود الباقية الدائمة الكاملة . فلا يُقال لمن نقل من مدينة وضيعة الى مدينة رفيعة انه اراد بصاحبه سوءا وتعدّى عليه ظلما ، بل هو محسن متفضّل اوّلا وآخرا .

واما قولك انه ابلاهم بالاسقام المؤلمة والاوجاع المؤذية ، فجوابنا في هذا انه انما اراد بذلك ان يكونوا مستحقّين الاجر والثواب ، وان يكون تبارك وتعالى ، مع تفضّله عليهم ، متفضّلا في الحالتين جميعا ، كالطبيب الماهر المشفق الذي يشفي المريض بالادوية المرّة الطعم ، البشعة الرائحة ، ولربّما كوى بعضهم بالنار وقطع بعض الاعضاء من

---

٢ لحقّا ... ولأمره = ق : لجور على الله عزّ وجلّ وعناد لأمره .

١٥ نقل = زيد في ق ك٢ ي : من مدينة خبيثة الى مدينة شريفة ومن .

١٩ عليهم = زيد في ع ق ك٢ ي : ينالون ما ينالونه من حسن الثواب باستحقاق منهم له . فهو عزّ وجلّ .

---

(١) القرآن ١٧ / ٨٥ : "قل الروح من امر ربي" .

اجسامهم بالحديد ، وبعضا يمنعهم شهواتهم من الطعام والمشارب ، نظرا منه لهم واشفاقا عليهم . أفنقول انه يفعل ذلك بهم على سبيل العداوة والبغضة ؟ بل انما يريد بذلك صلاحهم وصحّة ابدانهم ونفي الاسقام عنهم والادواء المؤذية لهم ، ونقلهم من ذلك المكروه الذي هم فيه الى حال العافية .

فان قلت : قد كان يمكنه ان يتفضّل عليهم ويأجرهم من غير ان يعذبهم بالاسقام والاوجاع ، قلنا لك : وقد كان يمكنه ايضا الّا يخلق الدنيا ، وكان يخلق الآخرة والجنّة ويُدخل الناس النعيم من غير محنة ولا بلوى ولا استحقاق . فهذا كان ممكنا في قدرته ، لكنه خطأ في التدبير لان المتعقّب كان يتعقّب فيقول : لم يكن يمكنه ان يخلق الّا خلقا واحدا . فخلق عزّ وجلّ هذه الدنيا وجعلها فانية ، دار محنة ومتجر اوليائه ، وجعل الناس فيها مسافرين ينزلونها على ظعن ، كما ينزلون الخانات ، ليس نزول اقامة ، اذ كان انما نزلوا هذه على ظعن ، ويُنقلون منها الى دار الاقامة التي هي الغاية القصوى ، وانما يُقصد بهم اليها للقرار فيها . هذا هو الصواب في التدبير .

فخلقهم تبارك وتعالى جودا منه ، وأبلاهم بالاسقام والاوجاع خيرا لهم ، في زمان منقطع زائل وحياة مفارقة ، ليجزيهم ويأجرهم تفضّلا منه عليهم واستحقاقا من ثوابهم ، واتماما لنعمته عندهم في تلك الدار التي لا زوال لحياتهم فيها ، ولا فناء لنعيمهم ولا انقطاع لفرحهم وسرورهم .

الجهاد ليس لمصلحة الاخرين

وصاحبك هذا ، الذي ادّعيت له ما ادّعيت ودعوتنا الى اتّباعه بما دعوتنا ، انما يقتلهم بسيفه ويسلبهم ويسبيهم ، ويضربهم بسوطه ويسبي ذراريهم ، ويخرجهم عن ديارهم ، فان كان بفعله هذا يريد لهم الخير ، فقد كان لعمري نصح وتفضّل وأحسن وتشبّه بفعل الله تبارك وتعالى اسمه . ولكنه

---

٢ ونفي الاسقام عنهم = ق : وأنفاءهم من الاسقام .
٥ العافية = زيد في ق ك٢ : وطيب العيش .
١٢ ينزلون ... ظعن = ق : ينزل بنو السبيل الخانات نزول مبيت لا نزول اقامة .
١٤ يقصد ... فيها = ق : ليكون لهم فيها تقرّة الخلود .
٢٢ الخير = زيد في ق ك٢ : لينقلهم ممّا هم عليه الى ما هو خير منه .

ما فعل الذي فعله لهذا، ولا خطر بباله ولا ذكّر به ، وما اراد الاّ نفع نفسه واستمالة اهل الشرّ الراغبين في القتل والنهب والسبي والوطء لما حرّمه الله عزّ وجلّ ، وأقامة الدولة بهم . والدليل على ذلك قوله : " حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " (١) .

أفلا ترى ، ايها المميِّز ، انه لم يرد بفعله ما فعل ان ينقلهم ممّا هو عنده شرك وكفر ، الى ما زعم انه الدين القويم ، نظرا لهم ومحبة لمنفعتهم وصلاحهم ؟ ولكنه اراد قوام دولته وتمام سلطانه كما يفعل المتغلّب .

هذا ، وهو يقول في كتابه الذي زعم انه منزل :" وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين : أأسلمتم ؟ فان اسلموا فقد اهتدوا ، وان تولّوا فانما عليك البلاغ . والله بصير بالعباد " (٢) . ألا ترى كيف زعم انه أُمر ان يقول بلسانه ويبلّغ ، ونُهي عن القتل في هذا الموضع ؟ فميّز الآن هذا القول وقف على تناقضه وافهمه .

من قُتل في الجهاد ليس شهيدا

ثم اعجب من هذا تسميتك من قُتل من اصحابك شهيدا . فهلمّ ننظر في اخبار

---

١ ولكنه لـ ... نفع = ع ي : بل انما يريد نصرتهم وما ينتفع به .

٢ الدولة بهم = ى ك٢ : دولته في العاجل .

٥ المميّز = زيد في ع ك١ ي : وكيف تجوز الشهادة لك بالتمييز الصحيح ، ما لم يُكشف عقلك بتحرير نفسك لهذا الامر الذي لا يجوز على من احبّ الله، تبارك وتعالى اسمه ، واحبّ التعبّد له والقرب منه بدينه الصحيح ، الذي لا يشغله عنه شاغل يمنعه من تبحّر الاباطيل ، التي اذا جُرّد العقل لها اتّضح امرها وانكشف غلطها ، وامتنعت النفس من قبول ما كان من صاحبك ، وظهر لها المراد الذي اياه قصد .

٧ قوام ... سلطانه = ى : بلوغ اربه وانفاذ مرامه وتوطيد سلطته .

١١ في هذا ... تناقضه = ى : والسبي ؟ فأمعن ، يرحمك الله ، في هذا الامر وميّز هذا التناقض .

---

(١) ٩ / ٢٨ .

(٢) ٣ / ٢٠ .

شهداء سيّدنا المسيح الذين قُتلوا على عهد ملوك فارس وغيرهم من الملوك ، أهم كانوا مستحقّين لاسم الشهادة ، أم اصحابك الذين يُقتلون على طلب الدنيا والمحاربة على النهب ؟

فقد بلغنا كيف صبر اولئك ، وكيف كانت مسارعتهم الى بذل دمائهم ومهجهم ودماء اولادهم والخروج عن دنياهم ونعيمهم ، الذين قتلهم الروم المردة ، قبل تحولهم في دين النصرانية ، وكيف كانت نيّاتهم وصحّة ضمائرهم وشدّة يقينهم بما كانوا عليه من ديانتهم . وكانوا يسارعون الى ان يقرّبوا اجسادهم للذبح والقتل وانواع العذاب قربانا لله . فقد كان يُقتل الواحد ، ويتنصّر على المكان مائة وأكثر وأقلّ .

فقتل احد ملوك الروم المردة ، وقد لجّ في قتلهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، فقيل له : "ايها الملك ، انك انما تزيد فيهم من حيث تظنّ انك تنقّص منهم" . قال : "وكيف ذلك؟" فقيل له : "انك قتلت امس كذا وكذا من العدد ، ويضعف ذلك تنصّر" . قال : "وما السبب في هذا ؟" فقيل له : "ان القوم يقولون ان رجلا يطلع عليهم من السماء وينجّيهم" . فعند ذلك أمر ان يُرفع عنهم السيف . وكان هذا القول داعيا الى تنصّر الملك ورجوعه عمّا كان عليه من الكفر وقتل اولياء الله .

الشهيد من قُتل لدينه كالشهداء المسيحيين

فانظر الى هؤلاء الذين كانت لهم البصائر بالديانة وشدّة اليقين والاخلاص وجودة الايمان ، كيف لم يفتر ايمانهم والسيوف تأخذهم ، وكانوا يعذّبون بانواع العذاب ، وهم على كل ذلك محتسبون بما ينالهم غير ممتنعين ، فرحون مسرورون جذلون ، متيقّنون انهم انما أُوتوا ذلك فهم مقرّون بعده عند انفسهم انهم لم يؤدّوا حقّ النعمة التي أُتوها من الدخول في دين النصرانية . فبذلوا اجسادهم اختيارا كما بذلوها . فمنهم من سُلخ جلده

---

١ شهداء = ق ك٢ : اصحاب .

٣ النهب = ق : سلطانها .

٩ على = ق : من ساعته في ذلك .

١٣ ويضعف ذلك تنصّر = ق ك٢ : فتنصّر اضعاف هذا العدد .

١٩ محتسبون بما = ق : محبّون لما .

٢٠ مقرّون ... يؤدّوا = ق : مقصّرون عما في انفسهم من اداء .

وهو حيّ ، ومنهم من قُطعت اعضاؤه وهو ينظر الى ذلك ، ومنهم من أُحرق بالنار ، ومنهم من أُلقي للسباع ، وبعضهم نُشر جسده بالمنشار . وهذا دائما ثابت في من ينتحل دين النصرانية ، ليس يخلو وقت من الاوقات ممّن يبذل نفسه للموت طوعا واختيارا ، ويرغب بها عن الحياة وعن جميع ما يحويه العالم .

ونحن نعلم ، وانت وجميع من يقول بالحقّ ، انه ليس في دين من الاديان احد يأتي بمثل هذا الامر ، ويحمل نفسه عليه ، غير اهل هذه الشريعة ، اذ كان هؤلاء في العذاب الذي لا توصف شدّته ، وهم في جميع ذلك على غاية التمسّك بديانتهم وفي غاية الفرح بما ينالهم ، حتى سُئل واحد منهم وهو يعذّب عذابا شديدا ، وهو في حاله تلك يلتفت يمنة ويسرة ويضحك ، فقيل له : " ما السبب في ما كنّا نراه من ضحكك وانت في ذلك العذاب ؟ أما كنت تجد ألما؟ " فقال : " ما كنت اجد ألما في ما كنت اعذّب به ، وذلك اني كنت في التفاتي ارى رجلا شابّا بالقرب منّي يضاحكني ، ويمسح الدماء التي كانت تسيل من جراحاتي بخرق بيض كانت معه " .

فان قلت: لو أمر الله ذلك الملاك ، الموكّل بتشجيعه ومسح الدماء من جروحه ، ان يصدّ عنه من كان متولّيا تعذيبه ، ليكون سببا لتوبتهم ورجوعهم. قلنا لك: وقد نعلم ان الله جلّ ثناؤه لو شاء ان يجمع الناس كلهم على الايمان ، ويجبرهم عليه ، لكان قادرا على ذلك . غير انه طبع جوهرهم بعدله على استطاعة الحرية ، ليثيبهم او يعاقبهم على ما اكتسبوا لأنفسهم ، لا على الذي يجبرهم هو عليه . ولولا ذلك لم تجب الحجة على الممتنع من قبوله . فلذلك اظهر على ايدي هؤلاء ، في ذلك الزمان ، اياته وبراهينه ليتأملوا قبول الدين ، وأمسك عن الباقين ليظهر انهم مستطيعون ، ولو تابوا بذلك السبب لم يكن لهم في ذلك اجر ، لانهم انما تابوا قهرا وقسرا . ولكنه تركهم حتى بلغوا ارادتهم ، ولم يغفل عن معونة اوليائه ، ليظهر

---

٧ الشريعة = ي : الديانة .

٩ ينالهم = ع ق ي : ابتلوا به .

١٤ كانت معه = زيد في ق ك٢ : وكنت أرى ذلك العذاب كأنه يقع بانسان آخر من الذين يعذّبونني " . فعلمنا انه كان صادقا في قوله ، والّا فما صبره على تلك الشدّة من العذاب ؟ لاننا نعلم ان الله سبحانه وتعالى يصرف عنايته بأهل طاعته ويصبّرهم على الشدائد .

استطاعة الحرّيّة وثمرة العقل ، وليجعل فكرة الاخرين في كيفيّة قبول الاوّلين ، لانه برهان واضح وحجة لازمة ·

فقد يجب على كل ذي لبّ اليقين بانه لم ينتقل هوٴلاء المختلفون في اجناسهم واهوائهم واديانهم الى هذا الدين ، اذ خلا من الخصال كلها الداعية الى امور الدنيا ومن جميع ما يقع فيه حيل الناس ، الّا بالايات المعجبــة ·

ومع هذا ، فان قوّة تلك الايات قائمة باقية في اهل هذا الدين الى هذه الغاية ، نعاين اثارها بابصارنا ونسمعها باذاننا ونعي منها بعقولنا ، من الجرائح التي تجري على ايدي اصحابهم ورهبانهم واحبارهم ، في اهل العلل من الجنون والخبل وانواع الامراض ، في كنائسهم ودياراتهم المبنيّة على اسماء هوٴلاء الشهداء الذين هم بالحقيقة مستحقّون لاسم الشهادة · فمنها ما فيها قبورهم ، ومنها ما فيها الجزء من عظامهم ، فتكون منها هذه النعمة في كل موضع من المشرق والمغرب ، وبلاد الروم وارض الشام ، وبلاد فارس ، وارض الحبشة ، وجزائر البحر ، وامصار العراق ، وبلاد خراسان ، لا يخلو ذلك ممّن يلوذ بهم في هذا النحو وشبهه ، غير منكر لهم ذلك سوى بلد صاحبك ، فانه من ذلك خلو صفر ، لانه لم يقع اليه من هوٴلاء القوم ولا صار في ناحيته احد ممّن يعبد هذا الدين ، غير الرجلين اللذين تعرفهما : سرجيوس المسمّى نسطوريوس ويوحنّا المعروف ببحيرى (١) ·

ثم ليست هذه الفضيلة في دين من الاديان ولا يدّعيها احد من اهل المقالات خلا دين النصرانية · فان ذلك لهم وراثة ، قائمة فيهم الى هذه الغاية والى انقضاء الدنيا · فأيّ دليل أوضح وأثبت ، وأيّة حجة أضوأ وأنور وأسطع من هذا لطالب الحقّ ؟

---

٩ اهل العلل ··· والخبل = ى : دفع الجنون والتخيّل وابراء انواع ·

١١ الشهداء = زيد في ع ق ي : الذين وصفنا احوال صبرهم على العذاب ·

---

(١) بحيرى ، راهب على مذهب النسطورية · قيل انه اقام صومعته على طريق القوافل ، وكان يدعو العرب الى التوحيد · ولما رأى محمدا ، وهو بعد صبيّ ، عرف انه يكون نبيا · وكذلك الراهب نسطور ، لما رأى محمدا وهو في الخامسة والعشرين من العمر ، عرف انه يكون نبيا (السيرة النبوية ١ / ١٨٠ و ١٨٨) ·

الجنّة ليست لمن قُتل في الجهاد

فهلمّ ، اكرمك الله ، ننظر في هذا الامر نظر نصفة ويقين واستقصاء ، ونجعل بيننا نظر ناظر بعين عقله وينصح نفسه ويعدل عن الهوى.

فمن هو أحقّ ان يسمّى شهيدا ، ويُشهد له انه قُتل في سبيل الله : أمن قرّب نفسه قربانا عن ديانته ، وقد قيل له : اسجد للقمر وللشمس او غير ذلك من الذهب والفضّة والخشب ممّا صنعته الايادي ، واتّخذ ذلك ربّا من دون الله ، واترك عبادة الله وكلمته وروحه ، فأبوا ذلك وبذلوا مهجهم ودماءهم واموالهم وحياتهم واهاليهم واولادهم ولم يجيبوا الى ذلك ، أم من خرج طلبا للسلب والسرقة والغنيمة ، وسبي الذراري ونكاح الفروج ، التي هي محرّمة ، وشنّ الغارات ، وسمّى ذلك جهادا في سبيل الله ، ثم قال : " من قَتل او قُتل فهو في الجنّة " ؟

تأنصف ، ايها الحبيب ، فاننا رجلان تقدّمنا اليك فحكّمناك في الامر . فأيّ حكم كنت تحكم اذا انت آثرت الحقّ وتوخّيت العدل والنصفة ؟ فنقول : ان لمّا نقب منزل رجل ليسرقه ، فسقط عليه حائط ، او وقع في بئر ، او بادره صاحب البيت فضربه ضربة تلفت نفسه منها . أكنت توجب لهذا اللصّ ديّة ؟ ما اظنّك ، ايها القاضي ، كنت تفعل ذلك . فكيف توجب الجنّة لمن مضى الى قوم آمنين مطمئنين في مساكنهم ، لا يعرفهم ولا يعرفونه ، فسرقهم ونهبهم وقتلهم وفجر بهم ؟ ثم لا يقنعك ذلك ان فعلته ، ولم تندم عليه لتعود الى ربّك نادما على ذنبك مستغفرا تائبا عمّا كان منك ، بل تقول انه ان قَتل او قُتل فهو في الجنّة ، وتسمّيه شهيدا في سبيل الله . فان انت حكمت بهذا ، فما حكم الشيطان الذي هو عدوّ آدم ووُلده الّا دون حكمك ؟ على اني اعلم ان عقلك يمنعك من ذلك ولا يطلقه لك.

وقد علمت ، اطالك الله ، ما اشترطته لنا من الصبر على الحجة اذا وردت منك ، اذ لم تكن منّا المسألة ، وانما كان الابتداء في المبالغة منك ، فقبلنا ذلك من قولك . وعلى كل حال فلم نكتب بما كتبنا به الّا وقد قصّرنا ، لاننا لو كشفنا في هذا الفنّ من كلامنا لفعلنا كما فعل غيرنا . وكلامنا هذا انما هو جواب اقتضاه ابتداؤك . واذا عدلت في القول علمت

---

٣ أحقّ = زيد في ق : اطالك الله .

١٢ وتوخّيت = ٤ ق ١ ٢ .. : وتوضيت .

ان الامر كمثل النار التي تستكنّ في الحجر والحديد ، فكلما استقدحتها بزنادك اشتعلت اضطراما . وقولي ، اكرمك الله ، في هذا ولخبرك ممّن يقرأ في كتابنا هذا قول واحد .

التمتّع بالشهوات الدنيوية والطلاق

فاما ما دعوتني اليه وعددته من الامور الزائلة الفانية ، التي هي كأحلام النائم والبرق الخلّب الذي يضيء قليلا ويذهب وشيكا ويبقى راجيه في الظلام مقيما ، لو كانت اشياء دائمة غير زائلة ، ولذة غير ذاهبة ، ثم باقية غير فانية ومقيمة غير منقطعة ، لمّا كان يجب على في رأيي ولا في لبّ ان يرغب فيها ولا يميل اليها ، فكيف وانما هي مشاركة الخنازير والكلاب ، والتشبّه بالحمير وسائر البهائم التي انما همّتها الاكل والشرب و النوم . وانما هذه الدنيا كلها لا قدر لها و لا قيمة عند ذي عقل ، اذ قد علم ان الامر فيها أسرع وأعجل من ان يبقى على شيء ، وأوشك ان يفنى ويضمحلّ في أسرع وقت .

وانما يميل الى هذه الاوصاف من قد غلب عليه الشره في اخلاقه وطباعه . ولا اظنّك عرفتني بالراغب في مثل هذا وشبهه . فليت شعري ، كيف اردت ان تصيدني بمثل هذه المصائد الدنيئة الخبيثة التي انما يميل اليها ويغترّ بخدعها من كان طبعه مشاكلا لطبع البهائم ؟

فاما المميّزون الذين قد نظروا في الامور فانهم ابرياء من مثل ما ذكرته ، بل هم مجتهدون غاية الاجتهاد ان يدفعوا آفات ابدانهم التي لا قوام لها الاّ بها ، ولو تهيّأ لهم دفعها من الطبائع ، او كان ذلك ممكنا ، لدفعوها . فكيف تريد ان يطلبوا الخلل ويحتالوا الحيل بخلاف ذلك ؟ وما لهذا خلق الله تبارك وتعالى الخلق ، ولا لمثله يبعثهم من الموت يوم القيامة .

---

١ تستكنّ = ق : تسكن .

٢ اشتعلت = ق : استعرت .

٣ يقرأ = ق : ينظر .

١٣ الاوصاف = ق : الاوضاع .

٢٠ الخلل = ق : الملك . ا ١ : الهكم . ع ب : لهم .

وانت تزعم في كتابك انه : "ما خلقتُ الجنّ والانس الاّ ليعبدونِ" (١) . فلا أراك الاّ مناقضا لقولك لانك قلت : انما خُلقت للعبادة ، ثم تعود فتنقض وتهدم بناءك المتداعي وتقول : وتجمع من النساء اثنتين وثلاث ورباع ، ومن الاماء ما ملكت يمينك (٢) ، وتأكل وتشرب مثل البهائم التي لا حظر عليها من ناموس عقل ولا الزام سنّة كتاب .

فاما باب الطلاق والاحلال والمراجعة الذي احلّه صاحبك ، فلولا كراهيّة التطويل لَتلوتُ عليك ممّا قرّع الله به اهله على لسان ارميا نبيّه (٣) ، لكنك تعلم ما فيه من العيب والشناعة عند جميع الامم وسائر اهل الملل ، وكيف استقباحهم له وانكارهم اياه . واني لأنهي نفسي عن سفه المخاطبة فيه وترديد الذكر له ، وأرفع قدر كتابي عن ادخال شيء من ذكره ، آنفا منه وتنزيها لكتابي عنه . فهذا هو الجواب فيه (٤) .

واما قولك : فاكتب آمنا مطمئنّا غير فرق ولا خائف ، انك لا تُظلم ولا تُبخس حقّك ولا يُتعدّى عليك ، فان سيدنا المسيح قال ، حيث شجّعني في انجيله المقدّس وأعلمني ما هو عتيد ان يكون فقال : "لا تخف ممّن سلطانه على الجسد وليس له سلطان على النفس . بل ينبغي لك ان تخاف ممّن هو قادر على ان يعذّب الجسد والنفس جميعا في نار جهنّم" (٥) . فقد آمنت بقوله ان لا يكون لأحد على نفسي سلطان الاّ له الذي خلق نفسي وخلق جسدي .

وزادني في ذلك امانا ما بسط الله من عدل سيدي ، امير المؤمنين ، وانصافه ورأفته ورحمته لضعيف مثلي . فانا وجميع من كان من امثالي ، ممّن قرب من حوزته وبعد عنها ، تحت جناح رأفته في غاية الامن ، وقد شملنا عدله وعمّنا انصافه ووسعتنا رحمته . اثابه الله تعالى على ذلك

---

٢١ قرب ... الامن = ق : يقرب من جوده ويعيش في ظلّ حمايته .

---

(١) القرآن ٥١ / ٥٦ .
(٢) " ٤ / ٣ .
(٣) ارميا ٣ / ١ . التثنية ٢٤ / ١ ـ ٤ .
(٤) راجع ما قال الكندي عن هذا الموضوع في ما سبق : ص ١٤١ ـ ١٤٢ .
(٥) متّى ١٠ / ٢٨ .

وأعطاه مأموله في نفسه وولده من أمر دنياه ، وأجابنا صالح دعائنا بمنّه ورحمته .

الشرف في الآخرة بالعمل الصالح

واما قولك ، اصلحك الله ، ان هذا دينك القيّم وهذه شريعتك وسنتك ومن ينتحل نحلتك ، واني اذا نحلت فيه وشهدت مثل شهادتك كنت مثلك ، وحسبي بك شرفا في الدنيا والآخرة . فقد فهمت ذلك.

فاما دينك وشرائعه وسننه ، فقد سبق من قولنا ما فيه كفاية لمن اراد ان يمتحن ما ذكرناه .

واما الشرف في الدنيا ، فلعمري لقد ايّدك الله وشرّفك بالخلافة التي جعلها في اهل بيتك . فنسأل الله ان يديم لك ذلك ولا ينزعه عنكم .

واما شرف الآخرة ، فلا أعرفه الاّ بالعمل الصالح . وكذلك يحكى عن صاحبك انه قال : " يا بني عبد مناف ، اني لست اغني عنكم عند الله شيئا . فلا تأتوني بالانساب ويأتيني غيركم بالاعمال . ان خيركم عند الله اتقاكم " (١) . فان كان قد قال هذا ، فقد هدر شرف الآخرة الاّ بالعمل الصالح . ولم نجد اولياء الله الاّ القوم الذين لا حسب لهم ولا شرف لهم في الدنيا ، وانما شرفهم في الآخرة العمل الصالح . فانت وغيرك ، ان عملتم العمل الصالح كان لكم به الشرف والنسب .

ولسنا نحبّ ان نفتخر بما لنا من السلف والسبق في العربية ، والنسب فيها

---

١ وأعطاه ... دنياه = ك : الخلود في ملكوت السماء ومرافقة الابرار والصالحين بعد العمر الطويل في سبوغ النعم وشمول العوافي .

٨ أيّدك ... بيتك = ق : اتاك الله في هذه الدنيا الخلافة التي جعلها في اهل دينك . ع ي : ايّده الله وشرّفك بالخلافة عن صاحبك .

٩ ذلك ... عنكم = ق : النعم ويبقي عليك ذلك ولا ينزعه عنكم يا اهل البيت .

١٧ ولسنا نحبّ = ع ي : وما يجب .

---

(١) " يا بني عبد مناف ، لا اغني عنكم من الله شيئا " (البخاري الوصايا ١٦).
" ان اكرمكم عند الله اتقاكم " (القران ٤٩ / ١٣) .
عبد مناف ، جدّ عبد المطّلب جدّ النبي محمد .

وشرف الآباء ، اذ كان ذلك معروفا غير مجهول لآبائنا واجدادنا . فقد علم كل ذي لبّ كيف كانت ملوك كندة الذين هم والدونا ، وما كان لهم من الشرف على سائر العرب . لكننا نقول ما قاله رسول الحقّ بولس : " ألا من يفتخر ، فليفتخر بالله " (١) ، والعمل الصالح فانه غاية الفخر والشرف . فليس لنا اليوم فخر نفتخر به الاّ دين النصرانية الذي هو المعرفة بالله ، وبه نهتدي الى العمل الصالح ونعرف الله حقّ المعرفة ، وبه نتقرّب اليه ، وهو الباب المؤدّي الى الحياة والنجاة من نار جهنم .

الشفاعة يوم الدين للمسيح فقط

فاما قولك ان نبيك يقول يوم القيامة ، اذ كل مشغول بنفسه : " اهل بيتي ، اهل بيتي ، امّتي ، امّتي " ، وما يُجاب اليه من الشفاعة ، فنامت عينك ، يا خليلي ، وخيرا رأيت ، يا حبيبي ، ما هذه الاّ أضغاث احلام و خرافات العجائز و مواعيد ملبّسة و أمال مدلّسة .

لاننا لا نشكّ ان المسيح سيدنا ومولانا ، الذي شهد له كتابك (٢) " هو الوجيه في الدنيا والآخرة " ولا وجيه سواه ، ديّان الخلق والخلائق يوم القيامة ، لا بدّ من ان يكافئ كل واحد على عمله ، ان كان خيرا فخيرا ، وان كان شرًّا فشرًّا ، لا محاباة عنده ولا هوادة لأحد ، يحكم بالقسط ، ويقضي بالحق بين الخلائق في ذلك اليوم .

فانا لك من الناصحين . فاقبل مني ولا تمل الى هذا الطمع الكاذب الغرّار المبهرج ، وتدع ما يجب عليك من العمل الصالح ، ما دمت في هذه الدنيا مقيما . فتزوّد منها ما تنتفع به ، فلن ينفع في ذلك اليوم الاّ التقوى .

فدع عنك الميل الى احاديث الكسالى ، وعليك بالجدّ والحذر . فان الرحيل سريع والموت قريب والوقوف بين يدي المسيح الديّان صحيح ، ولا بدّ

-----

١١ ملبّسة ... مدلّسة = ع ق ي : النسيئة وأمال التدليس .

١٢ ومولانا = ق : ومعلمنا يسوع المسيح

١٤ فتزوّد = ك : فتزهّد .

٢٠ والحذر = ق ي : الجدّ .

-----

(١) ١ كورنثوس ١ / ٣١ .

(٢) القرآن ٣ / ٤٥ .

من مناقشة الحساب ، حيث لا عذر ولا حجة ولا طلب ولا توبة ، يوم لا ينطقون ولا يؤذنون فيعتذرون . فاتّق الله في نفسك يا هذا ، واعلم أن تقوى الله خير تجارة تأتيك الارباح منها بغير بضاعة .

فقد رأيت اجتهاد أولئك الرهبان كيف هو ، وكيف نصبوا اجسادهم لله عزّ وجلّ ، فلا عذر لك ولا حجة ولا علّة ، ان قبلت مني فاني لك من الناصحين

التسهيلات في الشرائع الاسلامية

فاما ما ذكرت من التسهيلات في شرائعك وسننك ، وكيف يكون هذا الذي حكيت ....

هيهات ، هيهات ، بئس ما سوّلت لك نفسك . والمسيح سيدنا يقول في انجيله المقدس ، حيث بالغ في الوصايا وأكّدها وختم : " انكم اذا فعلتم ما أوصيتكم به قولوا : اننا عبيد بطّالون ، انما عملنا ما أُمرنا به ، فلا فضل لنا " (١) .

وهو السيد الذي قال : " ما أضيق الطريق الذي يؤدّي الى الحياة وما أقلّ السالكين فيه والواردين اليه . وما أوسع الباب الذي يُدخل الى الهلاك وما أكثر الداخلين فيه والسائرين اليه " (٢) . فهذا ، اكرمك الله ، خلاف ما تدعو انت اليه ، وأشبه بأمور الديانة والآخرة من تسهيلاتك وابوابك المعجبة الواسعة .

وقولك : " حُبّب اليّ الطيب والنساء " ، " وانكحوا ما طاب لكم من النساء " ، ونظائر هذه الوصايا . وبالله المستعان على ما قد شوّقت به نفسك ، وتصوّر في فهمك من هذا الامر الذي قد توهّمتَ انك فيه على صحّة واستقامة .

ثم جئتم بشيء ، يدلّ كلّ ذي لبّ على بطلانه ، في زيادة ذكر الصلاة . فليت شعري ، كيف اضفتم الصلاة الى ذكر النساء (٣) والطيب ، وكيف

-.-

٥ وجلّ = زيد في ق ك٢ : فقد وجبت عليك الحجة بما طبع الله عزّ وجلّ في نظرك من التمييز والمعرفة .

١٨ شوّقت به نفسك = ق : انشرح له قلبك .

-.-

(١) لوقا ١٧ / ١٠ .

(٢) متى ٧ / ١٣ ـ ١٤ .

(٣) القرآن ٢ / ١٨٧ .

جاز مثل هذا عندكم حتى اضغتموه ؟ لانه بعيد ما بين هذه وتلك . فالصلاة انما تضاف الى الصدقة والصوم ، وكل هذا يشاكل بعضه بعضا . فاما النساء في الوسط ، والطيب والبنات والتمتّع بالمطاعم والمشارب وما شاكل ذلك ، فبأمر الدنيا أشبه . والسبب في هذا وغيره انه كان يورّد مثل هذا وغيره على قوم لم يكن لهم نظر في امور الله تبارك اسمه . فكان ما هم فيه من تلك الغنائم والمغازي يشغلهم عن تخيير ما يجئ من مثل هذا وغيره على عقولهم .

ويعزّ عليّ كيف جاز وخفي عنك تدليسه وبهرجته . فانا اسأل الله ان يهديك الى سبيل الرشاد . اذ كان واجب على النصارى الدعاء للناس كافة ، اذ كان لا تتمّ لهم صلاة الّا بالدعاء للناس كافة ، ان يكشف عنهم عمه الكفر حتى يرجعوا الى طاعة الله ، بحول من الله وقوّته .

الدعاء بالثالوث الاقدس

واما قولك: دع عنك ما انت عليه من الكفر والضلالة ، وقولك بالاب والابن والروح القدس ، وعبادة الصليب التي تضرّ ولا تنفع .

فاما الكفر والضلالة فقد كشفنا هذا مرّة كشفا يغني عن الاعادة ، وأتينا بالحجة الواضحة على من تقع هتان اللفظتان ومن هو المقيم على الكفر والضلال ، ولا حاجة لنا الى أكثر من ذلك .

واما التخليط فكأنك ، اصلحك الله ، كل ما لا تفهمه كان عندك تخليط ، كقول القائل : "ان الانسان عدوّ لما يجهل" . واعيذك بالله من ذلك . فليس الامر على ما توهّمت . فلا تحكم لنفسك ولا تشهد لها ما دام خصمك غائبا .

---

٩ الرشاد = زيد في ع ق ك٢ : ان يشرق عليك من نور المعرفة ما تهتدي به وتستضيء بضوئه ، حتى تخرج من ظلمة الضلالة التي انت منغمس فيها .

١٢ قولك = زيد في ق : اصلحك الله .

١٤ هذا مرّة = ق : لك امرهما .

١٥ تقع هتان اللفظتان = ك : قنع لنفسه بالبهتان .

١٨ واعيذك = ع ق ي : واعوذ .

٢٠ غائبا = زيد في ق ك٢ : لانه ليس من فعل اهل التحرّج والادب .

فان الذي وصفته بالتخليط ، واجترأت على مثل هذا القول ، هو سرّ الله الذي كانت الملائكة المقربون والانبياء المرسلون تسأل في طلبه وترغب في معرفته ، منذ خلق الله ، تبارك اسمه وتعالى ذكره ، الخلق . فلم تكن تعطى منه الاّ اليسير باللمح الخفيّ ، ولا تطّلع منه الاّ على النزر الخفيّ ، حتى جاء الابن الحبيب السيد ، نازلا من حضن ابيه ، فكشفه لأوليائه واهل طاعته ، فألهمهم معرفته ودفعه اليهم كاملا مشروحا مفسّرا مبيّنا ، فقال لهم مصرحا : « امضوا ، فادعوا الناس الى المعرفة الكاملة التي هي باسم الاب والابن والروح القدس » (١) . فتقبل ذلك الحواريون من فيه الطاهر ، فأدّوه الينا معشر المؤمنين بالمسيح ، فقبلناه نحن من الحواريين بالايات المعجبة . فنحن مقيمون عليه الى انقضاء الدنيا .

عبادة الصليب

واما قولك : عبادة الصليب التي تضرّ ولا تنفع ، لما رأيت من تعظيمنا اياه ، وتقبيلنا له وتبرّكنا به ، فنجيبك قائلين : اننا نفعل ذلك للذي مُثّل فيه من امر السيد المسيح ، وما جرى به تدبيرا لخلاصنا واستنقاذنا من الهلكة ، باحتمال الصلب والموت عنا . فان النعمة عندنا في ذلك ممّا لا يبلغ منّا وصف ولا يكفي به شكر .

فالصليب يمثّل هذه النعمة نصب اعيننا ، ويحثّنا على شكر موليها والمنعم بها ، واليه نقصد بالتعظيم والتبجيل ، لا الى الخشب وغيره الذي منه تُصنع الصلبان . ولو كنّا نعظّم الخشب كما توهّمت ، لما اتّخذنا الصليب من غيره ، وذلك اننا نتّخذه من الخشب والذهب والفضّة والحجارة والجواهر وغيرها ، ونحلّه حلّا ونرسمه بأيماننا ، وذلك دليل على اننا لا نقصد

---

١ وصفته = ق ك٢ : وسمته .

٢ تسأل ... وترغب = ق : يركضون في طلبه ويرغبون .

٤ النزر الخفيّ = ق : النذر بالرمز المستور . ك٢ : بالرموز المستورة .

١٠ الى انقضاء الدنيا = ع پ : الى الانقضاء واخر الدنيا . ق : بحفظه ونعمته الى انقضاء العالم .

١٤ الهلكة = ع ك١ پ : بحر الضلالة . ك٢ : هلكة الضلالة .

---

(١) متى ٢٨ / ١٩ ـ ٢٠ .

بالتعظيم الجواهر التي منها تُتّخذ الصلبان ، بل مَن هو ممثّل بالصليب .

وكان من السنّة تعظيم كل شيء من أمر الملك وما نُسب اليه ، وخاصّة رايته الممثّل فيها شخصه ، فان السنّة جارية فيها على وجه الدهر بان تتحف بالسجود اعظاما للملك وما مُثّل فيها من امره ، فكذلك نحن نوجب تعظيم الصليب وتكرمته واستلامه ، اذ كان ممثّلا لنا امر سيدنا المسيح ملكنا وجسيم نعمته عندنا ، لمّا صُلب دوننا .

ثم ان الناس في هذا الدهر ايضا على بقيّة من هذه السنّة ، فقد يقبّلون ايدي ملوكهم واقدامهم وكتبهم اعظاما لهم ، فيحظون بذلك عندهم ، ويرونه لهم من انفسهم برّا ورشدا . فكيف الان تنكر علينا تعظيم الصليب واستلامه ومحلّه عندنا الذي وصفناه ؟

واننا نجد في الكتب المنزلة من عند الله ان الانبياء كانوا يعظّمون التابوت الذي عمله موسى بأمر الله ، تبارك اسمه ، ويسجدون بين يديه ، وكان موسى ، اذا حُمل التابوت ، يقول : " قم يا ربّ ولينهزم شانئوك " ، واذا وُضع يقول : " عد يا ربّ الى الالوف وعشرات الالوف من بني اسرائيل " (١) . ويشوع بن نون ممّا خبّر عن بني اسرائيل انهم خرّوا سجّدا بين يدي التابوت معظّمين له عائذين به ممّا نالهم (٢) . وان داود النبي ، حين نقل التابوت الى اورشليم ، عظّمه التعظيم واتحفه بالذبائح والقرابين وشيّعه بالتسبيح والتهليل ، وافتتح ذلك بمثل مقالة موسى فقال : " ليقم الله ، وليتبدّد جميع اعدائه ويهرب شانئوه من بين يديه " (٣) . وكان فعلهم هذا بالتابوت تعظيما لله ولا للخشب وغيره . فنحن على هذه السنّة ايضا في تعظيم الصليب ، ونجري فيها على ما جرى عليه الانبياء الابرار .

فلم ، حاطك الله ، غلب عليك النسيان ، وجاءتك حميّة الاسلام وضرتك العصبيّة الهاشميّة ، وأدهشتك وازاغتك عن سبيل الحقّ والرشد ؟

---

٢٣ حاطك الله = ع : يا اخي . ق : اصلحك الله .

---

(١) عدد ١٠ / ٣٥ ـ ٣٦ .

(٢) يشوع ٧ / ٦ .

(٣) ٢ صموئيل ٦ / ١٢ ـ ٢٠ . مزمور ٦٨ / ١ .

لانك اقررت بلسانك وعبّرت عن قوّة الصليب لمّا استعنت به عند سقوطك عن الدابّة ، ولمّا هربت ممّن هربت منه ، وحيث لقيك مَن لقيك في طريقك وانت ماض الى عمر الكرخ (١) ، وحيث تلقّاك الاسد وقد قاربت ساباط المدائن (٢) . أفتراك نسيت هذا كله ؟ فان كنت نسيته ، فنحن له ذاكرون .

فليت شعري ، أيّ ضرر نالك من الصليب حتى قلت انه يضرّ ولا ينفع ؟ فما كان قولك حين تعوّذت بالصليب ؟ وانت تعلم اننا معشر النصارى لا نعبد الصليب ، وانما نعبد القوّة الحالّة في الصليب ، والأيد الذي أيّدنا به والخلاص الذي أوتيناه بسبب الصليب . وقد جرى بيننا في شأنه ما جرى من المحاجّة مرّة ، وعلمت ان الحجة كانت عليك وتبيّنت في ذلك المجلس . فكيف رجعت عمّا كان وصحّ عندك وأقررت بصوابه وذكرت انه لم يقنعك القول فيه حتى امتحنته فوجدته صحيحا ؟ وانا ارجو الاّ يكون قولك هذا في الصليب صحيحا ولا اعتقادا ولا جاحدا للفضيلة التي وجدتها فيه .

دعاء المسلمين : أهدنا الصراط المستقيم

واما قولك : انك اشفقت عليّ من النار ورضيت لي ما رضيته لنفسك ،

---

١ لانك ... بلسانك = ى ك٢ : وحادت بك الى خلاف ذلك السبب الذي انت اقررت به بفيك ولفظ به لسانك.

٢ قاربت ساباط = ع ب : تلقّاك بنشاط .

٥ ذاكرون = زيد في ى ك٢ : فلم ، اصلحك الله ، تكفر بالنعمة وتكافئ بالشرّ وتقلّ من الذكر وتنكر المعروف ؟ ليس هذا مذهب من هو مثلك من اهل التحرّج والتمسّك بالصدق .

٩ وقد جرى ... وتبيّنت = ى ك٢ : ألم يجر بيننا من الكلام والمحاجّة بحضرة من جرى ما قد اقنعك ؟ وتعلم كيف كان الحكم عليك.

١٢ جاحدا = ى : ابطالا .

---

(١) الكرخ ، موضع غربيّ بغداد .

(٢) المدائن . اسم اطلق على مجموعة مدن جنوبي بغداد ، على نهر الدجلة ، يقصد به مدينتي سلوقية وقطيسفون التي احتلّها العرب ، بعد

فهذا القول يجب شكرك على ظاهره ، واذا عكستُ قولي لك فيه وجب شكري عليك في باطنه . فميّز ، اعزّك الله ، في هذا الموضع وانهمه ، فانه أصلح في البدء والعاقبة .

وكيف اقول ، وانت في خمس صلواتك تفتتح بدعائك طالبا ومبتهلا ان يهديك ، اذ كنت غير مهتد ، الى الصراط المستقيم الذي هو صراط الذين أُنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .(١) .

فان كنت ، يرحمك الله ، مهتديا فقد استغنيت عن المسألة والتضرّع في كل وقت وعند كل فاتحة صلواتك ان يهديك ، اذ لا معنى لطلبك الهداية وانت مستغن عنها . وان كنت لم تهتد بعد فانت طالب الهداية .

فأعلمني يا هذا ، اكرمك الله ، من هم هؤلاء الذين أُنعم عليهم ؟ اذ انت تسأل ربّك ، تبارك اسمه ، ليلا ونهارا ان يهديك الى صراطهم ويلحقك بهم ، وانت تدّعي انكم خير امّة اخرجت للناس ، وان الدين عند الله دينك ، وانه لن يقبل غيره من الاديان (٢) .

أهم المجوس الانجاس ؟ عبدة الشمس والنار ، ذوو الشرائع القذرة النجسة ، التي تبيح نكاح الامهات والاخوات والبنات وما اشبه هذا من السنن الدنسة التي تأنفها النفوس وتستدنسها العقول وتنفر منها الطبائع . وانت تعلم ، وكل ذي علم ، انه لم ينعم عليهم بالمعرفة ، اذ هم لا يوحّدون الله بل يشركون معه شركاء ، احدهم ابليس اللعين . فليس هم اذا المنعم عليهم .

هل هم اليهود ؟ الذين تبرأ منهم صاحبك وكتابك ، المغضوب عليهم ، المرذولون المبدّدون في الشعوب والامم ، الملقى عليهم الذلّة والمسكنة ، الممسوخ منهم القرود والخنازير ، الملعونون على لسان كل نبيّ ورسول . فليس اليهود اذا المنعم عليهم ، الذين تسأل صراطهم ، وما صراطهم بمستقيم .

---

٣ والعاقبة = زيد في ق ك٢ : ممّا شرحتّه من الكلام الذي لا نفع فيه ولا خير .
١٢ دينك = ع ق ي : الدين الذي رضيته لنفسك .

معركة القادسيّة التي قضت على الامبراطورية الفارسية (٦٣٥) .
(١) القرآن ١ / ٥ ـ ٧ .
(٢) " ٣ / ٨٥ و ١١٠ .

فان قلت : عبّاد الاوثان ، اللات والعزّى ويغوث ويعوق ، وكثرى وشمس وجهار وذريخ ، وهبل ونسر وسواع وودّ ، والمحرّق ومرحّب والمنطلق ، وأساف ونائلة وذي الكفّين ، ومناة وسعد وذي الخلصة ، وسائر الاصنام التى كانت العرب تعبدها بمكّة وتهامة (١) ، فهذا كتابك ينقض كلامك ويدحض حجتك ويجيبك من قرب حيث يقول : " ووجدك ضالاً فهدى " (٢) . فالضالون اذا هم عبّاد الاصنام ، لانه قال : " ووجدك ضالا فهدى " . لان صاحبك لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا مجوسيا ، وانما كان حنيفا يعبد أساف ونائلة الصنمين اللذين كانت قريش تعبدهما والاحابيش . فلمّا منّ الله عليه بمعرفة التوحيد ، بالسبب الذي ذكرناه سالفا ، سأل ربّه ان يعيذه من صراط الضالين الذين هم عبدة الاصنام .

فان ادّعيت وقلت ان صراط الدهريّة والحرنانيّة والسبائيّة والبرهميّة (٣) ، وغيرهم ممّن اشبههم في المقالة واعتقاد الزنادقة ، هو الصراط المستقيم وهم المنعم عليهم ، قلنا لك : هذه مقالات انت تعلم ، وكل ذي عقل ، ان صاحبك لم يسمع بها قط ولا عرفها ولا حضر المجالس التي تجادلوا

---

٤ كلامك = ع ق ي : عليك قولك .
١١ والحرنانية والسبائية = ع : والجرمانية والسمائية . ق : والجرمانية والسماتية . ك : والحرمانية والسماتية .

---

(١) اصنام العرب . السيرة النبوية ١ / ٧٢ ـ ٨٨ .
(٢) القران ٩٣ / ٧ .
(٣) الدهرية . مذهب الكفرة الملحدين القائلين ان العالم موجود ازلا وابدا ولا صانع له .
ـ الحرنانية . جماعة من الصابئة (شهرستاني : الملل والنحل ٢ / ٥٤) .
والصابئة او الصابئون ورد ذكرهم في القران ٢ / ٦٢ و ٥ / ٧٢ و ٢٢ / ١٧ .
ـ السبائية . من غلاة الشيعة . اصحاب عبد الله بن سبأ ، الذي اعتقد بألوهية عليّ بن ابي طالب ، وزعم ان عليّا لم يمت وهو الذي يجيء في السحاب (شهرستاني ١ / ١٥٥) .
ـ البرهمية . ديانة الهنود . والاله براهما هو الاله الاعلى في معتقدهم ، ويشترك معه الاله فيشنا والاله سيفا في تأليف ثالوث الهي .

فيها عنها . فتعوّذ منها ومن صراطها .

صراط الانجيل

فاذ قد تعوّذ من صراط المجوس وصراط اليهود ، ولم يحضر عند الدهرية ، وتعوّذ من صراط عبدة الاصنام ، فقد بقي صراط النصارى المستقيم الذي هو في ايديهم ، نور الانجيل وهدايته ، المنعم عليهم بالمعرفة الكاملة بالله عزّ وجلّ وكلمته وروحه ، وبالسنن الحسنة المقبولة والشرائع الروحانية .

وما قلت لك شيئا لا تفهمه ، وانما ذكّرتك ما تعلمه . ولا يقدر احد ان يجحد حقّنا الذي في ايدينا ولنا من النعمة التي أُوتيناها ، وهو نور الانجيل وهدايته الذي أقرّ لنا به صاحبك (١) ولم ينكره ، وجميع الامم والاديان مقرّون مذعنون لنا به ولا يتهيّأ لهم دفعه ولا يمكنهم ابطاله .

فأنعم ، حاطك الله ، النظر في هذا الفصل من كتابنا ، وردّد فكرك فيه ، وافعل فعل من يريد نصح نفسه لا فعل من يريد غشّها . فان النصيحة واجبة ان تبذل للناس جميعا ، وخاصّة على المرء لنفسه . والحقّ حقّ ، ولا ينبغي ان يبخس الحق حقّه .

ارشدك الله الى الخير وهداك الى الصراط المستقيم ، بحوله وقوّته .

---

٢ اليهود = زيد في ق : المغضوب عليهم .

٣ النصارى ... وهدايته = ى ك٢ : المنعم عليهم الذين هم النصارى ، وهو الصراط المستقيم وهداية رب العالمين .

٩ صاحبك = زيد في ق : في كتابه .

١١ حاطك الله = ع : يا هذا . ق : يرحمك الله .

الفصل الخامس

شرح الايمان المسيحي

واما قولك ان اكتب بما عندي من امر ديني والذي يصحّ في يدي منه ، لتتبصّر فيه وتذعن للحقّ وتجمعه الى ما في يدك ، فما أولاك بذلك وأحقّك بفعله ، لان الحجة عليك أوجب منها على غيرك لِما قد عرفته ودرسته من الكتب واختبرته من المقالات . ومَن أحقّ في طلب الحقّ مثلك من اهل العقل والمعرفة ؟ لان العقل ميزان الله تبارك وتعالى ودستوره .

فنحن نبدأ بعون الله ونستجيره ، ونسأله ان يقبل بقلبك وينير عقلك ويفتح عين نفسك لتنظر في ما يمليه علينا الروح القدس نظرا ينفعك الله به . وكذلك يفعل الله الكريم بكل من ينظر في كتابنا هذا .

تجلّي الله بكلمته

فلنبدأ الان بتطهير قلوبنا وأسماعنا وتقديس السنتنا بالأخبار عن اسباب البشارة الطاهرة المقدسة ، ونصدّر بعض شهادات الانبياء الذين استودعهم الله سرّه ، وكلّمهم بوحيه ، وأمرهم ان يخبروا الناس بما هو مزمع عليه في سابق علمه من اكمال نعمته عندهم ، ببعث ابنه الحبيب الذي هو كلمته الخالقة ، ليتّخذ منهم جسدا بشريّاً ويصير انسانا ، فيجب له بذلك السجود والطاعة من الملائكة والانس والشياطين ، والاذعان بالربوبية المتّحدة به والالوهية الحالّة فيه .

وليعلّم الناس ، بمخاطبته اياهم شفاهيا مصرّحا : ان الله الواحد ، المثلّث الاقانيم ، اب وابن وروح قدس ، اله واحد تامّ ، فيستكملوا النعمة والمعرفة ، فيكون جلّ وعزّ قد أتمّ جوده عليهم واحسانه اليهم ،

-:-

١ منه = زيد في ق : آمنا مطمئنّا .

٢ لِما = زيد في ق ك٢ : فضّلك الله به من العقل والتمييز ولِما .

٤ ومن أحقّ ... لان العقل = ق ك٢ : والحقّ اهمّ ان تفضّله ذوو العقول على الامور كلها لجلالة مرتبته لانه ...

٨ وكذلك ... الكريم = ق : في العاجل والآجل ، كما نسأله عزّ وجلّ ان يفعل ذلك . هذا = زيد في ق : بمنّه وكرمه . ك٢ : بجوده وكرمه امين .

١٠ بعض = ع ك١ ي : قصص .

١٢ ببعث = ع ك ي : بتوجيه .

١٣ انسانا = ع ك ي : شيئا واحدا .

١٦ شفاهيا مصرحا = ع ك١ ي : بذلك الجسد الذي لبسه .

بتعريفهم سرّه المخزون ، وتكون حجته البالغة عليهم وتنقطع حجّة المتعنّت ويضمحلّ قول القائل انه لم يؤتَ المعرفة ، وان الامر كان محجوبا دونه مرموزا لا يفهمه . فحينئذ لا عذر لمن جحد الحق ولا علّة لمن عانده ، كما قال بولس رسول المسيح : "ليسدّ كل فم ويتحجب العالم كله" (١) .

النبوّات عن مجيء المسيح

نبوّة اسرائيل

وقال الله تبارك وتعالى على لسان موسى النبي في التوراة ، في السفر الأوّل الذي هو سفر الخليقة ، ان يعقوب المعروف بأسرائيل الله ، لمّا قربت وفاته دعا بنيه ، فباركهم وأخبرهم بما هو مزمع ان يكون في آخر الزمان ، وأودعهم هذا السرّ . ولم يزل يبارك واحدا فواحدا حتى انتهى الى يهوذا ، الذي من نسله وُلدت السيدة المغبوطة مريم والدة الهنا وسيدنا المسيح مخلص كل من آمن به ، فقال : "هكذا نبوّة الله : لك يا يهوذا تخضع اخوتك ، ويدك على اكتاف اعدائك . يسجد لك وُلد ابيك . شبل الاسد يهوذا ، لانك من القتل يا بنيّ صعدت . لا يفنى منك الملك حتى يأتي الذي له الملك واياه تنتظر الشعوب" (٢) .

فانظر ، اعزّك الله ، في هذا الكلام نظرا روحانيا مستقصيا بعين العدل وتفهّمه ، فانه رمز لمن لم يفهمه ، وبالتصريح لمن فهمه . هل كانت

---

٣ محجوبا دونه = ق ك٢ : مستورا عنه .
٨ بنيه = ق ك٢ : اولاده كلهم .
١٠ والدة = ق ك٢ : امّ .
١١ كل ... به = ق ك ٢ : العالم .
١٢ اكتاف = ع : رقاب .
١٥ العدل = زيد في ق ك٢ : والانصاف .
١٦ فانه رمز ... فهمه = ق : فان من لم يفهمه لم ينتفع منه .

---

(١) رومية ٣ / ١٩ .
(٢) تكوين ٤٩ / ٨ ـ ١٠ .

هذه النبوة من الله على لسان عبده اسرائيل ، كليمه وصفيّه ، الاّ على المسيح سيدنا ؟

لانه هو الخارج من يهوذا بانسانيته ، وله خضع بنو اسرائيل لمّا دخلوا في دعوته ، وصارت يد الروم ، التي هي يده ، على اكتاف مَن عاداه مِن بني اسرائيل وجحدوا ربوبيته وكفروا به ، فقتلهم الروم ومزّقتهم كل ممزق ، فلا تقوم لهم قائمة ابدا ، ولا يزالون اذلاّء الى انقضاء الدنيا . وهو الذي بُعث من بين الاموات حيّاً ، بعد ثلاثة ايام من صلبه . وهو الذي سجد له بنو اسرائيل حيث رأوا الاعاجيب والايات التي صنعها واظهرها بين ايديهم . وهو شبل الليث لانه ابن الله القويّ العزيز الجبّار .

ولم تزل النبوة تترادف في بني اسرائيل حتى جاء المسيح رجاء البشر ، الذي أنبأت عنه النبوات كلها ، التي كانت تهتف بالدلالة على مجيئه وتشهد لظهوره وتبشّر بطلوعه . فلما جاء المسيح انقلعت النبوات كلها عن يهوذا وبني اسرائيل ، فلم يقم ولا يقوم نبي بعد مجيء الذي كانت له تنتظر الشعوب وتترجّاه الامم . وكما انه لا معنى لمجيء الرسل بعد طلوع الملك عليهم ، كذلك لا معنى للانبياء بعد ظهور الاله المسيح الذي هو بالحقيقة ملك ، كما سبقت الانبياء وسمّته ملكا .

نبوّة زكريّا

وتنبّأ زكريا النبي ، هاتفا بصوته عن الروح القدس ، على كلمة الله تبارك وتعالى : « افرحي جداً يا بنت صهيون ، واهتفي يا بنت اورشليم ، هوذا الملك يأتيك بارا و مخلّصا و متواضعا ، راكبا حمارا وعلى جحش ابن أتان . فتهلك بمجيئه المراكب من افرايم والخيل من اورشليم ، ويكسر قوس الشعوب ، ويتكلّم بالسلام والامان » (١) .

فهل ، افهمك الله ، كملت هذه النبوة الاّ على سيدنا المسيح ؟ انه جاء

---

٢ سيدنا = زيد في ق ك : مخلص العالم .
٢٠ فتهلك = ق : فتهلّل .
٢٢ كملت = ق : تصدق .

---

(١) زكريا ٩ / ٩ ـ ١٠ .

بالبرّ والخلاص والتواضع ، وبمجيئه اباد من بيت المقدس جميع ما كان فيها من المراكب والخيل المعدّة للحرب والقتال ، وبمجيئه انكسر القوس المعدّ للقتال والدالّ عليه ، وهو راكب الحمار الجحش ابن الاتان متواضعا . وكلّم الامم الذين هم الشعوب بالسلم والامان ، وأدخلهم في ميراث دعوته وجعلهم ابناء ملكوت السماء الذي هو موعد الله تبارك اسمه .

نبــوّة داود

وهوذا داود النبي ، وهو لسان الله ، يقول مصرّحا : " ان الله قال لي - يعني المسيح - انت ابني . انا اليوم ولدتك . سلني فأعطيك الشعوب ميراثا لك - اي مزمعون ان يدخلوا في دعوتك - وسلطانك في أقطار الارض " . وقال : " ايها الملوك افهموا ، ويا حكّام الارض اعلموا . اعبدوا الرب بخشية ، وسبّحوه برعدة ، واقبلوا الابن لئلاّ يغضب فتهلكوا بسخطه " . يعني قوله هذا : اقبلوا ما يأتيكم به الابن وهو المسيح ويقوله لكم بشفتيه ولسانه ، فانكم ان لم تقبلوا ذلك غضب فيهلككم بغضبه . لانه بعد قليل يشتدّ غضبه على اليهود الجاحدين لربوبيته . " وطوبى للمتوكّلين عليه " ، اي المؤمنين به والمصدّقين لقوله (١) .

وتنبأ ايضا فقال : " قال الرب لربي : اجلس عن يميني حتى أضع اعداءك تحت قدميك ، لان الرب يبعث عصا العزّ من صهيون ، وتتسلّط على اعدائك " (٢) .

فافهم قول النبي داود هذا ، فان فيه سرّاً يحتاج الى معرفته كل من ينظر في كتابنا هذا ليتّضح له الامر ويصحّ اذا أضيء له .

انه من عادة العبرانيين ، منذ عهد موسى نجيّ الله ، ان الاحرف التي

---

١ المقدس = زيد في ع ق ك٢ ي : واورشليم التي هي صهيون .
٢ انكسر ... المعدّ = ق : انكسرت القسي التي هي الات .
١١ يأتيكم = ع ك١ ي : يحكم .
٢٠ ليتّضح ... أضيء له = ق ك٢ : ليصحّ عنده الامر .

---

(١) مزمور ٢ / ٧ - ١٢ .
(٢) " ١١٠ / ١ - ٢ .

يكتب بها اسم الله تبارك وتعالى احرف منفردة لا يكتبون بها شيئا غير ذلك . وهكذا كانت هذه الاحرف في اللوحين اللذين دفعهما الله ، تبارك اسمه ، الى موسى نبيه .

ففي قول داود النبي عن الله عزّ وجلّ : " قال الرب لربي " ، هما اسمان مكتوبان بالاحرف التي تسمى المنفردة ، التي لا يكتب بها الّا اسم الله تبارك وتعالى . فهذا عند اليهود والنصارى ، وهما امّتان متعاديتان لا اختلاف بينهما فيه ولا شكّ ، عن غير تواطوء .

فافهم هذا السرّ الذي أودعه الله تبارك وتعالى الى نبيه ، فانك اذا أوقفت الذكر فيه وجدته تصريحا لقوله : " قال الرب لربي " .

وقال ايضا في موضع اخر : " الرب اطّلع من علوّ قدسه . الرب من السماء ظهر على الارض ليسمع انين الاسير وليفكّ البنين من الموت " . ومعناه موت الخطيئة الذي هو عبادة الاصنام وانقطاع الرجاء من موعد الحياة الدائمة التي بشّرنا بها سيدنا المسيح انه يعطينا اياها يوم القيامة . " ليتدارسوا في صهيون اسم الرب " – اسم الاب والابن والروح القدس الذي هو اسم الرب العزيز على الحقيقة والكمال – " ويحمدوه في اورشليم عندما تجتمع الامم معا والممالك لعبادة الرب " (١) .

فقد كملت نبوّة داود ، وهذه اورشليم التي هي بيت المقدس تجتمع فيها الامم ليتدارسوا اسم الاب والابن والروح القدس الذي هو الاسم المخزون ، ويمجّدوا اسم المسيح سيدنا بأنواع التماجيد واصناف التسابيح ، بالالسن المختلفة واللغات الغريبة ، في أناء الليل والنهار ، لا يملّون ولا يفترون ولا ينقصون ما يجب عليهم من حق عبادته ، يقصدهم اياها من البلاد النائية البعيدة وجميع اقطار الارض .

فمن عاند هذا يا خليلي ، فما هو عند اهل الحق الّا جاهل وجاحد كافر ، قد اعماه الجهل وطمس على قلبه الحسد .

نبوّة اشعياء

وهذا اشعياء المغبوط يتنبّأ ويصرخ بأعلى صوته ويقول : " قال الله تبارك وتعالى : تقوّي ايتها الايادي الضعيفة ، وايتها الركب المرتعشة تثبّتي .

(١) مزمور ١٠٢ / ١٩ – ٢٢ .

وقل لضعفاء القلب تقوّوا ولا تخافوا ، فان الهكم يجيء ، اله مخلّص فيخلصكم . هنالك تتفتح اعين العميان ، واذان الصمّ تسمع ، ويقفز الاعرج في ذلك الوقت كقفز الايل ، وينطق لسان الاخرس (١) .

وقد علمتَ ، ارشدك الله الى صدق الحق ، ان كتابك يشهد بان المسيح ، الاله المخلّص ، قد فعل هذا كله . فانه أبرأ الاعرج المقعد الذي كانت قد أتت عليه في زمانته ثمان وثلاثون سنة ، فقال له : " قم واحمل سريرك وامض الى منزلك " . فقام عاجلا وحمل سريره على عاتقه ومضى الى منزله عاجلا مسرعا (٢) .

وهو الذي أبرأ ذلك الابرص ، والاخرس الابكم المعتوه المشروح خبره المبيّنة قصته في الانجيل الصادق ، وما جرى من قول اليهود الكفرة البهت عندما عاينوا ابراءه وخروجه سليما من جميع العاهات التي كانت به ، ومن تقريع سيدنا المسيح اياهم ودحضه حجتهم (٣) .

وقال اشعياء النبي في موضع آخر ، مصرّحا في ذكر ميلاد المسيح : " اسمعوا يا آل داود : ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمّانوئيل " ، وتفسيره " الهنا معنا "(٤). فأيّ شيء يكون أكثر توضيحا من هذا ؟

فهذه بعض النبوات التي تنبأت بها الانبياء على مجيء السيد المسيح ، محيي العالم . وقد اردنا ان نزيد من الشهادات ، الّا اننا كرهنا ان تطوّل كتابنا فيمل القارئ . وفي ما اتيناه كفاية لمن لم يعاند الحق ويظلم نفسه .

لا تحريف في الكتاب

وكأني بك قد ذكرت التحريف في هذا الموضع ، اننا حرّفنا الكلام عن

---

١٧ مصرّحا ... ميلاد = ق : مخبرا الى مولد .

٢٠ الموضع = زيد في ق ك ٢ : واحتججت علينا .

---

(١) اشعياء ٣٥ / ٣ ـ ٦ .

(٢) يوحنا ٥ / ٥ ـ ٨ .

(٣) متى ١٢ / ٢٢ ـ ٣٢ .

(٤) اشعياء ٧ / ١٣ ـ ١٤ .

مواضعه وبدّلنا الكتاب وغيّرناه ، ولجأت الى هذا القول وجعلته كهفا تستتر به . واني لأخبرك خبرا حقا ، فاسمعه واقبله . فان قولي ليس قول باغ ولا حاسد ولا متعنت ، وانما هو نظر مني لك ، اذ كان ديني يوجب عليّ نصيحة كل احد . فانا بذلك مشفق عليك من كثرة الجهل وصرعته ، لان مصرع الجهل وخيم جداً .

وما أعلم اني سمعت قط حجة أشدّ انقطاعا ولا أوحش انقطاعا من حجتك ، في باب التحريف والتبديل . واني لأعجب منك ومن نظرائك ، ممّن فتّش مقالات الحق وكان له ذهن صحيح يميّز به ، كيف يجوز مثل هذا عليه .

وانت تعلم اننا واليهود ، الاعداء الكافرين الجاحدين لما جاء به نور العالم وضياء الدنيا ، المسيح سيدنا ومخلصنا ، قد اجتمعنا ، عن غير تواطوء ، على صحّة الكتاب وانه منزل من عند الله ، لا تحريف فيه ولا تبديل ولم تلحقه زيادة ولا نقصان .

والاّ فنحن ندعوك الى واحدة ، وهي نصفة لنا ولك ، آتنا ، انت المدّعي علينا التحريف والتبديل ان كنت صادقا ، بكتاب غير محرّف ولا مبدّل ، تشهد لك على صحّته الايات المعجبة كما شهدت الاعاجيب للأنبياء والحواريين حيث جاؤونا بصحّة هذا الكتاب وقبلنا ذلك منهم . فهو في ايدينا وايدي اليهود بلا زيادة ولا نقصان . واني لأعلم انك لن تقدر على ذلك ابدا حتى نأخذه منك ايضا .

القران يشهد بصحّة الكتاب

كيف ، وكتابك يشهد بصحة ما في ايدينا شهادة قاطعة اذ يقول : " فان كنت في شكّ ممّا انزلنا اليك ، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك . لقد جاءك الحق من ربّك ، فلا تكوننّ من الممترين " (١) .

ثم فسّر هذا القول وأكّده معترفا لنا بالفضيلة التي اوتيناها : " الذين أتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته . اولئك يؤمنون به . ومن يكفر به

١/ . . .

---

٣ نظر مني لك = ق : نذر مني لك ونصح .

٦ حجتك = ع ق ي : حجتكم .

فأولئك هم الخاسرون » (١) .

فافهم كيف قال وشهد لنا كتابك بحق التلاوة في موضع تكون فيه تلاوتنا، وقد أمر ان يسألنا ويقبل منّا كل ما نقوله . فكيف تدّعي وتقول انه وقع منا التحريف والتبديل للكلام عن مواضعه ؟ فهل هذان الاّ حكمان متناقضان يتبيّن لكل احد السبب فيهما ، اذ كنت تشهد لنا بحق التلاوة ثم تعود فتزيّف شهادتك وتكذّب نفسك وتقول بالتحريف والتبديل ؟ فهذا غاية المحال والشناعة .

فاذا كنت لا تقدر انت ولا غيرك ان تأتي بمثل الشريطة التي اشترطناها ، وهو ممتنع من امكانك ، فما لك والمباهتة التي ليست من عادتك ولا من اخلاقك ، وما لك والادعاء علينا بالكذب المبين الذي ليس هو من مذهبك؟ فتقول وتدّعي علينا التحريف والتبديل لما انزله الله ، ونحن نتلوه حق تلاوته كما شهد كتابك عن صاحبك وأقرّ به . والاّ فأنصف عقلك ، واطلب رضى الله كما يجب على ذوي العقول ، وانظر من هو المحرّف والمبدّل .

على من تصحّ تهمة التحريف ؟

ـ أنحن الذين اخذنا الكتاب عن قوم جاءونا به على صحته بالايات والعجائب الالهية الخارجة عن امكان طبائع الادميين ، واتفقت عليه الامم المختلفة الالسن والاهواء والديانات والبلدان البعيدة ، الذين لا يمكن ان يقع بينهم في مثله التواطوء بحيلة من الحيل ؟

ـ أم الذي قبل كتابا بلا حجة ولا دليل ولا شهادة عن نبي ، ولا ذكر اعجوبة تشهد له ، وانما قبله عن ناقل مثله بلسانه ولسان اهل بلده فقط ؟ فجعل ذلك برهانا له ، وزعم ان الكتاب الذي هذه حاله وقصته يجري مجرى فلق البحر واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص واقامة المقعد . واخذ هذا الكتاب عن قوم كانت بينهم الاحن والضغائن ،

---

٢ فافهم = زيد في ق : يرحمك الله .

٢٠ قبله = ق : تناوله .

---

(١) القرآن ٢ / ١٢١ .

فكل زاد فيه ونقّص واجترأ على ان نسبه الى الله تبارك وتعالى ، وزعم انه دليل على نبوة نبيّه وانه شاهد عدل له بانه رسول ربّ العزّة .

ثم لم يرض بهذا حتى تخطّى فقال : " من لم يقبل كتابي ويقول انه منزل من عند الله ، وانه من نبي مرسل ، قتلته وسلبت ماله وسبيت ذراريه واستبحت حريمه " . فقُبل ذلك منه كرها وخوفا لما توعّد به من البلاء والشقاء بلا حجة ولا برهان .

فاجعل ، اصلحك الله ، عقلك الناظر والعالم في هذا والمميّز له . ثم انظر في ذلك والى ما يؤدّيك فالزمه واعتقده . فاني واثق بعقلك انه يخلص لك ولا يخدعك . لان الله تبارك اسمه انما جعل العقل ميزان العدل . فاستعمل الذي فضّلك الله به ، فانك لن تخيب ان تدرك الحقائق . امين .

النبوّات تمّت بمجيء المسيح

فلنرجع الان الى ما كنّا فيه من ذكر اسباب البشارة الطاهرة ، فنقول انه قد صحّ عند ذوي العقول الاصيلة والمعرفة والبحث ، وتقرّر عندهم بقياسات العقل والاجتماع عن غير تواطوء ان النبوات التي اودعتها الانبياء كتبهم عن الله جلّ وعزّ قد تمّت وكملت عند مجيء المسيح المرتجى . فلننظر الان في الايات التي جاء بها المسيح سيدنا ودلّنا بها على سلطان الوهيته وقدرة ربوبيته .

اختار الله العذراء مريم

ان اوّل ذلك ومبتدأه ، ان الله الرحيم المتفضّل على خلقه اختار من جنس ادم ، الذي خلقه بيده واكرمه بصورته وشرّفه بشبهه على الخلائق كلها ، جارية عذراء ، زكيّة مطهّرة ، مقدّسة نقيّة ، لا عيب فيها ولا في نفسها ولا في بدنها ، فانتخبها ليُحلّ فيها كلمته وروحه ويأخذ منها جسدا بشريا تامّا ، فيتجسّد به ويخاطبنا .

-:-

١ ونقّص = زيد في ق : وبدّل وغيّر . ك ٢ : وحرّف وبدّل .

٣ حتى تخطّى = ق : بل تعدّاه .

١٠ لن تخيب ... امين = ق : ان بحثت تدرك الحقائق بحول الله تعالى .

١٥ فلننظر = ك : فلنخبر . ع ب : فنحن .

٢١ فيتجسّد = ق ك ٢ : فيتّحد .

وجعل المبشّر لها جبرائيل رئيس الملائكة ، وأحلّه في أشرف المنازل ، وجعله رسولا الى خيرة ذرّيّة ولد ادم أجمع وسيّدة العالمين ، مريم المغبوطة ابنة يواكيم ، والدة الإله المخلص يسوع المسيح (١) .

البشارة في الانجيل

فجاءها مبشّرا من عند الله ، مكرّما ومهنّئا ، فخاطبها قائلا : " السلام عليك يا ممتلئة نعمة . سيدنا معك " .

فلم يقل " سيدي " ، بل جمع اجناد الملائكة كلها بقوله " سيدنا " . فمَن الان سيّد الملائكة الّا سيّد الناس جميعا ؟ ومَن سيّد الناس الّا سيّد جميع الخلائق ؟ ومَن سيّد جميع الخلائق الّا كلمة الله الازلي التي خلقت السموات والارض كما قال داود النبي ؟ (٢) .

فافهم ، حاطك الله ، هذا السرّ المخزون في كتب ديوان الله المنزلة ، ودع عنك عمى الجهل والعصبيّة . انار الله عقلك وخلّصك من ظلمة ضلال الهوى .

ثم قال لها جبرائيل في اثر ذلك القول : " انك تحبلين وتلدين ابنا وتدعين اسمه يسوع " – الذي تفسيره المخلّص – " هذا يكون عظيما وابن العليّ يُدعى ، ويعطيه الرب الإله كرسيّ داود ابيه " – اراد بقوله " يعطيه "

---

١ الملائكة = زيد في ق ك٢ : وأتمنه على هذه البشارة وفضّله على سائر اجناد السماء .
وجعله = ق ك٢ : ببعثه اياه .

٢ والدة = زيد في ق : ربنا .

٤ فخاطبها قائلا = ع ب : هكذا مبتدئا . ك : هكذا مكتوبا .

٥ سيدنا معك = ب ك١ : ربنا معك . ع ب : الرب معك ابنها المباركة في النساء . فانظر كيف قال جبرائيل الملاك : الرب معك .

٧ فمَن ... الازلي = ق : فمَن سيد الناس والملائكة جميعا الّا كلمة الله الازلية . سيّد = ع ب : ربّ .

١١ ظلمة ... الهوى = ق : ظلمات الضلال . ع ب : ظلمة ضلالك .

---

(١) لوقا ١ / ٢٦ – ٢٨ .

(٢) مزمور ٣٣ / ٦ .

اي الكلمة الذي هو الرب الاله بالناسوت الذي اتّخذه الله الكلمة من مريم الطاهرة المنتمية الى داود – " ويكون ملكه على آل يعقوب الى الابد ، ولا يكون لملكه فناء " .

فلما خاطبها جبرائيل الملاك بهذا ، تعجّبت من قوله ، فردّت عليه قائلة : " اني بكر . كيف يكون لي هذا ، ولم يمسّني رجل ؟ "

فردّ عليها جبرائيل مخاطبا : " روح القدس يأتيك ، وقوّة العليّ تحلّ عليك ، ولذلك يكون الذي يولد منك قدّوسا وابن العليّ يدعى " . ثم أعقب قوله ذلك بأعطائها الدليل لتزداد يقينا ، ولا ترتاب بقوله ولا يكون للشكّ عندها موضع ، بقوله ثانية : " وهوذا اليمابات نسيبتك حبلى بابن على كبر سنّها . وهذا هو الشهر السادس لتلك التي تدعى عاقرا . لان ليس عند الله أمر عسير " .

فهذه اعجوبة البشارة التي لم تكن ولا تكون ولا يليق مثلها الاّ للسيد المسيح المخلّص.

شهادة القران لميلاد المسيح

فلنمغ الان لشهادة المخالف الذي يؤكّد الحجة عليه ، اذ يقول صاحبك مقرّا : " وأذ قالت الملائكة : يا مريم ، ان الله اصطفاك ، وطهّرك ، واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم ، اقنتي لربك ، واسجدي واركعي مع الراكعين . يا مريم ، ان الله يبشّرك بكلمة منه ، اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقرّبين . ويكلّم الناس في المهد وكهلا ، ومن الصالحين " .

قالت : " ربي ، انّى يكون لي ولد ، ولم يمسسني بشر ؟ "
قال : " كذلك . الله يخلق ما يشاء . اذا قضى امرا فانما يقول له : كن ، فيكون " .
ويعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، ورسولا الى بني اسرائيل ،

---

٥ ولم يمسسني = ع : وانا لم اعرف . ى : ولم يباشرني .
٦ فردّ ... مخاطبا = ع ى : فأجابها جبرائيل قائلا .
٩ نسيبتك حبلى = ع ى ي : قريبتك قد حبلت .
١٠ لتلك التي تدعى = ع ى ي : من حبل تلك التي كانت .

اني قد جئتكم بآية من ربكم : اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيرا ، بأذن الله . وأبرئ الاكمه والابرص ، وأحيي الموتى بأذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم . ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين . ومصدّقا لما بين يديّ من التوراة . ولأحلّ لكم بعض الذي حُرّم عليكم . وجئتكم بآية من ربكم . فاتّقوا الله وأطيعوني » (١) .

فانظر في هذا الامر . هل سمعت ، في ما قرأت من كتب المخالفين ، ان احدا كان له ، في ابتداء الحبل به ، من البشارة مثل هذا الذي ذكرناه ، وأقررت انت به ؟

زيارة مريم لأليصابات أمّ يحيى

ثم ان مريم ، الطاهرة المباركة المختارة أمّ المسيح المخلص وسيّد العالم ، مضت الى اليصابات ، أمّ يوحنّا ابن زكريّا . وقد كانت وزوجها بارّين تقيّين عندما حملت بيوحنّا .

فلما قرعت سيّدة النساء عليها الباب بالسلام ، على السنّة الجارية عندهم ، تحرّك يوحنّا في بطن أمّه ساجدا فرحا . فهتفت عند ذلك أمّه بصوت عال وقالت : « كيف يكون لي هذا ، ان تأتي أمّ ربي اليّ ؟ لانه مذ وقع صوت سلامك في اذنيّ ، خرّ الجنين الذي في بطني ساجدا فرحا » (٢) .

---

٦ وأطيعوني = زيد في ق ك٢ : فهذا قول صاحبك المخالف وشهادته وأقراره بالحق ، راضيا ومنعنا وصدّقا .

٨ هذا الذي ... انت به = ق ك٢ : ما قصصنا عليك عن الله عزّ وجلّ في الانجيل الطاهر المقدس وعن كتابك الذي تدّعي بصحته وتقرّ بعدالته وشهادته ؟

١١ مضت = ع ق ي : صارت . يوحنّا = ع ق ي : يحيى .

١٣ سيّدة ... بالسلام = ق ك٢ : باب منزلها بالتسليم عليها .

١٤ تحرّك ... ساجدا = ق : اضطرب الجنين في احشائها .

---

(١) القران ٣ / ٤٢ ـ ٥٠ .

(٢) لوقا ١ / ٣٩ ـ ٤٥ .

شهادة القران ليحيى

ومن قول المخالف اذ يقول : " هنالك دعا زكريا ربه ، قال : " ربِّ ، هب لي من لدنك ذرّيّة طيّبة ، انك سميع الدعاء " ".
فنادته الملائكة ، وهو قائم يصلّي في المحراب : " ان الله يبشّرك بيحيى ، مصدّقا بكلمة من الله ، وسيّدا وحصورا ونبيا من الصالحين " (١) .
يعني بذلك المسيح كلمة الله وسيّد ذرّيّة آدم . فقد علمنا ان " مصدّقا " انما هو صفة ليوحنا ، ولكن " كلمة الله " و " سيّد البشر " ليست بصفة ليوحنا ، ولا كان سيدا . فانما " حصورا ونبيا ومن الصالحين " فمن صفات يوحنا ، لانه كان نبيا وحصورا ومن الصالحين . فانت ، ان لم تصف الكلام عن حقّه ، علمت علما حقيقيا ان هذا معناه .

ميلاد المسيح يسوع

ثم ظهر للمجوس في بلاد فارس الكوكب الدالّ على ميلاد الاله ، الملك العظيم الذي لا زوال لملكه ، اذ ان له الملك بالحقيقة لا بالاستعارة .
وكان علماؤهم قد سبقوا فأخبروهم بخبره في الكتب ، وعرّفوهم وقت ظهوره ، وأعطوهم الدليل على ذلك والعلامة : ظهور كوكب يتقدّمهم في المسير اليه لقضاء حق عبادته بالسجود له والخضوع لطاعته . فلم يزل المجوس ينتظرون ذلك ويتوقّعونه راجين ومؤملين ، حتى جاء الوقت ، فظهر الكوكب الذي هو الدليل على ميلاد السيد العظيم والملك الحق .
فجاؤوا من بلاد فارس الى بيت المقدس ، الذي هو بلد اليهود ، بهداية الكوكب اياهم ، حتى وقف بهم على مكانه . فقفوا الفرض وأدّوا حق الطاعة ،

---

١ المخالف اذ يقول = ق : صاحبك في زكريا .
٥ يعني = ق : فمعني . ع ك١ ي : فأعني .
٧ ليوحنا = زيد في ق : لانه لم يؤمَن بيوحنا انه كلمة الله .
١٧ بلد اليهود = ق : ارض اليهودية .
١٨ بهم على مكانه = ق : ببيت لحم .

---

(١) القران ٣ / ٣٨ ـ ٣٩ .

ورأوا ما كانوا يؤملونه وأدركوا ما كانوا يرجونه ، وانصرفوا موقنين غير شاكّين ولا مرتابين ، بل مسرورين فرحين لِما أُمّلوا له (١) .

ثم ظهر ملاك من الملائكة عند ولادته لقوم من الرعاة كانوا يرعون اغنامهم فقال لهم ، عندما اشرق عليهم نور البشارة بميلاد الاله : " اني مبشّركم بفرح عظيم يكون في الارض لكم وللناس كافة ، انه قد وُلد لكم اليوم مخلّص - يعني لوُلد آدم اجمعين - وهو المسيح السيد ، في مدينة داود . والدليل لكم ، انكم اذا صرتم الى الموضع ، تجدون صبيا ملفوفا في اطمار موضوعا في مذود " . فلم يفرغ من كلامه لهم حتى ظهرت لهم اجناد الملائكة ، مع ذلك الملاك ، وهي تطير بين السماء والارض ، بتهليل وترتيل وتهتف بصوت عال وتسبّح وتقول : " المجد لله في العلى ، وعلى الارض السلام ، وفي الناس المسرّة ، والامن والرجاء الصالح للناس كافة " .

ثم صار الرعاة الى الموضع متبادرين . فوجدوا الاله المسيح المولود ملفوفا في اطمار ، موضوعا في مذود ، على ما بشّرهم به الملاك . فصدقوا وآمنوا وأخبروا بما خبّروا وبما عاينوا من اجناد الملائكة ، وما سمعوا من ذلك التسبيح العجيب ، وقصّوا قصّة مجيئهم . فعجب من ذلك كل من كان حاضرا (٢) .

فهذه قصّة البشارة والميلاد على غاية الاختصار من القول .

اعتماد المسيح

فلنخبر الان كيف كان ابتداء الدعوة ونلخّصه ، فنقول :

لمّا اتت على سيدنا يسوع المسيح ثلاثون سنة ، وظهر يوحنّا ابن زكريا ، وابتدأ ينادي في الناس بالتوبة ويعمّدهم في ماء الاردن ، صار اليه

---

١ موقنين = ع ق ي : مؤمنين .

١٦ كان حاضرا = ق : سمع .

٢١ وابتدأ ... الاردن = ع ق : بتلك المعمودية (ق : بماء نهر الاردن) التي للتوبة .

---

(١) متى ٢ / ١ - ١٢ .

(٢) لوقا ٢ / ٨ - ٢٠ .

المسيح . فلما رآه يوحنا قال : " هذا حمل الله الحامل خطايا العالم . هذا هو الذي قلت عنه انه يأتي بعدي رجل ، وهو كان قبلي لانه أقدم مني" (١). فقال له يوحنا : " يا سيدي ، انا محتاج ان اطهّر منك ، وانت صرت اليّ لتتطهّر مني ؟ " فأجابه سيدنا المسيح قائلا : " دع الان . لانه هكذا يجب ان نكمّل البر كله " . ثم لم يزل مجتهدا ، حتى غسه يوحنا في الماء . فلما صعد المسيح من الماء ، انفتحت ابواب السماء ظاهرا مكشوفا بمعاينة العالمين الذين كانوا حضورا . فرأوا الروح القدس قد نزلت عليه في صورة حمامة ، واذا بصوت من السماء يقول : " هذا ابني الحبيب الذي به سُررت" (٢) . فتعجّب من ذلك يوحنا وجميع من كان حاضرا .

رسالة المسيح

ثم ابتدأ في دعوة الناس الى التوبة ، وحثّهم على رفض الدنيا وترك الاهل والوالدين والاموال واللحوق به ، والترغيب في اعمال الخير والبرّ ، والكفّ عن المآثم ، والتحبّب لاصطناع المعروف الى كل احد ، وترك الضغائن والحقد والطلب بالطوائل والاخذ بالثأر ، وترك المكافأة بالاساءة والصفح عنها ، والتفضّل على كل احد بما هو أحسن وأجمل .

وأعلمهم ان فعل ذلك يقرّبهم من الله عزّ وجلّ ، وحثّهم على فعل ذلك ليستوجبوا به جزيل الثواب وعظيم الاجر في دار الخلود التي لا زوال لحياتها ولا انقطاع لنعيمها .

وأنذرهم بالبعث والنشور والقيامة بعد الموت للحساب والثواب والعقاب .

---

١ المسيح = زيد في ع ق ي : ليصطبغ منه .
٥ غسه ... الماء = ق : عمده .
١١ والوالدين = ع ي : والاقارب . . ق ك٢ : والوُلد .
١٥ عزّ وجلّ = ع ق ي : تبارك اسمه .
١٦ ليستوجبوا = ق : ليستحقّوا .
الخلود = ع ق ي : المآب .

---

(١) يوحنا ١ / ٢٩ ـ ٣٠ .
(٢) متى ٣ / ١٣ ـ ١٧ .

فمن عمل صالحا فله ثواب ذلك في ملكوت السماء ، ومن عمل شرّاً فعليه العقاب في نار جهنم خالدا فيها ابدا .

وحقّق قوله بعمله الاعاجيب ، وصدّق وعده ووعيده بالآيات الظاهرة والعلامات الباهرة والدلائل الواضحة التي لا يمكن المخلوقين ان يأتوا بمثلها .

وذلك بغاية الرفق والتواضع ، والوقار والخضوع ، ومجانبة الفخر والبذخ اللذين هما من فعل الشيطان واتباعه ، وأظهار المحبّة والرحمة والشفقة على الناس كافة ، وبذل كل شيء لمن طلب منه ، لا يطلب على ذلك من احد اجرا ولا شكرا ، الاّ تمجيدا لله وتحميده والتصديق بان الله ، عزّ وجلّ ، قد أنجز موعده الذي وعد به على السن انبيائه ، وأكمل جوده وتفضّله على آدم وذريّته ، اذ بعث اليهم كلمته وروحه متجسّدا منهم ، وانتشلهم من ضلالة الشيطان وسلطان الموت ، وعرّفهم نفسه ان الله واحد ذو ثلاثة اقانيم : اب وابن وروح قدس ، وأثبتهم في معرفته واليقين الذي لا يزول مع الحياة الدائمة في ملكوت السماء .

وكان اوّل ما دعاهم به قوله : " توبوا ايها الناس ، فقد دنا ملكوت السموات" (١) . فأوعى في أنفاسهم ذكر التوبة والبعث والنشور الذي لا عهد لهم به ولم يعرفوه ، ورغّبهم في ملكوت السماء ليعملوا اعمالا يستحقّون بها الدخول اليها ، وزهّدهم في الاعمال التي كانوا مقيمين عليها والرجوع عنها بالتوبة التي توجب لهم مغفرة الخطايا .

ثم فرض الصوم ، وصام اربعين يوما بلياليها ، تخدمه الملائكة وتتعبّد له (٢) . وهو مجاهد في صومه كيد الشيطان ، معرّفا للناس ان الله ، تبارك وتعالى ، قادر ان يحيي الانسان بغير خبز ولا ماء ، ممثّلا في ذلك حال حياتنا في القيامة ، وانه في ذلك الوقت ترتفع عنّا الحاجات ونحيى بلا أكل ولا شرب .

الشرائع المسيحيّة

ثم ابتدأ في فرض الشرائع والسنن الروحانية ، وتعليم النواميس الالهية التي تليق بالاله ، ونفي الامور الجدانية .

---

١٨ بالتوبة ... توجب = ع ق ي : الى الامر الذي يوجب .

---

(١) متى ٤ / ١٧ . (٢) متّى ٤ / ١-١٤ .

المحبّة الاخويّة

فكان قوله في باب القتل : " قد سمعتم انه قيل : من قَتل قُتل . واما انا فأقول لكم : من غضب على اخيه باطلا فقد استوجب العقوبة . ومن عاب اخاه فقد وجبت عليه لائمة الجماعة . ومن اساء الى اخيه فقد استوجب نار جهنّم " (١) .

ثم قال : " لا تغرب الشمس على احد منكم وهو غضبان على اخيه " (٢) .

وقال : " اذا كنت قائما في صلاتك ، وذكرت ان اخاك واجد عليك ، فاقطع صلاتك وامض اليه مترضّيا له ، ثم ارجع واتمم صلاتك " (٣) . فقطع بهذا القول وهذه الشريعة أصل العداوة واسباب البغضة التي تثمر القتل .

الطهارة

ثم قال : " قد سمعتم انه قيل : لا تزن . واما انا فاقول لكم : ان من نظر الى امرأة نظرة شهوة فقد زنى بها في قلبه " . فدلّنا بقوله هذا ان الله تبارك وتعالى يعلم ما يظهر وما يخفى .

وقال : " قد سمعتم انه قيل : من طلّق امرأة فليظهر طلاقها . واما انا فاقول لكم : من طلّق امرأته من غير فاحشة تصحّ عليها ، فقد ألجأها الى الزنى . ومن تزوّج مطلّقة فهو زان " (٤) .

الصدق

وقال في ذمّ الكذب : " قد سمعتم ما قيل : لا تكذب في قسمك . واما انا فاقول لكم : لا تقسمنّ البتّة ، لا بالسماء فانها كرسيّ الله ، ولا بالارض

---

١١ يعلم ... يخفى = ق ك٢ : عارف بالظاهر والباطن ، لا تخفى عليه خافية وهو المكافئ على السرّ علانية .

١٢ فليظهر = ق : فليعطها كتاب .

---

(١) متى ٥ / ٢١ ـ ٢٣ .

(٢) افس ٤ / ٢٦ .

(٣) متى ٥ / ٢٣ ـ ٢٤ .

(٤) " ٥ / ٢٧ ـ ٢٨ و ٣١ ـ ٣٢ .

فانها موطئ قدميه ، ولا بأورشليم فانها مدينة الملك العظيم ، ولا برأسك فانك لا تقدر ان تجعل شعرة سوداء او بيضاء . بل ليكن كلامكم نعم نعم ، ولا لا . وما زاد على هذا فهو من الشيطان » (١) .

الصفح والعفو

ثم قال في ذمّ الأخذ بالطوائل والثارات ، والترغيب في الصفح والعفو ، والمنع من الانتقام : « قد سمعتم انه قيل : العين بالعين ، والسنّ بالسنّ ، والجراح قصاص . واما انا فاقول لكم : لا تقاوموا الشرّ بتّة . بل من لطمك على خدك الايمن فحوّل له الايسر . ومن اراد ان يخاصمك ليأخذ ثوبك فدع له مع الثوب الرداء . ومن سخّرك ميلا فامش معه ميلين . ومن سألك فاعطه . ومن اراد ان يقترض منك فلا تمنعه » (٢) . فقطع بهذه الوصايا سبيل الخصومات ، وبرّد نار المكاوحات ، ورفع الشرّ القاطع بين الناس ، وقرّب بعضهم من بعض ، وجمع بينهم بالتحابب ، وألان قساوة الغلاظة وآنس وحشتها ، وجعل الناس جميعا اخوة في الرحمة والشفقة والمحبّة .

التفضّل والاحسان

وقال في التفضّل والاحسان : « قد سمعتم انه قيل : احبب قريبك وابغض عدوّك . واما انا فاقول لكم : احبّوا اعداءكم ، وباركوا لاعنيكم ، وأحسنوا الى من أساء اليكم ، وادعوا لمن اضطهدكم ، لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السماء ، الذي يشرق شمسه على الاخيار والاشرار ، ويحدر مطره على الابرار والفجّار » . ثم قال مؤكّدا لهذه الوصيّة ومرغّبا فيها : « ان كنتم انما تحسنون الى من أحسن اليكم فأيّ أجر لكم ؟ أليس يفعل هذا السفهاء ؟ بل كونوا كاملين محسنين متفضّلين كيما تتشبّهوا

---

٨ اراد ... الرداء = ق : طلب ان يأخذ قميصك فلا تمنعه رداءك .

١٠ المكاوحات = ع ق ي : الملاحمات .

١٧ الذي يشرق = ق : وتتشبهوا به فانه يشرق .

---

(١) متى ٥ / ٣٣ – ٣٧ .

(٢) » ٥ / ٣٨ – ٤٢ .

بأبيكم السماوي الكامل الذي يمهلكم ويتفضّل عليكم " (١) .

الصدقة

ثم قال في البرّ : " انظروا في صدقاتكم . لاتعطوها تجاه الناس تريدون ان يروكم بذلك ، فيخيب اجركم . ولكن انت ايها المتصدّق ، اذا تصدّقت بصدقة فلا تعلم شمالك ما تعمل يمينك ، لكي تكون صدقتك سرّا . والحقّ اقول لك ان اباك الذي يرى السرّ يكافئك علانية على صدقتك " (٢) .

الصلاة

ثم قال : " وانت ايها المصلّي ، اذا اردت الصلاة فلا تصلّ في الاسواق وعلى ظهور الطرقات تتراءى للناس بصلاتك لكي يمدحوك بذلك . الحقّ اقول لك ان فعلت هكذا فلا أجر لك ، بل قد اخذت اجرك من الناس الذين مدحوك . ولكن انت ايها المصلّي ، اذا اردت ان تصلّي ، فادخل الى مخدعك وصلّ . واذا صلّيت سرّا ، حيث لا يراك احد ، فابوك السماوي يكافئك على ذلك علانيـة " (٣) .

الصوم

ثم قال : " اذا صمت ايها الصائم ، فلا تعبس وجهك وتضعف كلامك لكي تتراءى للناس بذلك ، فيخيب اجرك . ولكن اذا صمت ، فاغسل وجهك وادهن رأسك وقوّ كلامك لكي تخفي على الناس صومك . والحق اقول لك ان اباك الذي اياه قصدت بصومك يكافئك " (٤) .

---

٢ البرّ = ك : ذمّ الرياء .

٢ لن يروكم ... فيخيب = ق : بذلك برّا منهم فيضيع .

٥ يرى السرّ = ق ك : في السماء .

١٠ واذا صلّيت ... السماوي = ق ك٢ : بين يدي ابيك سرّا . وابوك الذي يعلم السرّ .

---

(١) متى ٥ / ٤٣ ـ ٤٨ .

(٢) " ٦ / ١ ـ ٤ .

(٣) " ٦ / ٥ ـ ٦ .

(٤) " ٦ / ١٦ ـ ١٨ .

ذمّ حبّ المال

ثم قال في ذمّ الشره والحرص والبخل : " لا تدّخروا ذخائركم حيث يصل اليها اللصوص ، ولكن اذّخروها حيث لا تصل اليها اللصوص وتأمنون عليها . وحيث تكون ذخائركم هناك تكون قلوبكم " .

ثم قال : " لا يقدر عبد على خدمة مولايين ، لانه لا بدّ ان يكرم واحدا او يهين الآخر . وكذلك لا تقدرون ان تخدموا الله والدنيا " (١) .

ذمّ الاهتمام والهموم

ثم قال : " لا تهتمّوا بما تأكلون ولا بما تشربون ولا بما تلبسون . فان عنايتكم بأنفسكم وخلاصها من الآثام والخطايا أوجب من عنايتكم بقوت اجسادكم ، لان النفس أفضل من الجسد ، اذ كان لا قوام للجسد الاّ بالنفس . ولكن تشبّهوا بطير السماء التي لا تحرث ولا تزرع ، تغدو جياعا وتروح بطانا ، وابوكم الذي في السماء يؤتيها رزقها . الحق أقول لكم انكم في الخليقة أفضل وأكرم عند الله منها . فلا تهتموا بما يقوتكم ، بل اصرفوا عنايتكم الى ما يرضي ربّكم . ولا تحملوا على اليوم همّ غد ، فقد يكفي اليوم همّ نفسه . ولا يقول احدكم ، اذا اقبل الشتاء ، ماذا آكل وماذا البس ، وفي الصيف كذلك . فان اباكم الذي في السماء يعلم ما تحتاجون وهو يؤتيكم به (٢) .

ذمّ الاغتياب

ثم قال في ترك اغتياب الناس : " لا تدينوا ، فلا تدانوا وتعاقبوا ، فان

---

٤ على خدمة ... يهين = ى : ان يخدم ربّين الاّ بأكرام احدهما واحتقار .

٥ ان تخدموا الله = ى ك٢ : على خدمة ربّكم وخدمة .

٩ جياعا = ى ك٢ : خماصا .

١١ يقوتكم = ى : تقيتون به اجسادكم .

١٣ نفسه = زيد في ى ك٢ : فلا تهتمّوا برزق الغد ، لانكم لستم خالقيه وانما خُلق لكم . فخالق الغد هو يأتيكم فيه برزقه .

---

(١) متى ٦ / ١٩ ـ ٢٤ .

(٢) " ٦ / ٢٥ ـ ٣٤ .

بالدين الذي تدينون به تدانون ، وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم . فما بالك ايها الانسان تنظر القذى الذي في عين اخيك ، ولا تفطن بالسارية التي في عينك ؟ ايها المرائي ، أخرج اوّلا ما في عينك ، وعند ذلك انظر الى ما في عين اخيك" (١) .

الله يستجيب الصلاة :

ثم قال في الطلب والتضرّع الى الله ، عزّ وجلّ ، ووعده بالاستجابة وحسن الاستماع وقبول التضرّع : "سلوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . استفتحوا يفتح لكم . فان كل من سأل بنيّة صادقة أعطي . ومن طلب بايمان خالص وصدق لا شكّ معه وجد . ومن استفتح بقلب سليم ويقين صحيح فتح له".

وقال : "من منكم يسأله ابنه خبزا فيعطيه حجرا ، أو يسأله حوتا ، أتراه يعطيه حنشا ؟ فان كنتم ، انتم معشر الاشرار ، تحسنون ان تمنحوا ابناءكم المواهب الصالحة ، فكم بالحري ابوكم الذي في السماء ، الذي له الخيرات ويؤتي الحسنات والبركات ويسبغ نعمه على اوليائه واهل طاعته ، الذين يسألونه بنيّة صادقة ويقين خالص" (٢) .

القاعدة الذهبية

ثم قال في اصطناع المعروف الى الناس : "كل ما احببتم ان يفعل الناس بكم ، فافعلوا انتم مثله بهم . ولا ترضوا للناس ما لا ترضونه لأنفسكم فان هذا كمال البرّ كله ورضى الله جلّ وعزّ" (٣) .

---

١ لكم = زيد في ك٢ : اغفروا يغفر لكم .
٢ ولا تفطن ... عينك = ق : وفي عينك خشبة لا تهمّك ؟ أو تقول لأخيك : دعني اخرج القذى الذي في عينك ، وفي عينك انت سارية ؟
٣ ما في ... ما في = ق : السارية من عينك وحينئذ تنظر في اخراج القذى من .
٦ استفتحوا = ع ق ك٢ ي : اقرعوا .
١٠ تمنحوا ... الصالحة = ق ك٢ : تعطوا اولادكم العطايا الجيدة .

---

(١) متى ٧ / ١ ـ ٥ .
(٢) " ٧ / ٧ ـ ١١ .
(٣) " ٧ / ١٢ .

ولعلّ عائبا يعيب ، بقلّة فهمه وجهله ، الفاظ الانجيل ويقول في تسمية المسيح سيدنا اللهَّ تبارك وتعالى " ابانا " ، فنجيبه في هذا بجواب مقنع ونقول :

ان المسيح سيدنا ، ومخلص العالم وسيده ، اراد ان يحبّب طاعة الله الى الناس ويقرّبها من قلوبهم لتكون طاعتهم له بالمحبّة والمودّة لا بالقهر والرهبة ، وان يؤلّف بين قلوبهم ، ويخرج العداوة منها ويرفع ذكر التفاخر فيما بينهم ، الذي جاء به الشيطان واولياؤه في الانساب ، ويجعلهم متعارفين بعضهم ببعض بالابوّة التي هم فيها كما هم في الطبيعة اجمع لأبٍ واحد وأمٍّ واحدة . وكذلك احبّ ان يكونوا في سائر الحالات . ليس كما فعل صاحبك حيث زرع البغضة في قلوب الناس بقوله : " يا ايها الذين آمنوا ، ان من ازواجكم واولادكم عدوّا لكم فاحذروهم " (١) .

فالسيد المسيح كان يخاطبهم ويقول لهم : " ابوكم الذي في السماء يفعل لكم الخير مثلما تفعلون بعضكم ببعض " ، كل ذلك ليزرع في قلوبهم محبة بعضهم لبعض ، لتنحلّ من بينهم الضغائن وترتفع البغضة .

ولعمري ، ان الله جلّ وعزّ هو الاب الرحيم ، المشفق المتحنّن المحتمل ، اذ كان بدأ فخلقنا جودا واحسانا قبل ان نكون ، تفضّلا منه علينا ، وهو يقوتنا ويرزقنا بنعمته ، ويتعهّدنا بجوده ، ويبعد هفواتنا ويغفر ذنوبنا ، ويحتمل بكرمه وطول اناته جهلنا ولا يعجّل علينا ، كما يفعل الاب المشفق على ولده . ثم اذا أدّبنا ، خلط بأدبه الرأفة والرحمة ، ولا يبلغ بنا الغاية التي تستحقّها ذنوبنا . أليس من الحق ان يسمّى باسم الابوّة الحقيقية الله تبارك وتعالى ذكره ؟ فلا حجة اذا لمنكر ينكر على سيدنا المسيح حيث يسمّي الله " ابانا " .

---

١ فهمه وجهله = ع ق ي : دينه .

١١ فاحذروهم = زيد في ق : وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا ، فان الله غفور رحيم .

١٤ البغضة = ق : التفاضل .

١٥ المحتمل = ق : المجمل . ي : الجواد .

١٧ ويتعهدنا ... ويبعد = ق : ويتفقّدنا بجوده ويتعهّد .

٢٠ أليس ... ان = ق ك٢ : فمن أحق وأولى بان .

---

(١) القران ٦٤ / ١٤ .

ثم قال في اداء الفرائض: صوموا وصلّوا، وادّوا الفرائض التي اوجبها الله تبارك اسمه عليكم. فاذا فعلتم ذلك كله قولوا: "اننا عبيد بطالون، انما عملنا ما أُمرنا به. فأيّ فضل لنا؟" (١).

ثم حقّق اقواله ووصاياه، بما كان يُظهر لهم من سيرته، انه كان صائما مصلّيا، لا بيت له ولا ماوى، ولا شيء من القنية أكثر من ثوبين يواري بهما بدنه. فقد قال له بعض السائلين: "يا عظيم، اين منزلك؟" فأجابه: "ان للطير السماء اوكارا وللوحوش اجحارا. واما ابن البشر فليس له مكان يسند اليه رأسه" (٢). فلا بيت لي ولا مأوى، وحيث ادركت فهناك مبيتي. ومن طلبني وجدني.

ولم يتكلم بأنك قذا، ولا همّ بخطيّة ولا اقترف ذنبا ولا ارتكب اثما، ولا قال هزلا ولا قبيحا، ولا أعاب احدا، ولا طلب من احد شيئا، ولم يؤذ احدا ولم يغضب على احد، ولا منع سائلا ولا ردّ طالبا ولا خيّب داعيا، ولا سها عن مستغيث ولا أعرض عن مستمنح، كما سبق النبي وتنبأ عليه في ذلك (٣).

آيات المسيح

وحقّق قوله بالايات والعجائب التي فعلها.

فكان يشفي المرضى الذين لا يَعرف عددهم الاّ هو تبارك اسمه، ويبرئهم من ادوائهم ويكشف عنهم اسقامهم ويهب لهم العافية بكلامه وأمره: - وطهّر البرص (٤).

---

٧ وللوحوش اجحارا = ى : وللثعالب اوجرة . ع ي : وللوحوش مغائر .

٩ ومن طلبني وجدني = ى : ومتى طلبتني وجدتني .

١٣ مستمنح = ى ي : مستميح .

---

(١) لوقا ١٧ / ١٠ .

(٢) متى ٨ / ١٩ _ ٢٠ .

(٣) " ١٢ / ١٧ _ ٢١ . اشعيا ٤٢ / ١ _ ٤ .

(٤) لوقا ١٧ / ١١ _ ١٩ .

- وأخرج الشياطين (١) من ابدان الناس .
- وبسط ايدي العم (٢) .
- وأحيى الموتى الذين ماتوا وأتت عليهم الايام الكثيرة ونتنوا ، مثل العازر اخي مريم ومرتا (٣) ، ومثل ابنة يايرس (٤) رئيس الكنيسة ، ومثل عبد القائد (٥) ، ومثل ابن الارملة (٦) وغيرهم .
- وأخبر بالغيب وبما تخفيه صدورهم وتكنّه افئدتهم (٧) .
- وامر المقعد الذي اتت عليه ثمان وثلاثون سنة زمنا ان يحمل سريره على عاتقه ويمضي حاضرا ، فكان ذلك (٨) .
- ونادى الشياطين فاجابته مذعنة لأمره طائعة لربوبيته ، مقرّة له انه كلمة الله الحيّ (٩) وانه هو الذي يبطل سلطانها ، وتسأله ان ان يمهلها في الامر .
- وغفر الخطايا و محّص الذنوب بالكلمة المتحدة في ناسوته ، الخالقة الممجّدة بروح القدس ، الحالّة فيه (١٠) .
- وفتح اعين الكمه المعروفين بالعمى على طول الايام ، وخلق لبعضهم الاعين من الطين المجبول بريقه ، قدرة منه على الخليقة (١١) .
- وأشبع من خمس خبزات وسمكتين خمسة الاف رجل ، سوى النساء والاطفال ،

---

٥ الكنيسة = ع ق ك٢ : الكهنة . ي : الجماعة .

١١ يمهلها في الامر = ق : ينحل عنها .

---

(١) لوقا ١١ / ١٤ .

(٢) متى ١٢ / ١٠ ـ ١٣ .

(٣) يوحنا ١١ / ٣٨ ـ ٤٤ .

(٤) لوقا ٨ / ٤٩ ـ ٥٦ .

(٥) " ٧ / ١ ـ ١٠ .

(٦) " ٧ / ١١ ـ ١٥ .

(٧) مرقس ٢ / ٨ . يوحنا ٢ / ٢٥ .

(٨) يوحنا ٥ / ٥ ـ ٨ .

(٩) لوقا ٤ / ٣٣ ـ ٣٦ .

(١٠) مرقس ٢ / ٥ . لوقا ٧ / ٤٨ .

(١١) يوحنا ٩ / ١ ـ ٧ .

وفضل منها اثنا عشر زنبيلا كسرا (١) .

ـ وكان مباركا حيث كان .

ـ وغيّر الماء المصبوب في ستة اجاجين في العرس خمرا طيبا ، وذلك في الجليل (٢) .

ـ وتباركت به الصبيان ونادت به الاطفال (٣) .

ـ ولعن شجرة التين فجفّت من ساعتها (٤) .

ـ وزجر امواج البحر في شدّة الريح ، فهدأت (٥) .

ـ ومشى على الماء مثل اليبس (٦) .

ـ وتجلّى لتلاميذه في الجبل ، مع موسى وايليا (٧) .

ـ وخبّر السامرية بخبرها مع الازواج (٨) .

ـ وابرأ المرأة من نزف الدم من لمسها ثوبه ، وظنّت انه لا يعلم ، وعلم وعرف بذلك ، فسجدت عند ذلك المرأة واقرّت بما فعلت (٩) .

ـ وأمر الشياطين ان تدخل في الخنازير وان تغرق في البحر ، فأجابت وانتهت الى طاعته (١٠) .

ونفل افعالا كثيرة لو نسق جميعها لطال الكتاب بها . وقد تركنا ايضا كثيرا منها لئلاّ يطول كتابنا هذا ، ولانني اعلم انك قد قرأت الانجيل المقدس حيث كان ما اثبته فيه التلاميذ منسوقا .

-:-

١١ من نزف ... لمسها = ق ك٢ : التي كان بها نزيف دم منذ اثنتي عشر سنة ، وذلك بمجرّد لمس .

-:-

(١) متى ١٤ / ١٦ ـ ٢١ .

(٢) يوحنا ٢ / ١ ـ ١٠ .

(٣) مرقس ١٠ / ١٣ ـ ١٦ . متى ٢١ / ١٥ ـ ١٦ .

(٤) متى ٢١ / ١٨ ـ ٢٢ .

(٥) " ٨ / ٢٣ ـ ٢٧ .

(٦) " ١٤ / ٢٥ ـ ٢٧ .

(٧) " ١٧ / ١ ـ ٣ .

(٨) يوحنا ٤ / ١٦ ـ ١٨ .

(٩) لوقا ٨ / ٤٣ ـ ٤٨ .

(١٠) متى ٨ / ٢٨ ـ ٣٢ .

وصاحبك ، الذي فعل الخلاف ، قد شهد بها كلها في قوله : « وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس » (١) .

فهل تخيل هذه الافعال الالهية الأعلى من الحلم قلبه بالحسد وأغمى بصره بالغيظ ، ومن حملته محبة الدنيا على هلاك نفسه ، ومن اتّبع الافك ؟ والاّ فكل ذي لبّ ناصح لنفسه ، اذا نظر في كتابنا هذا ، وتصفح هذه الامور بعين الحقّ والنصفة وقاسها بأفعال صاحبك ، تبيّن له الحق من الباطل ، وان كان لا يقاس بأمر السيد المسيح شيء من الانبياء بالبهت والكذب والدعوة الباطلة .

ونحن نعلم ، وانت وكل سامع ، ان افعال السيد المسيح ليست من افعال البشر ، ولا في قدرة الادميين ان يأتوا بمثلها ، وان امر صاحبك يأتي به كل احد على كل حال ، لاننا نؤتى مثله في كل زمان .

ايات المسيح وايات الانبياء

فان قلت ان الانبياء ، مثل موسى وغيره ، كانت تفعل الاشياء المعجبة التي ليس في قدرة الادميين ان يفعلوا مثلها ، قلنا لك : نعم ، ان الانبياء كانت تفعل ذلك ، ولكن بعد التضرّع الشديد والطلب الطويل والمسألة الملحّة ، لا بالقدرة القاهرة والامر النافذ الذي لا مردّ له ولا شيء يعتاص عليه ، مثلما كان يفعل سيدنا المسيح . لان اولئك انما كانوا يفعلون الشيء المعجب كما يفعله العبيد المشفقة بحسب الطاعة لأنفاذ الامر الذي وجّهوا به وتبليغ الرسالة .

---

١ وصاحبك ... قوله = ى : ومن قول صاحبك وشهادته .

٢ فهل ... الالهية = ى ك٢ : فكيف يخيل (ى : يحيل) عليك ان هذه الافعال ليست الهية ؟ ولا يخيل ذلك .

٩ يأتي به ... زمان = ى : فقد تهيّأ لجماعة من الناس ممن قد رأينا وسمعنا به من الملوك المتقدمين في سائر الازمان .

١٢ نعم = ى ي : نعلم .

١٤ الملحّة = ع ى ي : الملحفة .

١٦ المعجب = ع ى ي : المعجز .

٢٢ لأنفاذ = ع ي : ليبلغوا .

---

(١) القران ٢ / ٨٧ و ٢٥٣ .

ونعلم ان موسى ، قبل ان يفلق البحر ليجيز بني اسرائيل ، لم يزل مصلّيا وراكعا وساجدا وطالبا حتى قال الله له : "لِمَ تصلّي قدامي ؟ قم فاضرب البحر بعصاك فانه ينفلق بين يديك" . وهكذا تجده في التوراة (١) .

وكذلك يشوع بن نون وايليا واليشع كانوا يتضرّعون في صلواتهم ، فعند ذلك يؤذن لهم في عمل الاية ، وذلك بعد المسألة الملحّة .

على ان بعضهم دعا وصلّى وتضرّع فلم يُجَب ، مثل موسى النبي . فان الله قال له : "لا أدخلك ارض الميعاد ، لانك لم تدعُني ولم تبارك اسمي على الماء" ، المعروف بالخصومة (٢) . فحرمه الله من دخول ارض المواعيد ، وهي بلاد الشام . ومثل ارميا المغبوط في الانبياء ، فقال له الله : "اني لا اسمع دعاك ولا اجيبك ولا أقبل صلاتك" (٣) ، في بعض ما دعا .

فاما سيدنا المسيح ، الذي هو الابن الحبيب كما شهد ابوه له : "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (٤) ، فانه يفعل الاشياء بالقدرة القاهرة التي هي الكلمة الخالقة للسموات والارض المتّحدة به .

فهل يقدر مخالف ان يتعنّت او يبطل هذا القول ويردّه ، الّا بالجحد والمعاندة للحق والاجتراء على الله الآب والابن وروح القدس ؟ مثل من يقول ان الشمس مظلمة والنار غير محرقة ، فباهت بذلك العيان ، وكفاه بهذا خجلا .

اختيار المسيح الحواريين

واذ قد اتينا ببعض شرائع المسيح سيدنا ، واخبرنا ببعض عجائبه ،

---

٢ تبارك ... بالخصومة = ق : تقدس اسمي امام بني اسرائيل ، وذلك في المكان المعروف بماء الخصام ، لضربه الحجر مرّتين .

١٦ والاجتراء = ق : والافتراء .

---

(١) خروج ١٤ / ١٥ ـ ١٦ .

(٢) عدد ٢٠ / ٢ ـ ١٣ . تثنية ٣٢ / ٤٨ ـ ٥٢ .

(٣) ارميا ٧ / ١٦ .

(٤) متى ٣ / ١٧ .

فلنذكر الان كيف اتّخذ تلاميذه الحواريين ، وبعث بهم الى اهل العالم دعاة الى الحق ، فنقول :

انه اتّخذ قوما اميين لا علم لهم و لا معرفة ، ولا شرف ولا حسب ولا ايسار ، صيادي سمك وعذّابي خراج ، ففتح قلوبهم وملأها نور حكمته ، فقهروا بذلك كل فيلسوف وحكيم ، وفاقوا كل طبيب ماهر ، وتذلّل لهم كل ملك عزيز وكل سلطان حديد وكل جبار عنيد ، ودخل في طاعتهم كل شريف حسيب ، وافتقر اليهم كل غنيّ ، حتى دان لهم ذوو الايسار ، واقرّ لهم كل ذي عقل وعلم وحيلة ، وانقطع عند حجتهم كل ذي بلاغة ، ودانوا لهم بالطاعة واقروا لهم بالاجابة ، غير منكرين ولا جاحدين بل قائلين معترفين بالفضل الذي اوتوه ، ومقرّين لهم بالنعمة التي أسبغت عليهم والايد الذي أيّدوا به و تلك الايات المعجبة التي ايّد بشارته بها ، حيث قال لهم : انصبوا وادعوا الامم الى حياة الابد في دار الخلود والاخرة ، وبشّروهم بالبعث والنشور وقيامة ابدانهم وارواحهم ، وتخليصهم من اسر الموت وفكهم من سلطانه واطلاقهم من حبسه الذي هم فيه . وقد اعطيتكم على تحقيق ما تضمنون لهم من ذلك القدرة على فعل الايات والعجائب . مجانا اخذتم ، مجانا اعطوا . لا تأخذوا ذهبا ولا فضّة من احد . تضعون ايديكم على المرضى فيبرؤن ، والموتى يحيون باسمي ، ليعجب العالم منكم وتكون لي الحجة عليهم .

فساروا بسيرته وبلّغوا ذلك باسمه ، وبشّروا الناس بالرحمة ، ودعوهم الى الحق ، مجتهدين غير فاترين ولا مستأثرين لشيء من الدنيا . وعدد هؤلاء سبعون رجلا الذين وجّههم قبل ارتفاعه بالكرامة الى السماء (١) .

واختار اثني عشر رجلا كانوا له ملازمين ، وهم حواريه وتلاميذه المشاهدون اموره في كل احواله ، وهم الناقلون اخباره بالحق والصدق الى الامم . وكان كل ما فعله بحضرتهم (٢) .

---

١٠ اسبغت = ع ق : ظهرت .

١٣ ابدانهم = ق : اجسادهم .

٢١ بالكرامة = زيد في ق : والمجد .

---

(١) لوقا ١٠ / ١ و ١٧ .

(٢) متى ١٠ / ١ ـ ٥ .

تعليم المسيح تلاميذه

وكان من مخاطبته اياهم وعهده اليهم ان الذي يعمل ويعلّم يدعى اسمه كبيرا في ملكوت السماء (١) .

الصلاة الربانية

واذا انتم طلبتم فاطلبوا المغفرة لخطاياكم والرحمة وملكوت السماء والعمل بالبرّ . ولا تكثروا الطلب والتعديد بطلب الرزق الذي قد كفيتم ، فان اباكم الذي في السماء أعلم بحوائجكم وما يصلح لكم . ولكن اذا دعا احدكم فليدع هكذا : " ابانا الذي في السموات . ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض . خبزنا كفافنا اعطنا يوما فيوم . واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا كما نغفر نحن لمن اساء الينا . ولا تدخلنا في التجارب ، لكن نجّنا من الشرير . لان لك الملك والقوّة والجبروت والمجد والعظمة الى ابد الابدين . امين (٢) .

عون الله

ثم قال لهم : اني موجّهكم مثل الحملان بين الذئاب و مؤيّدكم . فكونوا حكماء في امركم واحفظوا قلوبكم . واذا قدّمتم الى السلاطين والى الحكّام والقضاة ، فلا تهابوهم وتميلوا عن الحق معهم . ولا ترهب قلوبكم عند مكالمتهم بالمواعظ . فانهم لا يملكون لأنفسكم ضررا ، وانما سلطانهم على اجسادكم فقط . فاصبروا لهم ان الجؤوكم الى الحبس والضرب والقتل . وخافوا ممّن سلطانه على اجسادكم وانفسكم ، وهو القادر على

---

٢ كبيرا = زيد في ع ق ي : وعظيما .

٥ والتعديد = زيد في ق : وتشغلوا قلوبكم .

٨ كفافنا = ع = كفاتنا . ي : الجوهري .

١٥ مكالمتهم = ق : مخاطبتكم اياهم .

١٧ وخافوا ممّن = ق : واذكروا من .

---

(١) متى ٥ / ١٩ .

(٢) " ٦ / ٩ _ ١٣ .

ان يميتكم و يحييكم و يعذّبكم ويعفو عنكم . ولا تهتمّوا بما تكلّمونهم وتحاجّونهم ، فاني معطيكم في الوقت من الحكمة والحجة بالروح القدس ما تحتاجون اليه (١) .

واعلموا ان من جحد دعوتي وانكر البشارة باسمي ، انكرته يوم القيامة اذا وقف مع الخلائق بين يديّ للحكم والقضاء . ومن اقرّ بدعوتي والبشارة باسمي بين ايدي الناس ، ولم يجحد ذلك ولم يكتمه ، اقررت به انه من أوليائي يوم الدين ، اذا وقف مع الخلائق بين يديّ (٢) .

التواضع والرحمة

ثم قال لهم : عليكم بالتواضع . فطوبى للمتواضعين . وطوبى للمطهّرة قلوبهم ، فانهم بنو الله يدعون . وكونوا رحماء . فطوبى للرحومين ، فانهم مستحقّون الرحمة من ربهم (٣) .

ثم قال لهم : صِلوا من قطعكم . واعطوا من منعكم . أحسنوا الى من اساء اليكم . سلّموا على من سبّكم . سالموا من بغضكم . اصفحوا عمّن اخطأ اليكم . أنصفوا من خاصمكم . اعفوا عمّن ظلمكم ، كعفو الله مولاكم عنكم ، ليغفر لكم . فاذا لم يرحم بعضكم بعضا ، كيف يرحمكم الله؟ واذا لم تحسنوا الى الناس ، كيف يحسن الله اليكم ؟ كونوا متفضّلين حتى يجود الله عليكم . فحقا اقول لكم : كما تفعلون ، كذا يفعل بكم (٤) .

التبصّر والحكمة

ثم قال : ضوء الجسد عيناه (٥) . فان كان البصر مفتوحا ، اضاء الجسدُ كلّه . وان كان البصر اعمى ، لم يصلح الجسد بغير ضوء . وكذلك العبد اذا كان عالما بربّه ، ابصر ذنبه ، واذا كان جاهلا بربّه ، عمي عن ذنوبه .

---

١٢ سبّكم = ع : يشتمكم . اخطأ اليكم = ق : اعانكم . ك١ب : قتركم .

١٧ مفتوحا اضاء = ق : مستضيئا استضاء .

١٨ اعمى ... ضوء = ق : مظلما كان الجسد ايضا في الظلام .

---

(١) متى ١٠ / ١٦ ـ ٢٠ .

(٢) " ١٠ / ٣٢ ـ ٣٣ .

(٣) " ٥ / ٥ ـ ١٠ .

وكما ان لا قوام للبدن الاّ بالنفس الحيّة ، كذلك لا قوام للدين الاّ بالنبوّة الحسنة الصادقة .

واياكم والنظر الى عيوب الناس وان تعاتبوهم على اصلاحها . لكن ابدؤوا بإصلاح عيوب انفسكم وعظوهم بأفعالكم (١) .

لا تعطوا القدس للكلاب ، ولا تنثروا اللوءلوء امام الخنازير ، ولا تذكروا الحكمة للسفهاء ، ولا تتكلّموا بها عند الظلمة قلوبهم التي هي خالية من خوف الله (٢) .

سبيل الحياة

ثم قال : ما أسهل السبيل التي توءدّي الى العطب والهلاك ، وما أوسعها وأعمرها وأكثر سالكيها . وما أصعب السبيل التي توءدّي الى الحياة ، وما أضيقها وأقلّ سالكيها وعامريها (٣) .

الانبياء الكذبة

احتفظوا من الكذّابين ، واحترسوا من المرائين الذين على ظهورهم ثياب الصوف متشبّهين بالحملان ، وهم من داخل كالذئاب الخاطفة . من ثمارهم تعرفونهم . هل يُجنى من العوسج عنب او من الحنظل تين ؟ كذلك لا يُنتفع بعظة احد من هوءلاء . احذروا من الانبياء الكذبة (٤) الذين يأتونكم بعدي بلا آية ولا حجة بل بالسيف والمغالبة .

---

٥ تنثروا اللوءلوء = ع : تلقوا جواهركم . ق : تنثروا دوركم .
٦ أصعب = ق ك٢ : أثقل .
١٣ تعرفونهم = ع ق ي : يُعرفون .
١٤ بعظة احد منهم = ق ك٢ : بقول ولا بموعظة من مثل .
١٥ والمغالبة = ع ي : والمواطأة .

---

(١) متى ٧ / ٣ ـ ٥ .
(٢) " ٧ / ٦ .
(٣) " ٧ / ١٣ ـ ١٤ .
(٤) " ٧ / ١٥ ـ ١٦ .

الدعوة الى الحياة الابدية

امضوا ، فادعوا الناس الى حياة الابد ، وعلّموهم ما علّمتكم من الحكمة الروحانية ، وخبّروهم بما رأيتموه مني ، وزهّدوهم في هذه الدنيا الفانية ورغّبوهم في دار الاخرة ، وأعلموهم ان الله تبارك وتعالى باعث من في القبور ومحيي الموتى وسيدين الخلائق .

فمن عمل صالحا ورث الحياة الابدية الدائمة التي لا موت يقطعها ، في ملكوت السماء وجوار رب العالمين الذي لا شيء أفضل منه ، مع الامن والعافية في نعيم لا يزول ولا ينقضي .

ومن أفسد ولم يسمع قولكم ، وكذّب بعبارتي وجحد دعواي وناصبها بالنقض والمخالفة والعداوة والمعاندة ، فجزاؤه يوم الدين نار جهنم التي لا تطفأ ، خالدا فيها ، والعذاب الدائم الذي لا انقضاء له ، وغضب الله وسخطه الذي لا رضى بعده . فمن ردّ دعوتي فقد ناصب الله وردّ امره .

الايات وشفاء المرضى

فقد اعطيتكم من الايد والسلطان والقوة والقدرة ليتحقّق الناس دعوتكم ولتكن الحجة البالغة عليهم .

ضعوا ايديكم على المرضى الميئوس منهم فيبرؤون باسمي . ونادوا الموتى فيحيون . واخرجوا الشياطين من الناس . وافتحوا اعين العمي وطهّروا البرص (١) . فلا شيء يعاندكم ولا يقاومكم . وكل ما ربطتموه على الارض يكون مربوطا في السماء . وكل ما حللتموه على الارض يكون محلولا في السماء (٢).

البشارة في أقطار العالم

حتى تنشر دعوتي في جميع اقطار الارض (٣) ولا يكون موضع خاليا من دعوتي ،

---

٢ الفانية = زيد في ق ك٢ : القرّارة .

١٨ تنشر = ع ق ي : تنير .

---

(١) متى ١٠ / ٧ ـ ٨ .

(٢) " ١٨ / ١٨ .

(٣) " ٢٤ / ١٤ . مرقس ١٦ / ١٥ ـ ١٦ .

لانها الى الناس كافة ، اذ انها نعمة مبثوثة على جميع ذرّيّة ادم ٠ فمن دخل فيها وجد حظّ نفسه وربح وامن وسلم وفاز وغنم ٠ ومن ظلّ معرضا خاب وخسر ٠

الدعوة بلا ارغام

ها انذا موجّهكم بلا سوط ولا عصا ، ولا سيف ولا سلاح ، ولا ملك ولا جنود ، ولا قهر ولا مجاهدة ، ولا مقاومة ولا جفاف ، ولا جدال ولا مناظرة ، ولا اضطهاد ولا عنف ، ولا ترغيب في ملك ولا بلذّات الدنيا وشهواتها ، ولا بتسهيل في السنن ٠

فنادوا في الناس وادعوهم الى التوبة والخروج عن الاهل والولد والاموال والتنعّم ، والى رفض الدنيا واعتناق التذلّل والخضوع ٠ وصحّحوا قولكم وضمانكم لهم ملكوت السماء بالايات المعجبة التي اعطيتكم السلطان والقدرة عليها ٠ وخبّروهم خبر البعث والوعيد ، ورغّبوهم في الثواب وحذّروهم من العقاب ٠

الكرازة مجّانا

ولا تأخذوا ذهبا ولا فضّة ، ولا تريدوا من احد اجرا ولا شكرا ٠ كُلوا من ايديكم ٠ وما فضل من قوتكم ، فتصدّقوا به على المساكين ٠ ولا تدّخروا للغد ٠ وامنحوا الناس كما منحتكم بلا غشّ ولا دغل ٠ وأعطوهم ذلك مجانا كما اعطيتكم ٠ ولا تمنعوا طالبا ولا تردّوا سائلا ٠ واسعفوا الناس جميعا وابذلوا لهم المجهود من انفسكم ٠ سيروا بالبشارة ولا تفتروا ، فان ملكوت السماء قد دنت (١) ٠ وها انا معكم ، ومع كل من دعا باسمي ، جميع ايام الدنيا والى انقضاء الدهر (٢) ٠

موت المسيح وقيامته وصعوده

ثم اراد ان يكمل التواضع حتى يبلغ منه الغاية القصوى ٠ فلم يمتنع

---

٢ وغنم = ع : بالنعيم ٠

٣ وخسر = زيد في ع : ومأواه جهنم ٠

---

(١) متى ١٠ / ٧ ـ ١٠ ٠

(٢) " ٢٨ / ٢٠ ٠

عن ايادي الكفرة حتى نال منهم الصلب ، وهو مع ذلك يقول : " يا ابتاه ، اغفر لهم فانهم لا يدرون ما يعملون " (١) .

ثم مات بجسده ، واقام على الصليب الى وقت الغروب من يوم الجمعة ، ثم أُنزل ودُفن ، واقام في القبر الى صبيحة يوم الاحد .

ثم انبعث حيّاً بلاهوته . وتراءى للنسوة اللواتي جئن الى قبره زائرات(٢) وظهر بعد ذلك لحوارييه ، مرّة في الجليل (٣) ، ومرّتين في الغرفة التي كانوا فيها نزلاء (٤) ، ومرة في الطريق وبعضهم ماض الى قرية تدعى عمواس (٥) ، ومرة على شاطئ البحر وهم يصيدون السمك ، واكل معهم (٦) . كل ذلك في خلال اربعين يوما .

وكان يجدّد عليهم الوصيّة ويذكّرهم العهود التي عهدها اليهم ويخبرهم انه سيوجّه اليهم البارقليط ، الذي هو الروح القدس ، ويؤيّدهم به (٧) .

فلم يزالوا كذلك الى ان صعد الى السماء صعودا مكنونا بحضرة من كان حاضرا في ذلك الوقت ، وهم ينظرون الى ابواب السماء مفتوحة ، وقد نزلت الملائكة ورفعته بالتمجيد والتهليل والتسبيح ، وهي تخاطب وتقول : " ايها الناس ، ما بالكم تنظرون متعجّبين حائرين ؟ هذا يسوع المسيح صاعد الى السماء متجسّدا ممجّدا ، وكذلك هو مزمع ان يأتي في اخر الايام ، فيُرى نازلا ، في ذلك الوقت ، كما ترونه الساعة صاعدا ، ليبعث من في

---

١ نال منهم = ع ك١ : نالت منه . ق ك٢ : نالوا منه ما نالوه من صلبه على خشبة .

٢ يدرون = ق : يعلمون .

٩ يوما = زيد في ع : التي اقام على الارض بعد انبعاثه .

١٦ صاعد = ق : ابن الله الوحيد قد صعد .

---

(١) لوقا ٢٣ / ٣٤ .

(٢) متى ٢٨ / ٩ ـ ١٠ .

(٣) " ٢٨ / ١٦ ـ ٢٠ .

(٤) يوحنا ٢٠ / ١٩ ـ ٢٩ .

(٥) لوقا ٢٤ / ١٣ ـ ٣٥ .

(٦) يوحنا ٢١ / ١ ـ ١٤ .

(٧) اعمال ١ / ١ ـ ٨ .

القبور ويدين الخلائق " . ثم غاب عنهم ، وغابت الملائكة . وذلك الجبل الذي صعد منه هو جبل الزيتون ، قريب من اورشليم ، معروف ومشهور بهذه الصفة الى هذا الوقت (١) .

شهادة القران بموت المسيح ورفعه

فلنذكر بعد هذا شهادة المخالف اذ يقول معلنا : "اذ قال الله : يا عيسى ، اني متوفّيك ، ورافعك اليّ ، ومطهّرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة . ثم اليّ مرجعكم ، فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون . فاما الذين كفروا ، فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين . واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفّيهم اجورهم ، والله لا يحب الظالمين . ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم " (٢) .

فهذا ، فتح الله عقلك للصواب ، قول صاحبك واعترافه وشهادته عن الله ، كما ادّعى وانّعيت له . فتثبّت في النظر ، وانصح لنفسك في الاستقصاء ، ولا تمل الى غير الحق . فانت ان انصفت ، ظهر لك وميض النور وتلألأ لك الحق .

هبة الروح القدس ورسالة التلاميذ

فلما كان بعد صعوده بعشرة ايام ، كان الحواريون مجتمعين في الغرفة التي كانوا ينزلون فيها معه ، اذ سمعوا هادّة عظيمة شديدة ، وتجلّى عليهم الروح القدس الذي هو البارقليط (٣) . فصار على كل رجل منهم لسان من النار ، وأخذ يتكلّم بلسان البلد الذي وُجّه اليه ليبشّر بالمسيح ، مخلّص العالم ومنقذه ، ويدعو اهل ذلك البلد الى النصرانية ويخاطبهم بلسانهم ويريهم الايات المعجبة .

---

٢ قريب من أورشليم = ى ك : في بلاد الشام .

٤ شهادة = زيد في ع : صاحبك .

١٤ وميض = ع ى ك : ابيض .

---

(١) اعمال ١ / ٩ ـ ١٢ .

(٢) القران ٣ / ٥٥ ـ ٥٨ .

(٣) اعمال ٢ / ١ ـ ٤ .

فعند ذلك تفرّق الحواريون وصار كل رجل منهم الى البلد الذي نُدب اليه وأُعطي معرفة لسانه وكلام اهله . وكتبوا الانجيل الطاهر وجميع اخبار المسيح واقاصيصه بكل لسان على املاء الروح القدس. فدانت لهم الامم واستجابوا لقولهم ، ورفضوا هذه الدنيا وبالوا الى الامر الواضح ، وتركوا اديانهم ودخلوا في النصرانية ، التي هي ملّة المسيح ، عندما اشرق لهم نور الحق وتلألأ نور البشارة ، فأيقنوا وآمنوا مصدقين غير مكذبين ولا شاكين ، حيث ميزوا الحق من الباطل والكفر من الايمان والهدى من الضلالة والرشد من الغيّ ، ورأوا الاعاجيب والايات الباهرة والدلائل الواضحة والسيرة الحسنة المتشبّهة بسيرة المسيح ، التي آثارها قائمة حتى اليوم والساعة . فنحن على الذي قبلنا منهم ، لم نزد فيه ولم ننقّص منه ، وبه نحيى وعليه نموت ونُبعث حتى نقوم به بين يدي المسيح سيدنا ، اذ هو ديّان الخلق كلهم .

مقارنة رسالة التلاميذ وجهاد المسلمين

ليس كسيرة صاحبك وسيرة اصحابه الذين لم يزالوا يُقدمون على القتل والنهب والضرب بالسيف وسفك الدماء وسبي الذراري والتغلّب على الخلائق ونهب امتعتهم وهتك حريمهم واستعباد الاحرار .

وهم في هذه الحال الى هذه الغاية يحملون الناس على المحارم وعلى مساوئ الاخلاق ، حتى تعلّموا فقالوا في ذلك ما لم يفعلوه ، مثل قول عمر بن الخطاب : "ألا من كان جاره نبطيا واحتاج الى ثمنه فليبعه" ومثل هذا كثير ممّا يشاكله من القول والفعل . وهذا خلاف ما كان يفعله سمعان وبولس الرسولان من ابراء المرضى بأمرهما وطلبهما واقامة الموتى باسم المسيح سيدنا .

---

٦ مكذبين = ع ق ي : مرتابين .

٩ الواضحة = ك : القاطعة .

١٢ الخلق كلهم = ع : العالم .

١٤ والضرب بالسيف = ع ق : والخبط بالسيوف .

الخلائق = ع ق ي : البلدان .

١٧ مثل = ك : فتأمّل .

١٨ نبطيا = ع : قبطيا .

لِمَ لا تُصنع الايات كما في عهد الرسل ؟

وان قلت : ما بال الرهبان لا يفعلون اليوم من الايات والعجائب والجرائح مثلما كان الحواريون يفعلون حيث توجّهوا الى البلدان ؟

رجعنا اليك بالجواب وقلنا : انهم لمّا مضوا الى البلدان للدعوة واجتذاب الناس الى الاقرار بربوبية المسيح ، احتاجوا عند ذلك الى كثرة الايات وتواتر العجائب ، لتصحّ دعوتهم وليعلم الذين يدعونهم صحّة دعواهم . فليس الرهبان اليوم هكذا دعاة .

وان كثيرا منهم يتكلّفون فعل ذلك لدى الخواصّ خفية ، ليُعلم ان تلك النعمة ثابتة فيهم باقية . فاذا جرى لهم امر واحتاجوا الى اظهار قوتهم للعامّة اظهروها . ويعرف ذلك من افعالهم في المشرق والمغرب وحيث حلّوا .

ولو ان الرهبان تكلّفوا احياء الموتى واشفاء كل مريض في كل وقت ، اذاً لم يمت احد ولم يكن للقيامة رجاء ولا للدنيا زوال ، وكان في ذلك تكذيب لوعد الله تبارك وتعالى ووعيده في الاخرة .

فانما يفعل الرهبان ما يفعلونه ويجري على ايديهم ، الواحد بعد الاخر ، ليزداد الرهبان ثقة لِما هم فيه من ذلك التعب والنصب ، وليعلموا كيف مرتبتهم عند الله في طاعتهم ليلهم ونهارهم . وايضا كل من قصدهم ، بقلب سليم ونيّة صحيحة ، وأتاهم مستغيثا فبصلاتهم وبركة دعائهم ادرك طلبته .

وايضا لو كانت الايات والعجائب تظهر لدى التجارب ، كما ظهرت للاوّلين ، وكانت دائمة ، كما كانت في ايام الجهل وعدم الادب ، اذاً لَما كان للناس في ايمانهم وطاعتهم حمد ، الاّ كحمد الدواب التي لا تستغني في الاستقبال بها والاستدبار عن اللجم والضرب بالعصي . لكن اذ فضّل الله تبارك اسمه جوهر الانسان على البهائم ، وانعم عليهم بالعقل والتمييز ، كلّفهم استعمال رأيهم في احراز علم ما غاب عنهم من برهان الحق عن دينه . فاذاً لا يحتاج الناس اليوم الى معاينة الايات على تحقيق هذا الدين ، الاّ من رفع نفسه عن استعمال العقل وشارك البهائم في جهلها وقلة ادراكها .

---

٧ فعل ذلك = ك١ : منعة النبي .

١٠ الموتى = ى : كل ميت .

١٢ تكذيب = ك١ : تخريب .

٢٤ ادراكها = ع ك ب : معرفتها .

خاتمة

فقد شرحت لك قصّة المسيح سيدنا على غاية الاختصار ، وبعض اخبار الحواريين الذين نقلنا عنهم دياناتنا ، التي نحن متمسّكون بها ومنتحلون لها .

فاجمع الان ما تريد جمعه منها الى ما في يدك ، واستعمل الانصاف واصدق نفسك ولا تغشّها .

وان قبلتَ مني ، فاني لك من الناصحين يشهد الله وملائكته علي بذلك ، تركتَ مشاركة الفجرة الجهال وأقبلت الى نور الانجيل وضياء بشارة المسيح ، لتصير من اوليائه وترث ملكوت السماء وحياة الابد التي لا انقطاع لها ، والنعيم الذي لا تبلغه صفة الادميين .

وخف ممّن سلطانه على بدنك ونفسك الذي هو قادر ان يرحمك ويقبلك ، كما يقبل الاب الولد الشارد ، فانك تكون من الموفّقين . فان حجة الله ، تبارك اسمه ، عليك ظاهرة لما قد خصّك الله به من العقل ، وفضّلك بالزيادة على غيرك .

فلا تغفل ولا تغترّ بهذه الدنيا وتتعلّق باسبابها وتنغمس في شهواتها ، فانها غدّارة مهلكة لمن مال اليها . وانظر لنفسك قبل فوات النظر . وردّد فكرك في ما كتبتُه اليك وشرحته لك من الانباء التي قلّدتها كتابي هذا ، وقس بعضها ببعض ، واستعمل في ذلك قانون العدل وميزان الحق وآثره وملْ اليه ، وتجنّب الباطل وتنحّ عنه . واهرب من الامور المدلّسة ، فانها انما بهرجة على قوم جهال اغبياء ، لا علم لهم ولا معرفة ، ولا تأدّب ولا حكمة ، ولا نظر ولا قريحة .

فليس هذا الامر من الامور التي يجوز ان يُغفل عنها ، حتى لا يُلتفت اليها ، لانه هو الامر المعوّل عليه في الوقتين معا ، في هذه العاجلة وفي الآجلة ، وهو الامر الذي تُسأل عنه في الوقت الذي لا يُقبل منك فيه العذر ولا تُطالب العلل .

---

٧ الفجرة = ك : الكفرة .

٢١ يجوز = ع ك ي : ينبغي .

٢١ المعوّل = ق ك : المعوّل .

٢٤ تُطالب العلل = ق : ينفع الاحتجاج .

واعلم علما يقينا ، يا خليلي ، ان من كفر بالطاغوت وآمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انقطاع لها ، ولا يخيب من طلبها لرضى الله وأجهد نفسه بالتقرّب اليه بما قد فرضه في كتبه ·

واما انا فقد بلغت جهد طاقتي في النصيحة لك ، ولكل من نظر في كتابي هذا ، وما أبقيت عند نفسي في ذلك غاية ·

واسأل الله ان يوفّقك وايّانا للخير ، ويحيينك وايّانا على العمل الصالح بطاعته ، ويعصمنا من معاصيه ، ويشركنا في ملكوته مع اوليائه الذين رضي الله عنهم بأعمالهم ، بجوده وكرمه · اميـن ·

والسلام عليك ورحمة الله وبركاتـه ·

---

٩ وبركاته = زيد في ي : تمّت وبالخير عمّت ·

ختـــام (١)

بلغنا انه إنتهى الامر الى المأمون في خبر الرسالتين ، فأمر بأحضارهما ، وقرئتا عليه ،

فلم يزل ناصتا حتى جاء الى آخرهما ، فقال : ما كان دعاه الى ان يتحرض لما ليس من عمله ، حتى اجاز كتاف نفسه ؟

فاما النصراني فلا حجة لنا عليه ، لان الامر لو لم يكن عنده هكذا لما أقام على دينه ،

والدين دينان : احدهما دين الدنيا والآخر دين الآخرة ،

اما دين الدنيا فالدين المجوسي وما جاء به ذرادشت ،

واما دين الآخرة فهو دين النصارى وما جاء به المسيح ،

واما الدين الصحيح فهو التوحيد الذي جاء به صاحبنا ، فانه الدين الجامع الدنيا والآخرة ،

---

٤ اجاز = ن : اجاد ،

٨ ذرادشت = ق : من دراسته ،

---

(١) نص هذا الختام يوجد في الترجمة اللاتينية للحوار بين الهاشمي والكندي ، وفي النسخة المصرية التي نُقل عنها النصّ المطبوع في القاهرة (١٩١٢) ، والمتولّي تصحيح هذا النصّ ذكر في تنبيه (ص ١٨٠) ما يأتي : "ووجدت في آخر النسخة المصرية الزيادة الآتي نصها بحروفها" ،

فهرس رسالتي الهاشمي والكندي

A la mémoire de mon père
qui m'a élevé dans la foi et la piété
et m'a appris à travailler
pour le rapprochement des croyants

Travailler pour le rapprochement des croyants !

La foi en Dieu, le Créateur et le Père, le Seigneur et le Juge, est commune à tous les croyants à quelque confession qu'ils appartiennent.

Cette foi est à la base des valeurs morales et spirituelles qui ont déterminé l'évolution de l'humanité.

Or ces valeurs sont menacées dans le monde d'aujourd'hui. Aussi est-il du devoir des croyants de se rapprocher et de s'unir pour défendre ces valeurs et en assurer le rayonnement.

-:-

De nombreuses questions doctrinales séparent les croyants et les dressent les uns contre les autres.

Or le rapprochement doit se faire dans la clarté et la vérité, par conséquent ces questions doctrinales doivent être reprises et discutées.

Tel est le but de la publication de cet ouvrage, consacré à un "Dialogue islamo-chrétien" qui s'était engagé à l'époque du Calife Al-Ma'mūn (813-834).

-:-

L'épître d'Al-Hashimi est la première apologie de l'Islam qui nous soit parvenue.

Elle émane d'un musulman assuré d'être dans la vérité, qui emploie le langage de l'amitié et de la raison, et qui pratique la recommandation du Coran (29/45) de discuter avec les chrétiens de la meilleure manière.

Il présente l'Islam sous un aspect attrayant, et il se montre large d'esprit, tolérant, désintéressé dans son appel et modéré dans ses attaques. En effet, cette apologie est dirigée contre le Christianisme, mais d'une manière adroite, habile et d'un ton modéré.

Elle vise à bien disposer le lecteur chrétien, par une introduction où se révèle l'esprit amical et fraternel de l'auteur, sa connaissance du Christianisme, sa tolérance et sa largeur d'esprit ; par un exposé de la religion islamique, dont la pratique est facile et les dogmes simples , par un

appel à renoncer à l'égarement et à l'infidélité , à se convertir à l'Islam pour obtenir les avantages de ce monde et de l'au-delà , par une tolérance qui n'entend exercer aucune contrainte, et par une largeur d'esprit disposé à écouter l'exposé de la foi chrétienne.

L'auteur, tout en étant convaincu de la vérité de l'Islam, déclare qu'il a le désir de s'informer, de connaître la vérité et de s'y soumettre. Il recherche donc le dialogue, non la controverse. Voilà pourquoi cette apologie parait intéressante, car elle montre la voie à suivre pour que le dialogue islamo-chrétien soit utile et fructueux.

-:-

L'épître d'Al-Kindi est une apologie du Christianisme et une réfutation de l'Islam.

L'auteur pose nettement les problèmes qui séparent chrétiens et musulmans : La Trinité et la divinité de Jésus-Christ ; l'apostolat de Muhammad et la révélation du Coran. Il discute ces problèmes dans le détail, avec franchise et profondeur. Il explique pourquoi les chrétiens ne peuvent reconnaître Muhammad comme le "Messager" de Dieu et considérer le Coran comme l'expression de la révélation divine.

Le ton est parfois vif, direct et agressif. Les arguments sont scripturaires, historiques, logiques; le raisonnement fort, solide, percutant. Mais on y sent aussi l'amitié qui liait les auteurs de cet échange épistolaire.

-:-

Cet ouvrage date d'une époque où la controverse islamo-chrétienne était menée dans un esprit triomphaliste et dans un but de prosélytisme. L'apologétique s'y mêlait à la polémique. Les auteurs musulmans et chrétiens s'étaient enlisés dans une attitude de controverse et de polémique qui ne pouvait aboutir à un véritable dialogue.

Que le lecteur musulman ne se laisse pas choquer par l'épître d'Al-Kindi. Elle contient des vérités qu'il faut dire, écouter et méditer.

Il est nécéssaire, en effet, que les musulmans écoutent les chrétiens, et que les chrétiens écoutent les musulmans, pour mieux se connaître et se comprendre, pour dissiper les préjugés et les malentendus qui les séparent, afin de se rapprocher dans la recherche de la vérité et de s'unir au service de la vérité que Dieu a révélée.

-:-

Pour se rapprocher les croyants ont à engager un dialogue objectif qui peut produire un renouveau spirituel dont l'humanité a besoin. Ils ont à se rappeler qu'ils sont les témoins de Dieu dans le monde.

Le texte arabe

des épîtres d'al-Hāšimī et d'al-Kindī

Le texte arabe de ces épîtres a été établi d'après les trois manuscrits : un arabe et deux karšūnīs, de le Bibliothèque Nationale de Paris, auxquels nous avons ajouté le manuscrit arabe de l'Université de Yale, dont nous avons trouvé un microfilm à l'Université d'Amman, et le texte imprimé au Caire en 1912.

Nous nous référons à ces documents de la manière suivante :

A Texte du manuscrit arabe de 1867 , de la Bibliothèque Nationale de Paris , N° 5141 .

C Texte imprimé au Caire , par l'Imprimerie Anglaise et Américaine , en 1912 .

K 1 Texte du manuscrit karšūnī de 1657 , de la Bibliothèque Nationale de Paris , N° 204 .

K 2 Texte du manuscrit karšūnī de 1619 , de la Bibliothèque Nationale de Paris , N° 205 .

Y Texte du manuscrit arabe de 1674 , de l'Université de Yale , Collection Landberg , N° 56 a.

Le texte de ces documents est parfois divergeant; il présente de nombreuses variantes et des lectures différentes . Nous avons choisi celles qui nous paraissaient les meilleures, et nous avons signalé, dans les notes, celles que nous n'avons pas retenues. Mais nous n'avons pas signalé toutes les variantes, puisqu'elles n'offraient pas d'intérêt pour la compréhension du texte .

Pour faciliter la lecture et la compréhension de l'ouvrage et permettre l'utilisation du texte dans des entretiens entre chrétiens et musulmans, nous avons estimé nécessaire de le diviser en chapitres et paragraphes, auxquels nous avons donné des titres et des sous-titres. Ces titres ne se trouvent donc pas dans les documents d'après lesquels nous avons établi le texte de ces épîtres.

Nous avons ajouté aussi des références sctipturaires, coraniques et bibliques, et des notices biographiques ou explicatives qui aideront à situer le texte et à mieux le comprendre.

Pasteur G. Tartar

Paris , le 10 Août 1976

S'adressant aux chrétiens, la Bible déclare :

" Vous êtes une race élue, une nation sainte
" un peuple acquis, pour annoncer les vertus
" de Celui qui vous a appelés des ténèbres
" à son admirable lumière !

(I Pierre 2/9)

S'adressant aux musulmans le Coran déclare :

" Vous êtes la meilleure communauté
" apparue parmi les hommes
" Vous ordonnez ce qui est bien
" et défendez ce qui est mal !

Coran 3/110)

-:-

Dans le monde d'aujourd'hui où triomphent le matérialisme et l'athéisme, ce qui est en péril ce n'est pas l'existence du Christianisme ou de l'Islam en tant que religions, mais les valeurs spirituelles : La foi en Dieu, la piété et la moralité.

Ces valeurs sont communes au Christianisme et à l'Islam, et il appartient aux musulmans et aux chrétiens de mettre ces valeurs en lumière et d'en assurer le rayonnement.

Quant aux problèmes religieux qui séparent chrétiens et musulmans, ils peuvent être repris et discutés dans un esprit de recherche sincère de la vérité, de respect mutuel et d'amour fraternel, avec la volonté de parvenir à une meilleure compréhension spirituelle et à une collaboration fraternelle, pour travailler ensemble à l'avancement du règne de Dieu sur la terre des hommes.

Tel est le but de la publication de cet ouvrage (*).

Pasteur Georges Tartar

(*) Ouvrage (de 303 p) publié par :
"Nouvelles Editions Latines" - 1 rue Palatine - 75006 Paris

<u>Sommaire de la publication</u>

Introduction

Les manuscrits, recension du texte arabe, les auteurs, date ...

<u>Epître du musulman Al-Hashimi</u>

<u>Epître du chrétien Al-Kindi</u>

- Théodicée : Unicité et Trinité
- Muhammad, conquérant ou prophète messager ?
- Le Coran est-il révélé de la part de Dieu ?
- Les pratiques et les traditions islamiques
- Exposé de la foi chrétienne

Université des Sciences Humaines de Strasbourg

Faculté de Théologie Protestante

La soutenance de cette thèse
a eu lieu le mercredi 29 Juin 1977
à l'Université des Sciences Humaines
de Strasbourg.

Le Jury était composé de :
M. le Professeur Jacob , Président
M. le Professeur Fahd , Rapporteu
M. le Professeur Troupeau, Assesseur

Le Jury a accepté cette thèse
avec la mention "très bien", et il a
décerné à M. Georges TARTAR le grade
de Doctorat ès Sciences Religieuses.

M. le Professeur Toufic Fahd
de l'Institut des Etudes Arabes et Islamiques
de l'Université des Sciences Humaines de Strasbourg
a bien voulu diriger notre travail
Ses conseils nous ont été d'un grand secours
Nous lui exprimons notre profonde reconnaissance.

La Faculté n'entend approuver ni désapprouver
les opinions du candidat

UNIVERSITÉ DES SCIENCES HUMAINES DE STRASBOURG

FACULTÉ DE THÉOLOGIE PROTESTANTE

DIALOGUE ISLAMO - CHRÉTIEN SOUS LE CALIFE AL-MA'MÛN (813-834)

LES ÉPÎTRES D'AL - HĀŠIMĪ ET D'AL - KINDĪ

Thèse pour le Doctorat de 3° cycle

présentée par

Georges TARTAR

Pasteur

Professeur d'arabe

STRASBOURG 1977